الاستاذ الدكتور منير العجلاني

تاريخ البلاد العربية السعودية

الدولة السعودية الأولى

الجزء الرابع

عهد الإمام عبد الله بن سعود

(نهاية الدوله السعودية الأولى)



الأستاذ الدكتور منير العجلاني

تاريخ البلاد العربية السعودية

الدّولة السعوديّة الأولى

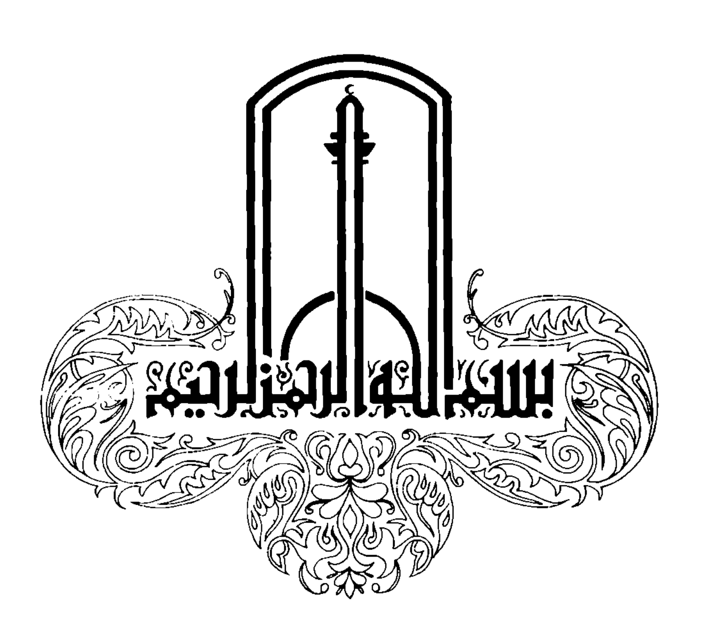
الجزء الرابع

عهد الإمام عبد الله بن سعود

(نهاية الدّوله السّعوديّة الأُولى)

الطبعـــة الثانيـــة

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م


بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة التاريخ

(إن علم التاريخ علم شريف ، فيه موعظة واعتبار ، واطلاع على حوادث الدهر الدوار ، ومعرفة أحول الماضين مما يوقظ الأذهان والأفكار .

وقد قص الله علينا بعض أخبار الأمم في الكتاب، قال الله تعالى : (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) .

فمن اعتنى بشيء من أخبار الماضين، فقد أتحف هدية وافرة لمن بعده من الخالفين ، تتشرف بذكرها أوطانها ، وتفتخر بذلك ملوكها وسكانها ..)

— ابن بشر —

وثائقنا

نلفت النظر إلى الوثائق التاريخية الخطيرة المطوية التي أثبتنا صوراً عن أصولها وأتبعناها بترجمتها العربية — إن كان أصلها تركياً — ونخص بالذكر :

بسم الله الرحمن الرحيم

عرفتُ مَعَالي الأخ الدكتور مُنير العجْلاني مُنذُ سَنوات وَعرفتُ فيه خُلقه العَالي ، وَأدَبه الجم ، وَاطلاعه الوَاسِع ، وَقدرته التي لاحَدّ لها على كِتَابة التَاريخ بكُل حَوادِثِه وَأحداثِه بأسلوب رَائِع يُشجّع القَارئ على مُواصَلة الاطّلاع ، وَيُمكِنه من استيعَاب مَا يقرأ .. وَتِلكَ ميزة ربّما لا تتوفر للعَديد مِن المؤرّخين ، فهُم قد يُوفقون لِسَرد الأحدَاث لكنّهُم في كثيرٍ من الأحيان لا يَستَطيعُون التخلّص من الجفاف الذي يَصحَب أساليب المؤرّخين ..

لقد اهتم المؤلف بكِتَابة تاريخ الدولة السّعودية وَبذل في سَبيل ذَلك الكثير مِن الوَقت وَالجهد وَالعَناء وَاطّلع على العَديد مِن المَراجع العَربيّة وَغير العربيّة وَارتحل إلى بلاد كثيرة وَالتقى بالعديد مِن المؤرّخين وَالمعَاصِرين وَقدم بَعد كُلّ هَذا العَناء المشكور سِلسلته التَاريخيّة عن الأسرة السُعوديّة الكريمَة في كُل أدْوَارها .

وَكِتَابه هَذا عَن الإمام عَبدالله بن سُعُود بن عَبدالعزيز آل سُعُود رَحِمه الله وَهُوَ أحد الأبطال المجَاهدين في الله وَالذين نَصَرُوا دين الله بدِمَائهم وَأموالِهم وَحديثه عَنه امتِدادٌ صَادِق لحَديثه عَن آبائِه رَحِمَهُم الله وَرضي عَنهُم حديثُ مُخلِصٍ صَادِق . يتحَرّى فيه كُل الأحداث وَيَعزُوها إلى مَصادِرهَا وَيعرِضُ تِلكَ السِّير المبَاركة عَرضاً رائِعاً يُقرّبها لِكُل قَارئٍ يَوَدُّ أن يَتعَرف على البُطولات وَالأمجَاد التي وَفق الله لها أولئك العُظماء الذين صَدَقوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيه .

وَسَيُواصِلُ بإذنِ اللهِ عَرْضَ هَذِهِ الأَحْدَاثِ حتّى يَقِف بنَا مَعَه عَلى عَهْدِنا الفَيصَلِي المعَاصِر الّذي يَنعَم فيه أبناء هَذِهِ المَمْلكة بالأمْن وَالاستِقرار وَالبِناء في كُل المَيادين بفَضْل الله ثُمّ بتوفيق صَاحِب الجَلالة وَالدنا الفيصَل المفَدّى الذي نَذر نفسَهُ للجِهَاد في سَبيل الله وَإعلاء كَلمَته في كُل صَقع مِن الأرض.

وَكُل مَا أرجُوه أن يَتَمَكّن مُؤرّخنَا الفَاضِل بإذن الله مِن استِكمال مَشرُوعِهِ القيّم ليَضَعَ بَين يَدَي شَبَاب هَذِهِ البِلاد وَكُلّ المسْلمين وَالعَرب الصُورَة الحَقيقيّة للأئمّة المخْلصِين الّذين جَاهَدُوا في الله حَقّ جِهَاده وَمَا زَادَتهُم الصِعَاب إلّا إقدَامًا وَمَضَاءً. رَحِمَهُم الله وَعَفَى عَنهُم.

حَسن عَبد الله آل الشيخ

١١ / ١١ / ١٣٩٢هـ

مقدمة المؤلف

— ١ —

« أنت قوي يا ابراهيم ،
وأبوك محمد علي أقوى منك ،
والسلطان محمود أقوى من أبيك ،
ولكن الله .. أقوى منكم جميعاً ! »[١]

بهذه الكلمات المتفجرة من القلب ، خاطب الإمام عبد الله ابن سعود ، بعد سقوط الدرعية ، خصمه المنتصر ، ابراهيم باشا ، في اجتماع حضره كبار القادة العسكريين ، وبذلك تحدّى صلف ابراهيم باشا ، المزهو بقوته وذكّره بضعف البشر ، مهما يبلغ جبروتهم ، أمام الله سبحانه ، الذي يملك وحده القوة التي لا تزول ولا تقهر !



صورة الامام عبد الله بن سعود التي نشرها «هوغارث» وأخذها عنه ويندر وغيره من المؤلفين العرب والأجانب وهي تشبه الصورة الاولى التي تخيلها رسام أنكيري

(١) وجدنا هذه الكلمات في الرسالة التي بعث بها (روسيل) قنصل فرنسا في مصر ، في عهد محمد علي ، الى وزارة الخارجية الافرنسية ، وهي محفوظة في وثائق الوزارة بباريس .

يقول « دليل الخليج الفـــارسي » The Gazeteer of the Persian Gulf – الصفحة ١٠٨٩ – إن الإمام عبد الله بن سعود كان ، في اجتماعه مع ابراهيم باشا ، (محافظاً على كرامته ومقامه ، وإن لم يستطع إخفاء شعوره المكبوت ..

وقد اشترط ابراهيم باشا على الإمام عبدالله أن يسافر إلى مصر ، فطلب منه الإمام أن يمهله أربعاً وعشرين ساعة للتفكير في الأمر ، ففعل ، وكان يخشى خلال ذلك أن يهرب الإمام إلى الصحراء ، ولكن الإمام عاد .. **وأعلن استسلامه ، بشرط أن تُضمن حياة أهل نجد الذين اشتركوا معه في القتال وأن تُصان بلدة الدرعية من الدمار .)**

بهذا اللقـاء – أو الصلح .. أو الاستسلام .. – انتهى عهد الإمام عبد الله ابن سعود ، ولكن المنتصرين الذين صالحوه وارتضوا بشرطيه غـــدروا .. فلم يصونوا حياة المقاتلين ، ودمّروا الدرعية ، وقتلوا الإمام في استانبول ، فذهب مع الشهداء .

توفي الإمام سعود يوم الاثنين ١١ جمادى الاولى سنة ١٢٢٩ هـ . فخلفه ابنه البكر الإمام عبد الله بن سعود ، في غمرة الحروب القـائمة بين جيوش محمد علي وابنه طوسون ، من جهـة ، وبين المجاهدين من رجال الدولة السعودية الاولى من جهة ثانية ، وقد استمرت هـذه الحروب ، تتخللها فترات قصيرة من المهادنات ، طول ولاية عبد الله ، بحيث يصح القول إن ولاية عبد الله كانت كلهـا ملحمة ، بدأت قبل توليه الإمامة وقيادة الجيوش ، وانتهت باستسلامه في منتصف شهر ذي القعدة من سنة ١٢٣٣ هـ . أي أربـع سنوات ونصف السنة .

- ٢ -

هذا الكتاب ..

كتبت صفحات منه بمداد امتزج فيه الدمع بالحبر ..

ذلك أنها تروي ..

.. **قصة مدينة فاضلة** - الدرعية - استشهدت بين أيدي مغامرين مأجورين ، لا يعرفون للقيم الدينية والانسانية معنى ..

.. **قصة حضارة** بدأت تتفتح في قلب الصحراء ، كما تتفتح أزاهير الربيع ، فهبّ عليها إعصار صوّحها وكاد يقتلعها من جذورها ..

.. **قصة الامة العربية**، التي أشرقت شمسها مرة اخرى من هنا ، من الدرعية ، بعد أن غابت طويلاً في ظلمات الشعوبية ، والجهل، والتآمر، والإنحلال، والطغيان.. وألوان الفساد التي كانت تمثلها الامبراطورية العثمانية في عهودها المتأخرة !

.. **إنها قصة نهاية الدولة السعودية الاولى** ، التي وضع أسسها في نجد : الداعية المصلح ، الإمام محمد بن عبد الوهاب ، والأمير العربي النبيل ، المعروف بالوفاء والمضاء : محمد بن سعود .



صورة الإمام عبد الله بن سعود كما نشرها « أنكيري » في كتابه (ابراهيم باشا) الموضوع باللغة الفرنسية ، ويبدو لنا أن هذه الصورة من صنع رسام .. لم يحسن تصوير وجه الإمام ، لأنه كان جميلاً جداً . وهـــذه الملاحظة تنطبق أيضاً على الصورة التي نشرها هوغارث.

رأى السلطان العثماني أن هذه الدولة حمت تحت راية التوحيد أكثر جزيرة العرب ، وبلغت من القوة مبلغاً عظيماً ، وأنها في طريقها إلى استعادة مجد الأمة العربية في أحسن أيامها،وأنها سوف تحرر البلاد العربية الخاضعة للسلطان العثماني كالشام والعراق ومصر ، بعد أن حررت الحجاز وحرمت السلطان من لقب عزيز : خادم الحرمين !

... ارتعدت فرائص السلطان العثماني في استانبول واهتزّ كرسي عرشه من تحته ، واستبدّ به الخوف .. ولكن السلطان لم يكن قوياً بنفسه ، فالتمس من ينقذه من هذا (الكابوس) المرهق ، فلم يجد إلا رجلاً مغامراً يستجيب لرغباته ، وهو : (محمد علي).. مغامر أرناؤوطي ، لا يعرف اللغة العربية ، كان تاجر (تنباك) ، ثم أصبح رئيساً لعصابة من المحاربين .

جاء محمد علي الى القاهرة في ظروف عصيبة ، واستطاع بالمكر والرشوة أن يتولى الزعامة في مصر ، ثم استطاع أن يتخلص من (المماليك) الذين كانوا يسيطرون على الحكم ، بمذبحة رهيبة سالت فيها الدماء أنهاراً ، فلما فرغ من ذبح المماليك،مستعيناً عليهم بأبناء وطنه(الأرناؤوط)،انصرف الى التفكير في الخلاص من الأرناؤوط، حتى لا يستفحل أمرهم.. فقتل بعضهم وأرسل بعضاً الى الحجاز ليموتوا هناك ، وجمع جيشاً من (المرتزقة) من كل جنس،ومن الفلاحين المصريين البؤساء الذين ساقهم بالسياط .. وأرسل كل هؤلاء تباعاً الى الحجاز ، ليستولوا على الأرض المقدسة ويعيدوا الى السلطان العثماني لقباً عزيزاً فقده ولقاء هذه الخدمة .. كان محمد علي يطمع بأن يعطيه السلطان ولاية الشام بمواردها الكثيرة، ويطلق يده في أرض اليمن، يستولي على بنها الثمين ويحتكر بيعه في العالم،فتاجر التنباك ، لم تتغير (شخصيته) بعد توليه الحكم في مصر ، وصعوده من الحضيض الى القمة ، ولكنه أراد ان يضيف الى تجارة التنباك : تجارة البن !

أليست مأساة – مهزلة .. ان يتولى حرب الدولة السعودية الأولى ، باسم الدين والعروبة .. مغامر كان همه إطفاء نورهما والقضاء على حملة لوائها ؟!..

ولكن الله سبحانه وتعالى لطف بهذه الدولة المؤمنة، بعد محنة، فنهض زعيم

شجاع من آل سعود ، وهو الإمام تركي بن عبد الله ، بتحرير بلاده من الغزاة ، ورفع راية التوحيد وأسس الدولة السعودية الثانية ، واتخذ الرياض قاعدة لها ، وسيكون ذلك موضوع كتابنا القادم ، إن شاء الله .

- ٣ -

ولاية الامام عبد الله بن سعود

هل بويع عبد الله بولاية العهد ؟

جرت العادة ، في الدولة السعودية الأولى ثم في االدولة السعودية الثانية حتى وفاة الامام عبد الله بن فيصل ، على مبايعة الأبناء بالإمامة بعد الآباء ، ولو كان في الأسرة من هو أكبر من ابن الإمام سناً وأخطر شأناً،ثم تغير الأمر في أواخر الدولة السعودية الثانية ، حين تعاقب أبناء الإمام فيصل بن تركي على الإمامة ، وهم أخوة ... ومضى الأمر على هـــذا الأسلوب بعد وفاة المغفور له الملك عبد العزيز ، مؤسس المملكة العربية السعودية ، رحمه الله .

ليس معنى ذلك أن الإمامة منصب وراثي ، كان للأبناء ثم أصبح للأخوة ، فالإمامة في البلاد العربيـــة السعودية ، لا تشبه الملكيات الوراثية الأخرى في بلاد الشرق والغرب ، وإنمـــا هي أسلوب خاص من الحكم يتميز باتباع القواعـــد الشرعية المرعية في الاختيار والبيعة ، بل هو نوع من الانتخاب يتم عادة على مرحلتين :

المرحلة الأولى : تسمية الإمام القائم لولي عهده ، وأخـــذه البيعة له من أصحاب الحل والعقد ومن الجماهير .

المرحلة الثانية : البيعة (أو تجديد البيعة وتوكيدها) لولي العهد حين يدعى الى تولي الامامة ، بعد وفاة سلفه الامام القائم .

والواقع إن المرحلة الأولى ليست ضرورية ، فقد يموت الامام قبل تسميته لولي عهده ، وفي هـــذه الحالة يختار أصحاب الحل والعقد إماماً لهم ويبايعونه وتبايعه الجماهير بعدهم ، ولكن أكثر الأئمة السعوديين حرصوا على تسمية أولياء عهدهم ، قطعاً لاختلاف المتنافسين على الخلافة بعدهم ، فأصبح ذلك كالقاعدة أو « العرف الدستوري » !

فهل بويع الامام عبد الله بن سعود بولاية العهد، في حياة والده ، ثم جددت له البيعة إماماً بعد وفاة أبيه ، أم أنه بويع بالامامة ابتداءً ؟

لم يذكر لنا ابن بشر ولا غيره من مؤرخي نجد متى تمت مبايعة عبد الله بن سعود بولاية العهد، ويكتفي ابن بشر بالقول إن المسلمين بايعوا، بعد وفاة الامام سعود ، ولي عهده ابنه عبد الله .. ووصف عبد الله بأنه ولي عهد أبيه ، يعني أن البيعة أخذت له في حيـاة أبيه سعود ، ولكن شيئاً من الشبهة يحوم حول ذلك لسببين :

الأول : ما قيل من منافسات وقعت بين عبد الله وبين عمه واخوته حول إمامته .. مما يحمل على الظن بأن هؤلاء لم يلتزموا ببيعته من قبل !

الثاني : أن ابن بشر ، عند كلامه عن ولاية سعود ، قال :

(وفي هــذه السنة توفي الامام سعود ... جدّدت له البيعة في الدرعية في اليوم الذي قتل فيه أبوه) ..

وهكذا يرى ابن بشر في ولاية الامام سعود « تجديداً » لبيعة سابقة أخذت له بولاية العهد .. وهو لم يقل ذلك عند كلامه عن مبايعة عبد الله ، وإنما قال إن المسلمين بايعوه ... فمن المحتمل أنهم بايعوه ابتداءً لا تجديداً وتوكيداً لبيعة سابقة ...

مبايعة عبد الله بن سعود بالامامة :

إن لم يكن الأمير عبد الله بن سعود قد بويع بولاية العهد في حياة أبيه الامام سعود ، وهو أمر تشككنا فيه ، وقد يكون شكنا في غير موضعه ، فالشيء الثابت هو أن الامام سعود كان يقدم ابنه عبد الله على سائر اخوته ، وكان يكل اليه أحياناً قيادة الجيوش أو شن الغارات – وهو الأسلوب المتبّع عند الأئمة في التمهيد لخلافتهم – وكان عبد الله ، إلى ذلك ، أكبر أبناء سعود وأعلمهم ، ولعله كان أعقلهم أيضاً .. ويبدو أن سيرته كانت أقرب الى قلوب رجال الدين والشعب من سيرة اخوته الآخرين ، وأخص منهم أولئك الذين خالفوا أوامر أبيهم وذهبوا الى عمان يشنون الغارات ، ويجمعون الأموال ..

وخلاصة القول: إن الناس اتجهوا بقلوبهم وأبصارهم بعد وفاة الامام سعود الى ابنه البكر الأمير عبد الله بن سعود .

كيف بلغته وفاة أبيه وبايعه الجمهور :

توفي الامام سعود يوم الاثنين ١١جمادي الأولى سنة ١٢٢٩ في مدينة الدرعية وكان ابنه عبد الله يومئذ غائباً عن الدرعية ، في جهات الحجاز ، ومعه مقاتلون كثيرون من كل النواحي، يغير بهم على بوادي حرب، الذين انضموا الى صفوف الأعداء .. وقد بلغته وفاة أبيه وهو نازل على ماء « الخانوقة » ، في عالية نجد، فقام الشيخ علي بن الشيخ بتعزيته وتعزية الناس وبايعه،ثم بايعه الحاضرون من المقاتلين وغيرهم ، ثم تابع سيره الى الدرعية ، حيث بايعه أهلها ووفدت عليه الوفود من سائر الجهات تبايعه وتؤيده .

قال ابن بشر في أخبار سنة ١٢٢٩ :

(وفيها سار عبد بن سعود ، رحمه الله بجميع المسلمين من أهل نجد، الحاضرة والبادية ، خرج من الدرعية أول السنة ، فاجتمع عليه جميع النواحي ، وقصد جهة الحجاز – وذلك قبل وفاة أبيه سعود رحمه الله – ومعه علي بن الشيخ ،

رحمه الله تعالى ، فأغار على بوادي حرب ، وهم في الحيرة قرب « صفينة » ، القرية المعروفة في تلك الناحية ، فأخذ عليهم إبلاً وغنماً كثيرة ، ونزل بالغنائم صفينة ، وقفل منها فلما وصل الى (الخانوقة) ، المـــاء المعروفة في عالية نجد بلغته وفاة أبيه ، وهو نازل عليها ، فلم يشعر المسلمون بذلك حتى قرأ بهم علي بن الشيخ في صلاة الفجر بسورة الجمعة والمنافقين ، فلمـا بلغ قوله تعالى : ﴿ قل إن الموت الذي تفرُّون منه فإنه ملاقيكم ﴾ فهمَ منه بعض الناس من لفظه بالآيات وفاة الإمام ، لأنهم يعلمون أنه مريض ، فلما فرغ من الصلاة قـام الشيخ علي في الناس ووعظهم موعظة بليغـة وعزّاهم واستشهد بهذه الآية وأورد عليها كلام العلماء والمفسرين ، فانتحب الناس بالبكاء .

ثم قاموا وبايعوا عبد الله ، على دين الله ورسوله والسمع والطاعة .

.. وقفل عبد الله من موضعه ذلك إلى الدرعية .)

— ٤ —

الحركة الثقافية والحركة الاقتصادية والاجتماعية

كان عهـــد الامام عبد الله بن سعود سلسلة موصولة من المعارك ، لم تدعه يتفرغ لرعاية النهضة العلمية والاجتماعية ، ولكننا نرى أن « تباطؤ » النهضة بسبب الحروب لا يعني توقفها وانقطاعها تماماً ، فقد بقيت جذوة التعليم الديني متوقدة ، وكنا أشرنا -- في كتابنا عن الامام سعود الكبير -- الى أن الدولة السعودية الاولى سبقت العالم كله ، اقتداءً بسنة النبي ﷺ ، **الى وضع مبادىء مكافحة الأمية ، وإلزامية التعليم** ، وذلك أن الإمام سعود كلّف أمير كل بلد أن يختار عدداً من سكان البلدة ويلزمهم بالتعليم ويعطيهم من المال ما يكفيهم .

وكان آل الشيخ، الذين ظهر فيهم علماء من الطبقة الاولى ، في طليعة العاملين على نشر التعليم ، وكان في كل بلد عدد من العلماء يقومون بتدريس العلوم الدينية والعربية في المساجد أو في الدور ، وكانت بلدة الدرعية أكبر مراكز التعليم الديني في الدولة السعودية الاولى، فكان طلاب العلم يفدون اليها من كل الجهات، وأكبر الظن أن الحركة العلمية كانت قاصرة على علوم الدين ، وخصوصاً التفسير والحديث والفقه الحنبلي ، وأما العلوم التي يقال لها العلوم « الكونية » فلم يكن لها وجود ، لاشتغال الناس بالحروب .

لا نعرف إن كانت الطباعة البدائية ، على الحجر ، عُرفت في الدرعية ،

فنحن لم نجـد إشارة الى ذلك في أي كتاب ، ولذلك كانت المؤلفات تعتمد في نشرها على الوراقين الذين يكتبون منها نسخاً معدودة يتداولها الناس ، وربمـا طبعت أوائل الكتب النجدية في الهند أو العراق ، وكان طلبة العلم يستوردون المؤلفات الفقهية المشهورة من الشام والعراق ومصر .

ولم يظهر ، فيما نعلم ، شعراء من الطبقة الاولى في تلك الفترة ، وأكثر الشعر الذي قرأناه تغلب عليه المسحة الدينية ، وكان للشعر النبطي ، العامي ، مقام ، فكان يُنشد في مجالس الأمراء والأعيان ، وكان الأمراء أنفسهم ينظمون الشعر النبطي ، ولا نستطيع ، على كل حال ، أن نتكلم عن حركة شعرية ذات بال في الدولة السعودية الاولى ، والله أعلم !

الحركة الاقتصادية :

نزلت بالدولة السعودية ، في عهد سعود الكبير ، مجاعة دامت عدة سنوات، ويقول ابن بشر إن الجوع في نجـد اشتد على الناس (ولكن الله جعل لهم الأمن العظيم في نواحيهم ،يسافر الرجل الى أقصى البلاد من اليمن وعمان والشام والعراق وغير ذلك ولا يخشى أحـداً إلا الله ، وصارت الدرعية لهم رداءً كأنها البصرة والأحساء ، فمن أتاها بنفسه أو عياله وسع الله عليه دنياه) .

وهكذا كانت الدرعية ،بما توافر لها من موارد مالية وما يأتي اليها من أرزاق، في عيش رغيد، وكانت تفيض من خيراتها على من يفد عليها من البلدان الاخرى المحرومة ، وكان الناس يشترون حاجتهم من الطعام وغيره من البلدان الأخرى بسهولة لشيوع الأمن وسلامة الطرق، ولم يعمد الإمام سعود الى « تسعير » المواد الغذائية والأكسية وغيرها ، ولكنه كان يمد المحتاجين بالمعونات المالية والغذائية التي تضمن لهم ضرورات المعيشة ،وبذلك عرفت الدولة السعودية الاولى نوعاً من « الضمان الاجتماعي » ، فكان الأئمة يتعهدون المنكوبين والأيتام والأرامل والفقراء ويجرون عليهم من بيت المـال ، وكانوا يفعلون مثل ذلك طبعاً لطلبة العلم حتى يستطيعوا التفرغ للدرس ، وكل هـذا يُعدّ مساهمة حسنة في تخفيف الأزمات الاقتصادية التي كانت تجتاح البلاد بسبب القحط .

- ٥ -

وثائقنا ومراجعنا

كان مرجعنا الأول والمفضل ، في تحقيق أخبار هذا العهد : تاريخ ابن بشر ، ولكننا لم نكتف به ، كما فعل كثير من المؤلفين غيرنا ، ولم نكتف كذلك بزيادة يسيرة عليه نقتبسها من هنا وهناك .. وإنما رجعنا الى الوثائق التي وجدناها في استانبول ، ولندن ، وباريس ، والى كتب ومجلات ومجموعات نادرة طالعناها بصبر وجلد لنظفر منها ، بعد عناء ، بالواقعة التاريخية الصحيحة ، والكلمة المفيدة النافعة ، والرأي الحصيف ، ولولا رعاية صاحب الجلاله ، الملك فيصل المفدى ، وتشجيعه لنا وعطفه علينا ، لما استطعنا المضي في هذا العمل الكبير ، فالشكر لجلالته أول واجب علينا ، وإن كان ، أطال الله عمره ، يجد في الخير الذي يسديه الى الناس مسرة أعظم من سرور الناس بما أحسن اليهم ، وكذلك شأن الأئمة النبلاء وقادة الشعوب العظماء .

ولا يفوتنا كذلك اسداء الشكر الى صاحب المعالي ، وزير المعارف ، الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ ، الذي عرف ما يستوجبه تحقيق التاريخ السعودي من جهد ، فلم يبخل علينا بمؤازرته وتشجيعه ، بل تلطف أحياناً بقراءة ما كتبناه وأمدّنا بما عنده - وهو عالم - من ملاحظات وتصويبات ، جزاه الله خيراً كثيراً.

ونعود الى الوثائق ... لنقول ، في غير فخر ، ووضعاً للأمور في مواضعها : اننا أول مؤلف عربي كشف عن الوثائق العربية والتركية المحفوظة في استانبول والتي تتصل بالتاريخ السعودي ، وقد أشرنا الى ذلك في الجزء الأول من كتابنا (تاريخ البلاد العربية السعودية) [1] ، وكنا كذلك اول من كشف عن وثائق ومراجع كثيرة نادرة تتصل بهذا التاريخ وجدناها في لندن وباريس وغيرهما من البلدان الغربية والشرقية ، ولما عدنا من رحلاتنا قلنا لمعالي وزير المعارف ،بكل صراحة ،اننا تركنا أعداداً كبيرة جداً من الوثائق والمراجع لم نستطع لا تصويرها ولا نسخها ولا تلخيصها،فتفضل معاليه بانتداب الأديب الفاضل الشيخ محمد أمين التميمي الذي يحسن اللغة التركية ، للسفر الى استانبول ولنـــدن لتصوير تلك الوثائق ففعل وصوّر شيئاً منها ، وعاد ، ولما ينته ... فالمسألة فوق جهد الفرد الواحد ، فضلاً عن الرحلة الواحدة !

.. ان الأمل معقود الآن بدارة الملك عبد العزيز ، التي يترأسها معالي الوزير لاستكمال جمع الوثائق التاريخية ، وتصنيفها وترجمتها ، وتلخيصها ، والقيام على دراستها والإفادة منها ، ووضعها بين ايدي الباحثين، وفق الله كل عامل مخلص، وكل جندي من جنود النهضة العظيمة القائمة في المملكة .

قيمة الوثائق :

ليست الوثائق زينة .. تُعرَض في المعـارض .. ولكنها تُستخدم في تحقيق الوقائع التاريخية ، والكشف عما أغفـــله المؤرخون أو أخطأوا فيه .. بل هي مادة التاريخ الموثوقة ، ولولا عنايتنا بهذه الوثائق وبالمراجع النادرة أو المطوية .. لما اختلف كتابنا عن الكتب التي صدرت قبله !

وسيدرك القارىء ، عنـــد مطالعته لكتابنا ، قيمة الوثائق والمراجع التي استعنّا بها على إخراج هذا الكتاب .

---

(١) ترجم لنا أكثر هذه الوثائق عن التركية الأستاذ فوزي هنانو ، وقد تصرفنا قليلاً بترجمته الحرفية محافظين ما استطعنا على سلامة المعنى ، شاكرين لسيادته ولغيره ممن اشتركوا في ترجمـة النصوص التركية ، حسن مؤازرتهم .

وحَسْبُنا ، بعدُ ، أننا خطونا إلى الأمام خطى متواضعة .. ومهّدنا الطريق قليلاً لمن يؤلف بعدنا ، ويتجاوزنا ، ولكننا نعترف بأننا لم نبلغ الغـاية المنشودة ولا دنونا منها .. فهناك وثائق كثيرة لم نطلع على شيء منها ، وخصوصاً مـا هو موجود منها في مصر .

أما ما نشرناه في كتابنا من الوثائق المصرية فقليل جداً ، أخذناه عن كتاب الاستاذ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (الدولة السعودية الاولى) ، وما زلنـا في شك من صحة الرسائل التي ينسبها المؤلف الفاضل إلى الإمام عبد الله ابن سعود ، فأسلوب كتابتها يختلف كثيراً عن الاسلوب المألوف في نجد في تلك الأيام،ويستبعد أن يصدر عن الإمام عبدالله بن سعود مثل الكلام الذي تضمنته، وإنا لنرجو أن نوفق إلى التثبت من هذا الأمر والحصول على مزيد من الوثائق في الطبعة الجديدة لهذا الجزء ، وفي الأجزاء التالية من كتابنا ، والله الموفق !

— ٦ —

المعـــارك

في عهد الامام عبد الله بن سعود

قلنا إن عهد الإمام عبد الله بن سعود كان سلسلة موصولة من المعـارك التي خاضها ضد محمد علي وابنه طوسون وابنه البكر ابراهيم .

معارك محمد علي :

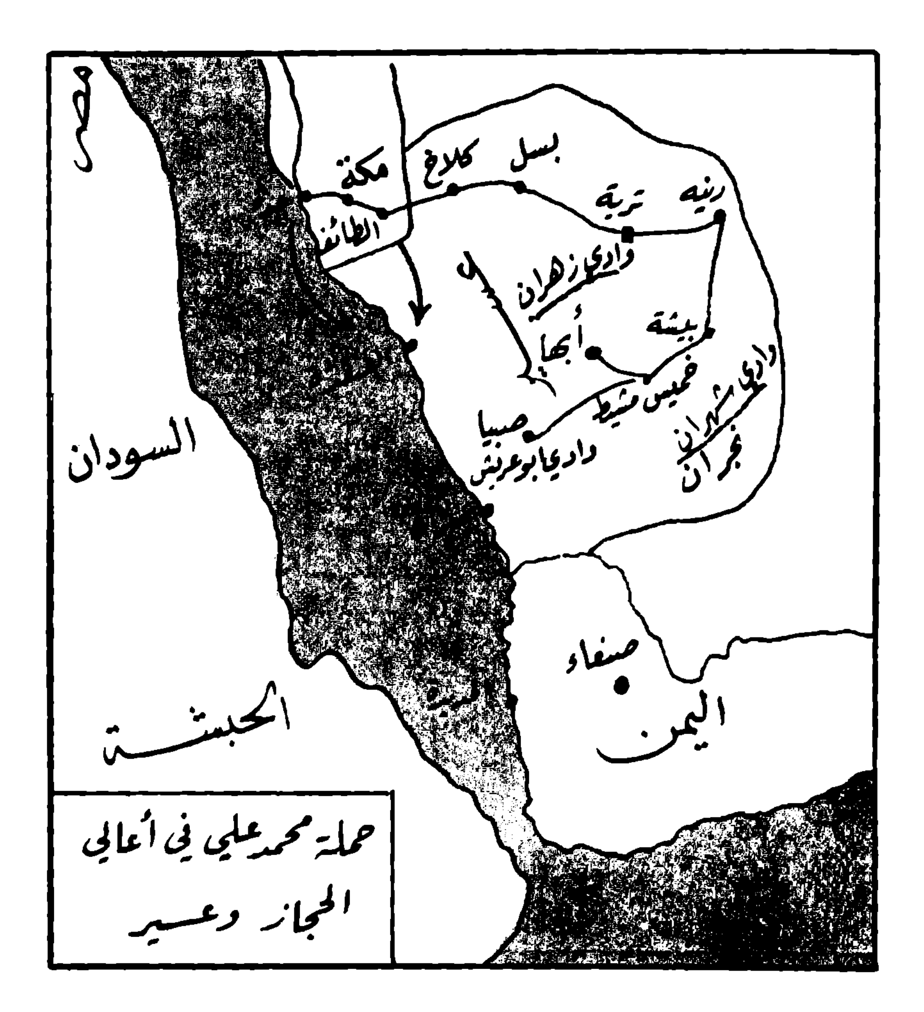
فأما محمد علي ، الذي ذكرنا في كتابنا السابق « عهد الإمام سعود الكبير » قصة مجيئه الى الحجاز،فيمكننا تلخيص ما فعله منذ بدأت ولاية الإمام عبدالله، في شهر جمادى الاولى ١٢٢٩ هـ. (١٨١٤ م.) حتى عودته (أي عودة محمد علي) الى مصر في رجب ١٢٣٠ هـ. (حزيران ١٨١٥ هـ.) كما يأتي :

١ – أرسل حملة كبيرة الى القنفذة ، تمهيداً للزحف الى اليمن ، فاستولت على البلدة ولكنها اضطرت الى الفرار منها ومنيت بخسائر جسيمة .

٢ – أرسل حمله أكبر منالاولى – قدر عدد أفرادها بعشرين ألف مقاتل – إلى وادي زهران ، فمنيت أيضاً بهزيمة شنيعة .

٣ – ثم حارب الجيوش التي يقودها فيصل بن سعود ، في « بسل » فتغلب عليها ، فسار الى « تربة » واستولى عليها بسهولة بعد أن أعجزته .. ثم استولى على بلدان عسير كلها ..

وتوضح لنا هذه الخارطة التي رسمناها خط مسيرة حملات محمد علي في أعالي الحجاز – ابتداءً من الطائف – وفي بلدان عسير .



حملة محمد علي في أعالي الحجاز وعسير

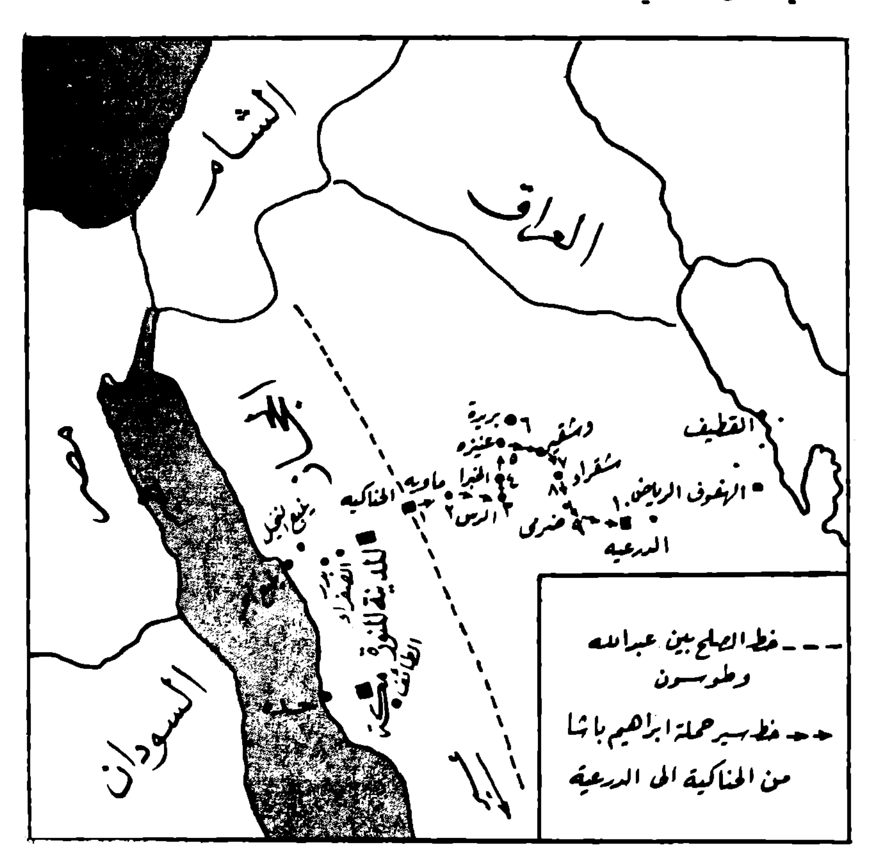
معارك طوسون :

لم يستطع طوسون ، خلال مقام والده في الحجاز ، تحقيق أي انتصار ، اللهم إلا استعادته « الحناكية » من السعوديين ، وقد أمره أبوه ، عند عودته الى مصر ، بالبقاء فيها والتوقف عن الحركة .. ولكنه أراد أن يصنع شيئاً يفاجيء به أباه فأرسل الرسل معهم الأموال والهدايا والعهود والضمانات الى أهل الرس والخبرا وبعض القرى فاتفقوا معه وأدخلوه بلدانهم سلماً .. ولما استعد

الإمام عبد الله لمحاربته ورأى طوسون عجزه عنه صالحه وتراجع الى الحناكية ، واتفق مع الإمام على خط يفصل بينهما بحيث يكون ما بعد الحناكية للإمام، وما دونها لطوسون .. وبعد عقد هذا الصلح غادر طوسون الحجاز الى مصر في شهر شعبان ، أي بعد عودة أبيه بأسابيع قليلة !

معارك ابراهيم :

بعد فترة الهدنة ، التي غاب فيها محمد علي وابنه طوسون عن الحجاز ، واستمرت سنة ، أو أكثر ، جهّز محمد علي حملة جديدة بقيادة ابنه ابراهيم باشا، كان الغرض منها الاستيلاء على الدرعية ، لا الإكتفاء بالحجاز .. وقد فصلنا أخبار هذه الحملة ، وتبين لنا الخارطة مسيرة جيش ابراهيم باشا ابتداء من الحناكية حتى الدرعية .



معارك محمد علي

مواقف المتحاربين

في شهر جمادى الاولى من عام ١٢٢٩ هـ . - ١٨١٤ م . وهو الشهر الذي توفي فيه الإمام سعود وبويع لابنه عبد الله بالإمامة ، كانت المواقف الحربية للجانبين المتحاربين كما يأتي :

١ - محمد علي في مكة ، يستعد لغزو عسير واليمن .. وابنه طوسون في الطائف ، يستعد لاستئناف القتال في تربة .

٢ - الامام عبدالله بن سعود في الدرعية يجهز لنفسه جيشاً يؤدب به العربان الذين ساعدوا المصريين .. وأخوه فيصل يستعد لقتال المصريين في جبهة تربة ..

وجاءت الحركة الاولى ، لهذه الجيوش المتحفزة للحركة ، من ناحية محمد علي، الذي رأى أن خصومه، في عسير، يعتمدون كثيراً في تموينهم على (القنفذة) بحراً ، و (تربة) براً ، فقرر الاستيلاء على هذين الموقعين !..

ويقول الجنرال فيغان إن عدد جنود محمد علي لم يكن يتجاوز يومئذ أربعة آلاف مقاتل ، ثم جاءه من مصر ثلاثة آلاف رجل، فأصبح عدد جنده سبعة آلاف ، ولكنه كان يدّعي أن جيشه يضمّ خمسة وثلاثين ألف مقاتل، ليخدع أعداءه ويوهن عزائمهم !

معركة القنفذة

يقول بلايفر إن محمد علي كان يطمع في ثروات اليمن – وخصوصاً بنّها المشهور – وكانت خطته تتلخص باستخدام الشريف حمود لمحاربة النجديين، ثم التخلص من الشريف حمود والإستيلاء على بلاده، ثم التغلغل في اليمن، بحيلة الإتفاق مع إمامها على قتال النجديين ...

أرسل محمد علي إلى الشريف حمود مندوباً اسمه (الآغا يوسف)، يطلب مؤازرته ضد النجديين، فتهرب حمود من الجواب، فتابع المندوب طريقه إلى صنعاء، وهناك أحسن إمام اليمن وفادته، ولكنه اعتذر له عن محاربة نجد، واكتفى بالإذن له باستخدام عدد من الداوات في نقل الجنود المصريين عبر البحر الأحمر !.

لم يحقق المندوب ما كان ينشده محمد علي عند إمام صنعاء والشريف حمود من المؤازرة، ولكنه عاد يحمل اليه أخباراً كثيرة عن عسير واليمن، وفي مقدمتها أن ميناء القنفذة سهل المأخذ، باسط ذراعيه للفاتحين !.

وهكذا أرسل محمد علي خمسة عشر ألف جندي إلى القنفذة، وعقد لواءهم لحسين آغا وزين أوغلو .

هاجم المصريون القنفذة في جمادى الثانية من عام ١٢٢٩ هـ.، وكان هجومهم عليها من البر والبحر في وقت واحد، وقد رموا حاميتها المؤلفة من خمسمائة مقاتل عسيري بالمدافع والقذائف، ولما يئست الحامية من جدوى المقاومة طلبت

الأمان وسمح لها بالجلاء عن البلدة ، ودخلها (العساكر المصريون ، وليس بها غير أهلها، فقتلوهم وقطعوا آذانهم وأرسلوها إلى مصر ليرسلوها إلى استانبول) [1].

استولى المصريون على القنفذة بسهولة ويسر ، ولكنهم ارتكبوا غلطة حربية هائلة ، وهي أنهم لم يستولوا على العين التي تمد القنفذة بماء الشرب، فأسرع طامي ابن شعيب (أبو نقطة) إلى الإستيلاء على العين وحبَسَ الماء عن القنفذة ، ثم طوّق البلدة بثمانية آلاف مقاتل ، فأراد المصريون فك الحصار والوصول إلى الماء فعجزوا عن ذلك وسقط منهم قتلى كثيرون وأصبحوا مهددين بالموت عطشاً ، فرأى قادتهم أنه لم يبق لديهم سوى وسيلة واحدة للنجاة من الموت ظمأ أو الأسر وهي .. العودة إلى جدة ، فأسرعوا إلى سفنهم الراسية في الميناء لا يلوي أحد على أحد ، تاركين كل ما كان معهم من خيل ومتاع ومؤن وخيام وسلاح ..فجاء رجال عسير ، الذين يقودهم البطل الشجاع طامي وأخذوا كل ذلك غنيمة [2] .

معركة زهران :

في أواخر سنة ١٢٢٩ هـ. أرسل محمد علي جيشاً مؤلفاً من بضعة آلاف مقاتل إلى وادي زهران للاستيلاء عليه واتخاذه قاعدة ومنطلقاً للحركات الحربية ، لما لهذا الموقع من قيمة (استراتيجية) عظيمة ، وربما كان له من وراء ذلك غرض آخر وهو الانتقام من (طامي) الذي استرد القنفذة واضطر المصريين الى الهرب بحالة مزرية !

يقدر ابن بشر عدد أفراد الحملة المصرية إلى وادي زهران بعشرين الف مقاتل من الترك والمغاربة، وهذا العدد مبالغ فيه كثيراً، وأما عدد المدافعين عن وادي زهران ، تحت قيادة زعيم تلك الناحية الشيخ بخروش علاس، فلم (يحدّده)، وإنما اكتفى بالقول أن طامي أمدّه بعشرة آلاف مقاتل ، (وانضمت اليه طوائف شعلان .. وابن دهمان .. وابن حابس .. وغيرهم ، وحصلت المواقعة بين الترك

---

(١) ابن بشر .

(٢) الجبرتي .

وبين تلك الجنود الحجازية والتهامية قرب حصن بخروش واقتتلوا قتالاً شديداً ، وانهزم الترك هزيمة شنيعة ، فغنم المسلمون خيامهم ومحطتهم وزهبتهم وأزوادهم وبغالهم ، وقتل من الترك مقتلة عظيمة ، أكثر من ألف ، ولم يسلم منهم إلا من هرب على الخيل) .

هل طلب محمد علي الصلح ؟

مني محمد علي بالهزيمة في القنفذة وزهران ، وانهزم ابنه طوسون في تربة وضرب عليه الحصار في الطائف، فلماذا لم يسرع عبد الله الى قتال محمد علي وابنه وهما في هذه الحالة من الضعف والإنكسار ،وتركهما يستردّان أنفاسهما وينتظران آمنين مدداً جديداً من مصر ؟

.. ولماذا شغل عبد الله نفسه بقتال عربان من مطير وحرب قبل القضاء على الخطر الأكبر الذي يتهدده ؟

.. ولماذا أرسل ، بعد ذلك ، أخاه فيصل الى تربة ، ليكون قائداً لجموع المسلمين هناك ، مع أنه كان مطالباً ، في تلك اللحظات الحرجة ، بأن يتولى هو نفسه القيادة ويضرب ضربته الحاسمة ؟

الخلاف بين أبناء سعود :

يشير بعض المؤرخين الى اختلاف وقع بين أبنـاء سعود كان سبباً في إضعاف عبد الله واضطراب سياسته وبطء تحركاته .. ونحن لا نملك عن هـذا الخلاف وآثاره إلا قدراً محدوداً من الحقائق ، بل إشارات غامضة ، كالتي جاءت في إحدى مقامات الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ حيث يقول :

(توفي سعود وهم غزاة على ما كان معيناً لهذا المعسكر من البوادي فأخذوا وغنموا ، فبقي لهم من الولاية ما كانوا عليه أولاً ، إلا ما كان من مكة والطائف وبعض الحجاز .

وبعد وفاة سعود ، تجهزوا للجهاد ، على اختلاف كان من اولئك الأولاد ، فصاروا جانبين :

– جانباً مع عبد الله .

– وجانباً مع فيصل .

ونزل عبد الله (الحناكية) ، ونزل فيصل (تربة) ، باختيـــار وأمر من أخيه له) .

ويقول الشيخ عبد الرحمن أيضاً إن محمد علي حج سنة ١٢٣٠ هـ. وكتب الى فيصل بن سعود يطلب منه أن (يصالحه على الحرمين ، فأبى فيصل وأغلظ له الجواب ، وفيما قال :

(لا أصلح الله منا من يصالحكم   حتى يصالح ذئب المعز راعيها)

ومعنى ذلك أن الأمير فيصل رفض عرضاً للصلح من غير أن يستشير في ذلك أخاه الإمام !..

معركة بسل

كان محمد علي داهية، فأعلن، بعد هزيمة جيشه في زهران ، أنه سوف يحارب النجديين حرباً لا هوادة فيها ولن يدعهم حتى يخرب عاصمتهم الدرعية ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك ، فأمر جماعة من جنده أن يطوفوا في شوارع مكة بأحمال من بزر البطيخ ، ويقولوا للأهالي إنهم يريدون زرعها في أراضي الدرعية، بعد تهديمها وتحويلها إلى أرض للزراعة !.. [1]

كان ذلك نوعاً من الحرب النفسية ، ولكنه كان اسلوباً ناجحاً قوّى عزائم جنده وأخاف خصومه ، فلم يسرعوا إلى قتاله ، وهكذا استطاع محمد علي أن ينتظر آمناً ورود الإمدادات الجديدة من مصر ، فيتقوّى بها ويصبح قادراً على خوض المعارك وتحقيق الانتصارات !

وكانت المعركة الاولى التي خاضها ضد الجيش السعودي الذي يقوده الأمير فيصل : معركة بسل .

تعدّ معركة (بسل) من أعظم المعارك في تاريخ الحروب المصرية في جزيرة العرب ، ويشبهها دريو بمعركة (اوسترليتز) ، التي انتصر فيها الامبراطور الفرنسي نابوليون ، وتعدّها فرنسا من أعظم أمجادها الحربية ، ويتساءل دريو : لماذا لا يحتفل المصريون بذكراها كل عام ؟

---

(١) انظر دريو .

وبسل قلعة بين الطائف وتربة ، وكان النجديون متجمعين عليها ، فسار اليهم محمد علي بجيشه ، وقاتلهم ، ثم نشر في اليوم السابع من صفر ١٢٣٠ هـ . بلاغاً على أهل مكة ، قال فيه ما خلاصته :

(خرجنا من مكة في ٢٦ محرم ، يوم السبت ، ووصلنا إلى « كلاخ » يوم الاربعاء ، وكان قصدنا الوصول إلى تربة ، لمحاربة الوهابيين الذين كان يقودهم فيصل ، ومعه طامي بعشرة آلاف من عسير ، وابن شكبان وابن دهمان وابن قطنان ونخروش ، وكل عرب بيشة والدواسر والبقوم وعرب الحجاز وصبيا والعارض ، بحيث يبلغ مجموع عسكرهم أربعين ألفاً .

وقد أغراهم الشيطان ودفعهم إلى مهاجمتنا ، فتركوا تربة وساروا إلى « بسل ».. فأرسلنا اليهم عدداً من فرساننا ومدافعنا ، فوجدوهم منتشرين على الجبال ، وقد قاوموا قواتنا مقاومة شديدة ، فتابعنا حملتنا عليهم ولم نترك لهم متسعاً للراحة ، وأغلقنا الدروب والمنافذ التي يستطيعون الهرب منها، ثم وصلتنا نجدات جديدة،فقمنا بحملة جديدة عليهم واتبعنا معهم خطة بارعة فاستدرجناهم إلى النزول من الجبال إلى السهل .. فانتصرنا عليهم ورويت سيوفنا من دمائهم ، وقد استولينا على خمسة آلاف من خيالتهم وعلى خمسة آلاف فرس وبعير ، وأسرنا عدداً منهم ، وغنمنا مؤناً ومعدّات كثيرة .

ثم تابعنا سيرنا إلى تربة ، التي كان فيصل لجأ اليها ، فوصلنا إلى ضواحيها يوم الثلاثاء ، فلما عرف فيصل بمسيرنا هرب من البلد بسرعة ، واستسلمت الينا الحامية التي كانت فيها ، فدخلناها بسلام) .

رواية ابن بشر :

(في أول هذه السنة – ١٢٣٠ – جرت الوقعة المشهورة بين فيصل بن سعود وبين الترك في « بسل » ، القصر المعروف قرب الطائف .

كان مع فيصل ١٠ آلاف مقاتل من نجد ، وعشرون ألف مقاتل من عسير وألمع وزهران وغامد وغيرهم .

اجتمع هؤلاء المقاتلة في « غزيل » ، بئر كبير .. قرب تربة ، ثم ساروا من هناك إلى الترك المجتمعين على بسل .

في اليوم الأول نازل المسلمون الترك وقتلوا منهم عدداً كبيراً ..

في اليوم الثاني جاء محمـــد علي بعساكر كثيرة مدداً .. ووقع قتال شديد ، فثبت فيصل ومن معه .. وانهزم رجال غامد وزهران ، ثم رجال طامي ، ثم عمّت الهزيمة واتصلت على جموع المسلمين لا يلوي أحد على أحد .

ولكن الله حمى المسلمين فاستطاعوا النجاة ، ولم يقتل منهم إلا نحو مائة .. وتفرقت الجموع ، وعاد فيصل وابن قطنان وابن شكبان .. إلى تربة) .

وصف الغربيين لمعركة بسل :

يقول جيوفاني فيناتي Jiovanni Finati إن محمد علي كان يمر بين صفوف جنوده ويقول :

(إن مستقبل مصر وشرفها مرهونان بهذا اليوم) .

وقد أوكل إلى فرقة من المغاربة أن تكون طليعة الهجوم .

ثم أخذ سجادة وبسطها على الأرض ووضع عليها نارجيلة ، وقال :

(لن أرجع عن هذا المكان أو أموت) .

ويقول دريو ان عدد المقاتلين في صف محمد علي كان أقل من مقاتلي فيصل ، ولكن آليات محمد علي كانت أكثر وأمضى ، وقد انتصر محمد علي بحيلة بارعة ، وذلك انه أنزل الوهابيين من الجبـــال والتلال إلى السهل ، حيث فتكت بهم أسلحته بسهولة .

وصف بركهارت :

ويقول بركارت ان آخر كلمات سعود إلى ابنه عبد الله كانت تحذيره من مقاتلة الترك في السهل ، وكان على الوهابيين أن يتذكروا هــذه الوصية ، ولو طبقوها لما انهزموا ..

كان بركهارت مقيماً في مكة أثناء معارك بسل ،وقد وصفها لنا وصفاً جميلاً، فقال ما خلاصته :

(في ٢٦ محرم سنة ١٢٣٠ هـ . – ٧ يناير سنة ١٨١٥ م .) بدأ محمد علي زحفه إلى كلاخ فبلغه وهو في طريقه اليها ان الوهابيين متجمعون على بسل ،وان فرقة منهم هاجمت حلفاءه بدو عتيبة ، فأرسل بعض رجاله وعليهم الشريف راجح لمؤازرة عتيبة ، وسار هو وكبر جيشه إلى بسل ، لمقاتلة الوهابيين .

كانت قوة الوهابيين تقدر بخمسة وعشرين ألفاً ، معهم قليل من الخيل،ونحو خمسة آلاف بعير، وليس معهم مدافع ، وكان أكثرهم من أهل الجنوب ، وأمير الجميع فيصل بن سعود، ومعه ابن خرشان شيخ تربة ، وابن شكبان شيخ بيشة ، وبخروش رئيس زهران وغامد ، وابن دهمان رئيس شمران ، وغيرهم .

بدأ الفرسان الترك الهجوم ، وبقي الوهابيون معتصمين بالجبال ، فوقعت بين الفريقين مناوشات، وهرب جماعة من الترك إلى مكة ، فكان لهزيمتهم أسوأ الأثر في نفوس الأتراك في مكة ، لأنهم خافوا أن يذبح الوهابيون الجنود الترك عن بكرة أبيهم ، وقد رأيت تركياً يستأجر مكارياً بمبلغ كبير من المال ليوصله إلى جدة خوفاً من دخول الوهابية مكة وذبحهم من يجدونه فيها من الترك أو أسرهم ..

أما أنا فقد التجأت إلى الحرم المكي مع عبدي،لأن الوهابيين يعرفون للمساجد حرمتها ، ولكننا فوجئنا بعد ذلك بقليل بأنباء هزيمة الوهابيين ..

ذلك ان محمد علي وصلته نجدة جديدة من ألفي مقاتل ، واتبع خطة حربية ماكرة ، فهجم على الوهابيين ، ثم تظاهر بالهزيمة ، ليستنزلهم من الجبال التي كانوا ممتنعين فيها ولا سبيل إلى قهرهم وهم عليها .. وقد نجحت خطته ، فنزل الوهابيون من الجبال ليلحقوا، في زعمهم، المنهزمين .. ولكن محمد علي كان لهم بالمرصاد ، فكرّ عليهم وهزمهم هزيمة منكرة ، وقتل منهم وأسر أكثر من خمسة آلاف ..

ويقال ان الشريف راجح دخل بعد انتهاء المعركة خيمة كبيرة كانت لأحد كبار الوهابيين ، فقال له محمد علي : لمن الخيمة ؟ .

قال : لفيصل بن سعود .

قال : هي لك بكل ما فيها ..

وفرح الشريف بهذا العطاء ، ولكنه لم يجد في الخيمة أكثر من ألفي قرش ..

إن سبب هزيمة الوهابيين هو نزولهم من الجبال ودخولهم المعركة في السهل، حيث كان الترك بمدافعهم وأسلحتهم وفرسانهم أقدر منهم على الانتصار فيها .

ومع هذا ، قام أفراد من الوهابيين بأعمـــال تعد غاية في الشجاعة ، فابن شكبان ، مثلاً ، اخترق ببضع مئات من رجاله الجبهة المصرية ، ونجا ..

وبخروش قتل بيده اثنين من قادة محمد علي ، ثم عقر جواده ، ولكنه تسلل الى صفوف المصريين وأخذ جواداً من جيادهم وامتطاه وهرب به ..)[1] .

ملاحظتان لابن بسام :

ويقول الشيخ محمد البسام أن رؤساء الجيوش هم الذين أشاروا على فيصل بالخروج من تربة ومهاجمة محمد علي قبل أن يتكاثر عسكره ..

وهم أيضاً الذين أشاروا عليه بالنزول من أعالي الجبـال الى أسفل ، حتى يتقي مضرة المدافع ، فلما نزل ظن الجنود أنه انهزم ، فوقع الفشل .

رواية المقامات :

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن في مقاماته أن محمد علي،بعد رفض فيصل للصلح الذي عرضه عليه ، أخذته العزة والانفة (فسار الى بسل .. فاستعجل فيصل بمن معه فساروا اليه في بسل ، وقد استعد لحربهم خوفاً مما جرى منهم ، فأقبلوا وهم في منازلهم فسارت عليهم العساكر والخيول فولوا مدبرين .

لكن الله أعز المسلمين فحبس عنهم تلك الدول والخيول ، حتى وقفوا على التلول ، فسلم أكثر المسلمين من شرهم ، واستشهد منهم القليل ، ولا بـــد في القتال ، أن ينال المسلم أو منه ينال ، وتلك الأيام نداولها بين الناس) .

---

(١) هرب بخروش وقع في معركة زهران ، التي جرت بعـــد معركة بسل ، كما روى ذلك المؤرخ الفرنسي غوان .

استسلام تربة

يقول بركهارت إن محمد علي سار إلى تربة بعـد أربعة أيام من انتصاره في بسل، وكان على رأس جنوده ، وكانت معه مدفعية قوية ، واصطحب معه عدداً من النجارين والحدادين والمعماريين ومعهم كثير من العمال يحمـلون الفؤوس والألغام ، وذلك لقطع أشجار النخيل التي تحيط ببلدة تربة وهدم أسوارها ، لأنه كان يرى أن هذين الحاجزين – النخيل والأسوار – همـا اللذان كانا السبب الحقيقي في إخفاق ولده طوسون وهزيمة جيوشه عند أبواب تربة .

ويقول (فيناتي) إن أخبار هزيمة النجديين الساحقة في بسل وصلت بسرعة إلى تربة ، فعمّ الرعب ، وهرب الرجال من البـلدة ولم يبقَ فيها إلا النساء والمستضعفون من الرجال والأطفال وقليل من ملاّك الأراضي ..

أما غالية ، زعيمة تربة المجاهدة ، التي أرسلت إلى محمد علي كتاباً تتحدّاه فيه وتقول له: (إن لم يخرج جنودك من بلادنا فسآتي بنفسي اليهم وأطردهم من كل مكان يختبئون فيه ..) فقد خرجت مع بعض رجالها إلى الدرعية ، بعد أن تخلى عنها كل الناس .

ويقال إن محمد علي حاول أن يفاوضها ، فرفضت، وكان محمد علي يشتهي أن يمسك بها بأي اسلوب ويأخذها معه إلى مصر ، لتسير في موكبه ويعتز بانتصاره على هذه البطلة – الاسطورة .

ويزعم الشيخ محمد البسام أن فيصل بن سعود بعد هزيمته في بسل توجه إلى المرأة غالية ، وانها لما علمت (بنصرة الروم عليه ، أغلقت الأبواب دونه ، وأخذت ترميه بالبنادق والأطواب ، ففرّ إلى أخيه منهزماً) .

وهذا كلام غير صحيح ، ولو انها فعلت ذلك ما ذهبت إلى الدرعية ..

وينقل البسام رواية اخرى غير صحيحة عن غالية ، فيزعم أنها أخذت مواثيق من محمد علي باشا على نفسها وملكها وما تملك من آلة الحرب من خيل وركاب وأسلحة ، وأنها بقيت في تربة ..

ولكن البسام نفسه يعود فيكذب هذه الرواية ويقول (إنها لما انهزم فيصل وأيقنت بالقهر ، أخذت ما عزّ ، وتوجهت إلى الدرعية .. وملك محمد علي أرضها وديارها وأموالها) .

رواية ابن بشر :

ذكر ابن بشر في أخبار سنة ١٢٢٩ هـ. ان عبدالله بن سعود أمر أخاه فيصل بالمسير إلى تربة ويكون قائداً فيها لجموع المسلمين التي فيها من تهامة والحجاز وغيرهما ، مع من معه من أهل نجد ، وكان الأمير على الجيوش قبله غصاب العتيبي .

ويقول ابن بشر ، بعد ذلك ، إن فيصل ورؤساء جيوشه ، طامي وابن قطنان وابن شكبان ، وغيرهم ، توجهوا ، بعد هزيمتهم في بسل ، إلى تربة (وهم يظنون أن الناس يجتمعون فيها بعد الهزيمة ، فوجدوهم قد تفرّقوا ..

ثم إن محمد علي ، صاحب مصر ، والترك رحلوا من بسل ، وقصدوا تربة ، فخرج فيصل منها وتوجه إلى « رنية » ، وتفرّق الأمراء في نواحيهم ، ثم رحل فيصل من رنية إلى نجد .

ونزل الترك بلد تربة ، واستولوا عليها ، وأخرجوا مَن كان في ثغورها من المسلمين) .

أفراح مصر .. وهدايا الانكليز :

ويقول الجبرتي ، في أخبار ربيع الأول سنة ١٢٣٠ هـ. :

(وصلت البشرى .. بنصرة الباشا على العرب ، وأنـه استولى على تربة ، وغنم منها جمالاً وغنائم وأخذ منها أسرى ..

وفي أواخره ورد لحضرة الباشا هدية من بلاد الانـكليز وفيها طيور مختلفة ، وآلة مصنوعة لنقل الماء ، يقال لها (الطلنبة) ، وهي تنقل المـــاء من المسافة البعيدة ومن الأسفل الى العلو) .

لقد كان الانـكليز هم أيضاً يتظاهرون بالصداقة للفاتح الجديد !.

معارك عسير

سار محمد علي ، بعـــد استيلائه على تربة ، إلى عسير ، وذلك في صفر سنة ١٢٣٠ هـ . ، فاستولى على (بيشة) وعلى جميع قراها ، ثم سار إلى (شهران) و (زهران) فاستولى عليها أيضاً .

كتاب محمد علي الى السلطان :

رأى محمد علي أن يستغل انتصاراته في تحقيق مطامعه في الشام ، فكتب إلى السلطان العثماني يبشره بالنصر ، ويطلب منه منحه ولاية الشام ليستعين بمواردها في متابعة الحرب وتحقيق مزيد من الإنتصارات .

وقد أشار محمد علي في سالته إلى ظفره في تربة ورنية وغيرهما ، وقال إن محاربة (العصاة) المعتصمين بالجبال بفرق نظامية تخالف قواعد الفن الحربي .. ولكنه استعان بالله وأقدم على حربهم فوفقه الله ، ثم أردف قائلاً :

(.. عند وصولنا إلى بيشة أعطينا العشائر المقيمة هناك ، وتقدّر بعشرة آلاف، الأمان ، ولكننا أدّبنا وقتلنا من يستحق العقاب منهم ، وأقمنا هنـــا عشرين يوماً حتى استقر السلام ، وقد نصّبنا على العشائر رؤساء من شيوخهم الكبار وألبسناهم الخلع ، وهدمنا القلعتين الحصينتين المبنيتين هناك وأبقينا في تلك المنطقة حاميــة تتألف من ألف مقاتــل ، نصفهم من الفرسان ونصفهم من المشاة .

ثم سرنا إلى قرى اليمن المعروفة باسم شهران ، فأعطينا شيخ تلك الجبهة

المعروف باسم (مشيط) الأمان ، وعاهدنا على الطاعة للسلطان وبذل المعونة لجيوشنا .

ثم تحركنا الى (زهران) ، وكان عليها أمير يدعى (بخروش) ، رجل (ملعون) – كذا – معه بضعة آلاف من أتباعه ، وكان معتصماً في القلعة ، فحاصرناه ، وإنا لنهمّ بدخول القلعة إذ خرج منها فجأة عدد من رجاله طالبين الأمان ، قائلين انهم نصحوا للأمير بترك المقاومة .. فدخلنا القلعة وأخرجنا من فيها ..) .

كيف تمّ الاستيلاء على بيشة ؟

يقول ابن بشر إن محمد علي وعساكره (ساروا الى بيشة ونازلوا (اكلب) ، فأطاعوا لهم ، ثم ساروا الى تبالة[1] فنازلوا شعلان أمير الفزع وشمران في قصره ثالث عشر صفر ورموه بالمدافع والقنابر فثلموه وقتل شعلان وغالب من كان معه ، نحو مائة رجل .

ثم ساروا الى بقية قرى بيشة ، وقد انهزم آل شكبان وتركوا قصورهم ، فسلم لهم بقايا اكلب والحلف بن مهدي وسلول وغيرهم ، ولم يبق لهم في بيشة منازع) .

ويقول المؤرخ الفرنسي ادوار غوان إن العرب يسمون بيشة : (مفتاح اليمن) ، وإن عرب بيشة جاؤوا الى محمد علي والتمسوا منه أن يعيد اليهم رؤساهم الذين كان سعود وأمراؤه قد عزلوهم من مناصبهم التي كانوا يتوارثونها كابراً عن كابر ، ففعل : عزل الرؤساء الذين عينهم سعود وأعاد القدامى !

الاستيلاء على رنية وشهران :

يقول ابن بشر إن محمد علي بعث الشريف راجح (الى رنية بعساكر ، فهرب منها ابن قطنان ، فدمر ثغورها وبيوتها وأشعل فيها النيران .

---

(١) هي البلد التي هدم فيها المسلمون (ذا الخلصة) زمن عبد العزيز بن محمد بن سعود وهو الصنم الذي بعث اليه النبي (ص) . جرير البجلي فهدمه . فلما طال الزمن أعادوه فعبدوه .
– ابن بشر –

ثم إن محمـد علي وعساكره ساروا في وادي شهران ، فكل من مرُّوا به في مسيرهم أطاع لهم ، مثل قبيل ورزحان ورعاياهم .
ثم مرُّوا ببلاد محمد بن واكد ، من شهران أيضاً ، فأطاعوا لهم .
ثم مرُّوا ببلاد مشيط، صاحب الخميس، ورعاياه من شهران، فسلموا لهم.).

الاستيلاء على زهران :

لا يتكلم ابن بشر عن مسير محمد علي إلى وادي زهران ، لمقـاتلة بخروش والاستيلاء على بلاده ، والحقيقة هي أن محمد علي كان شديد الحرص على إخضاع بخروش ، لأن بخروش تحدّاه وكتب اليه رسالة عنيفة اللهجة ختمها بقوله : خير لك أن تعود إلى مصر وتتنعم بالشرب من ماء النيل ..

أسر محمد علي بخروش وسجنه ، ويقول (غوان) إن بخروش استطاع ذات ليلة ، في غفـلة من الحرس ، قطع سلاسله والهرب .. ثم استلَّ خنجره وقتل ضابطين مصريين وجرح ثالثاً..وأخيراً أمسك به الجنود وأحضروه إلى محمد علي، فقال له محمد علي : بأي حق قتلت اثنين من رجالي ؟

قال : لقد أفلتُ من قيودي وأصبحت حراً ، فأنا أفعل ما أريد !..

قال محمد علي : وأنا كذلك !

وأمر برأس بخروش فقطع ، وأُرسل إلى القاهرة فاستانبول .

سنة ١٢٣٠ :

المعركة مع طامي

رسالة محمد علي :

يقول محمد علي في رسالته إلى السلطان إنه سار بعد انتصاراته في زهران (إلى حصون الأمير ، المدعو « طامي » ، وكان مقيماً في القرية المعروفة باسم : « طبب » ، فلما حاصرنا قلعتيه وأردنا الهجوم عليها واقتحامها أسرع بالفرار ، ولجأ إلى الشريف حمود ، صاحب « أبو عريش » ، فدخلنـا القلعتين واستولينا على ما فيها من مدافع وذخائر ومعدات حربية ، ثم هدمناهما ..

وبعد ذلك أرسلنا عدداً من رجالنا ، وعلى رأسهم الشريف راجح ورئيس

حجابنا ، ليتعقبوا طامي ، وأمرناهم أن يعودوا به حياً أو ميتاً .

أسر طامي جماعة من عشيرته وأحضروه إلى الشريف حمود ، فسلمه هـذا إلى رجالنا ، فعادوا به الينا .

إن طامي – هـذا الملعون وابن الملعون (كذا ..) – رجل لا نظير له في الإجرام ، وقـد كان جمع حوله أكثر من خمسة وعشرين ألف مقاتل من القبائل انتشروا على السواحل ، يتعرضون للتجار الوافدين من الهنـد واليمن إلى جدة ويسلبونهم سفنهم وأموالهم ويلقون بجثثهم في البحر ... ولذلك انقطعت السفن عن تلك الجهات ، والآن .. أنقذ الله العباد منه .

لقد أُحكم وثاق هذا الملعون وسُلـّم إلى رئيس حجابنا ، ليذهب به ويسلـّمه إلى مقر السلطنة السنية في استانبول .) .

رواية غوان :

ويقول غوان ، في كتابه (مصر في القرن التاسع عشر) ، إن جنود مصر ، بعد معـارك بسل وتربة وبيشة وزهران ، كانوا متعبين ، وكانت تنقصهم المؤن حتى اضطروا إلى ذبح عدد كبير من جمالهم لأكلها ، وشاركهم محمد علي ذلك ، مع كراهيتهم للحم الجمال .

وقد زاد محمد علي مخصصات جنـده ليتمكنوا من شراء القمح ، وأعطاهم الوقت الكافي للراحة ، ثم أمرهم بالمسير إلى بلاد طامي .

كانت المنطقة وعرة وصعبة ، لا تستطيـع الآليات المرور بها إلا بمشقة وعناء كبيرين، وأخيراً .. وصل المصريون إلى قلاع طامي ، فصبُّوا عليها قنابلهم حتى دكـّوها دكاً ، ودخلوا بلدة طامي ، وأقـاموا الشيخ « ابن مدرى » أميراً على عسير ، بدلاً من طامي .

كان مع طامي عشرة آلاف من المقاتلين الأشداء ، وقد وقعت بينهم خسائر كبيرة ، وأما محمد علي فلم يخسر في هذه الحملة سوى ١٨٠ رجلاً) .

رواية النعمي :

يقول النعمي إن طامي بن شعيب كان (قد شكل خط دفاع في قمم الجبال

المسماة طلحة) ، واستطاع محمد علي تذليل الصعوبات عبر الحدود الشرقية لعسير حتى وافى طلحة .. ثم نشب القتال مع عشيرة الأمير طامي ، وكانوا بقيادة المدعو (حوان) العسيري ، وكان الظفر في ابتداء القتال للعسيريين ، ولكنهم هزموا أخيراً شر هزيمة ، واعتصموا في حصون (طبب) بقيادة الأمير محمد بن أحمد – ابن عم طامي – فتعقبهم محمد علي في حركة خاطفة حتى أحاط بالحصون من كل جانب ، وذلك في ١٤ ربيع الأول ١٢٣٠ هـ . ثم أخذ يقذف حصون طبب بنيران مدافعه بغية هدمها على المدافعين وقد ثبتوا في وجهه بقوة نادرة ، ولكنهم حينما أدركوا خطر الموقف استسلموا .. وصالحوا على سلامتهم ، وقدموا الطاعة .. وبعد أن نزلوا من الحصون أخذ محمد علي في تدميرها تدميراً كاملاً ..

أمـا الأمير طامي فقد نجا بنفسه من المعركة ، وراح يحشد حشوداً من بني مفيد ومن جاورهم لصدّ محمد علي عن عاصمته ، ولكن قصوره في العاصمة سقطت ، قبيل وصوله للدفاع عنها ، في يد الجيش الزاحف ، فتحرج موقفه بسبب سقوطها ووقوع أغلب رجاله في يد عدوه ، فاعتصم في شرذمة من بني قومه برأس جبل (تهلل) المشهور ، ليتخذ منه نقطة انطلاق عندما تحين له الفرصة ، بيد أن خصمه جرد عليه حملة لمطاردته بأعلى قمم ذلك الجبل الشامخ .. وعندما أيقن بالهزيمة ، خفّ منحدراً إلى المخلاف السليماني بتهامة ليعتصم بحصنه الواقع في (مسليه) من أعمال وادي بيش – وكان له بمسليه مزارع وعبيد وإماء ، وكانت مدينة صبيا ومخلاف بيش تابعة لإمارته ، وله بقلعة صبيا حامية عسكرية – ولكن خصمه الشديد الشكيمة لم يترك له البقاء وحيداً بحصن مسليه بل أرسل وراءه رعيلاً من الخيل لمطاردته وأسره أينما كان) .

التجاء طامي الى حمود ..

ويتابع النعمي كلامه فيقول ما خلاصته أن الأمير طامي خاف على نفسه أن يقع أسيراً في يد عدوه فأراد الالتجاء إلى حمود.. ولكن وزير الأمير حمود كان قد استولى على صبيا حين بلغه فرار طامي ، ويشاء الله أن يلقى هـذا الوزير في طريقه الأمير طامي فيأخذه أسيراً إلى (صبيا) ، ومـا هي إلا لحظات حتى

وصلت (خيل محمد علي التي كانت تتعقب أثره ، فاستلمته واقتادته أسيراً إلى محمد علي ، ليرسله إلى مصر ، ثم إلى تركيا ليقتل هناك) [1] .

ويقول ابن بشر إن الأمير طامي لما وصل إلى مسليه أرسل اليه حسن بن خالد وزير حمود يستقدمه إلى صبيا (فلما قدمها أمسكه وبعثوا به إلى محمد علي فسيره إلى مصر وصلب فيها) ..

ورواية ابن بشر هذه غير صحيحة ، لأن طامي هو الذي كان متوجهاً من تلقاء نفسه إلى صبيا ، وطامي قتل في استانبول ولم يصلب في مصر .

ثورة عسير :

ترك محمد علي في (طبب) حامية عسكرية مزودة بالمدافع الثقيلة ، « واستمر الحال في خضم من الفوضى ، إذ لا همّ للحكام الأتراك سوى اقتناص أموال الناس وإثارة الفتن والإضطرابات فضاق العسيريون ذرعاً من ذلك .. ففي رمضان من العام نفسه ثار محمد بن أحمد على حامية محمد علي واستطاع أن يقضي عليها قضاء مبرماً – بعد أن حكمت عسير خمسة أشهر وبضعة أيام – وتولى الحكم في عسير » !

عودة محمد علي الى مصر :

في رجب ١٢٣٠ هـ . (١٨١٥ م .) أرسل السلطان العثماني كتاباً الى محمد علي يثني فيه على جهوده ويحييه تحية حارة (بسبب الأخبار التي أوصلها اليه عن حملته ضد الوهابية ، ومنها أنه عاقب ، بعد دخوله بيشة ، عشرة آلاف عربي من الثائرين ، وهدم اثنتين من قلاعهم وأبقى حامية من ألف رجل في بيشة ، ثم سار إلى زهران وهاجم أميرها بخروش وأخرجه من حصنه وسجنه ، ثم هاجم طامي أمير قبائل عسير وهدم حصنه واستولى على ما فيه من المدافع والمعدات ، وأخذ طامي وسجنه ، وقد أرسل محمد علي رأس بخروش مقطوعاً إلى السلطان وسيرسل طامي حياً إلى استانبول ليعدم فيها .

---

(١) ويقول النعمي ان محمد علي رحل ، وبرفقته الأمير طامي مكبلاً في الحديد ، إلى مصر ، « حيث كانت الجنود تجوب به في الشوارع ، وهو راكب على جمل ، يقصد التشهير به ، ثم أرسل إلى تركيا وطيف به في الشوارع ، ثم قتل .. وكانت مدة حكمه ست سنوات تقريباً .

وإلى هـــذا : أخذ السلطان علماً برغبة محمد علي في العودة إلى مصر لإعداد حملة قوية ضد الدرعية .

وكذلك علم برغبته في عودة ابنه طوسون أحمد باشا ــ متصرف جدة وشيخ حرم مكة ــ إلى مصر ، (لتبديل الهواء) ..

وتقديراً لأعمال محمد علي الباهرة أرسل اليه السلطان ، مع مندوب خاص ، سيفاً مرصعاً بالأحجار الكريمة ، وفرو سمور ... الخ . ومثل ذلك لطوسون ، وهدايا متفرقة لقواد الجيش) .

فتنة في مصر .. وحركة نابوليون :

ما ندري إن كان محمد علي تلقى كتاب السلطان في مكة قبل سفره إلى مصر أم بعد ذلك ، ويدلنا كتاب السلطان على أن محمد علي كان مزمعاً العودة إلى مصر هو وولده قبل الحوادث التي حدثت في مصر وقال المؤرخون انها هي التي أوجبت عليه الرجوع إلى بلاده لقمع الفتن ..

وأكبر الظن أن هذه الحوادث ــ أو الشائعات ــ هي التي عجلت في عودته ، ففي أواخر شهر جمادى الثانية من عام ١٢٣٠ هـ. بلغ محمد علي أن القـادة الذين سرحهم يأتمرون به في مصر ليخلعوه ،كما بلغه أن نابليون خرج من جزيرة(ألبا) ، وقد يفكر في الاستيلاء على مصر ، وهكذا قرر محمد علي السفر إلىمصر فوراً ..

ويقول بركهات إن محمد علي ، قبل سفره ، أمر ابنه طوسون أن يمتنع عن القيام بأية حركة حربية ضد نجد ، وأن يبقى في الحناكية .

وقد أخذ محمد علي موارد الجمارك في جدة ، التي كان يتصرف بها طوسون ، ولم يعطه من المال إلا شيئاً قليلاً ، لأنه كان يعرف شدة كرم طوسون وإسرافه .

ويقول بركهارت أيضاً إن محمد علي عقد ، قبل سفره ، مجلساً من علمـــاء مكة ، وقرأ عليهم كتاباً كان أرسله الى عبدالله بن سعود ، يطلب منه الاستسلام حقناً للدماء ، ويفرض عليه شروطاً ، منها إعـــادة ما أخذه والده سعود من النفائس والتحف التي كانت مودعة في الروضة النبوية بالمدينة المنورة .

وقد صل محمد علي الى مصر في رجب ١٢٣٠ هـ. ــ ١٩ يونيو ١٨١٥ م.

معارك طوسون في نجد
والهدنة ..

يقول الرافعي إن المصريين عانوا من هجمات السعوديين بلاء كثيراً وشراً مستطيراً،(وزاد في حرجهم انتشار الأوبئة ورداءة الطقس وقلة المؤونة والماء)، وكل ذلك جعل طوسون يلتزم خطة الدفاع في مكة والمدينة وجدة وينبع، بعد أن بلغ عدد قتلاه، في احدى الروايات، (٨٠٠٠) قتيل !

ويبدو أن انتصارات محمد علي حرّكت في نفس طوسون الشهوة إلى القتال برغم كل المصائب التي حلّت بجيشه، وأما وصية أبيه له، قبل عودته الى مصر، أن يبقى في الحناكية – التي استعادها بعد طرد الإمام سعود للحامية المصرية منها – ولا يتجاوزها الى شيء من أراضي نجد، فقد كان لها في نفسه أثر معكوس، لأنه رأى فيها نوعاً من التشكيك في مقدرته الحربية والسياسية، فأحب أن يثبت لأبيه أنه قادر على تحقيق الفتوحات العظيمة حرباً وسياسة، ولذلك أمر جنوده بالمسير إلى بلدتي الخبرا والرس من بلدان القصيم، وأكبر الظن أنه ما كان ليقدم على هذه المغامرة لولا مكاتبات سابقة دارت بينه وبين زعماء البلدين، وعهود قطعها لهم وأموال دفعها اليهم حتى وافقوا على تسليم البلدين اليه سلماً من غير حرب !

في الرس والخبرا :

يقول دريو إن طوسون دخل الرس ليلاً وفجأة، واستولى فيها على ٢٠ ألف بعير، ومائتي ألف رأس غنم .

ويقول ابن بشر إن عساكر طوسون دخلوا الخبرا والرس (واستولوا على ما فوقها من القصيرات والمزارع مثل ضرية ومسكة والبصيرى ونجخ ، المعروفات في تلك الناحية .

وثبتت بقية بلدان القصيم ، وحاربوا الترك .) .

مناوشات ومعارك :

لما علم عبدالله بن سعود باستيلاء العساكر المصرية على الرس خرج بجموعه من الدرعية في شهر جمادى الاولى سنة ١٢٣٠ ونزل (الرويضة) ، قرب الرس ، (فقطع منها نخيلا ودمّرهـا وأهلك غالب زروعها) فرماه الترك بمدافعهم من بعيد ، ثم سار نحو قرية (الداث) القريبة من الرس ليفاجىء فيها طوسون ، الذي قيل انه وصل من المدينة المنورة ونزلها مع عدد من رجاله، ولكنه لم يجده هناك لأنه كان قـد ارتحل إلى الرس ودخلها ، فأغار عبد الله على (البصيرى) وأخذ منها أغناماً ، ثم أغار على جماعة من الترك كانوا نازلين قرب البصيرى ، فلجأوا إلى قصر البعجا ، فهاجمهم وقتلهم (وكانوا نحو ١١٠ رجال ، كلهم من رؤساء الترك وآغاواتهم) [(١)] .

وذكر (رهاستيك) ان رجال عبد الله بن سعود قتلوا في إحدى غاراتهم ، ابراهيم آغا (طوماس كيث) — رئيس ممـاليك طوسون وخازنه الذي كان عيّنه حاكماً على المدينة المنورة ! — مع جميع الفرسان الذين كانوا معه ! ونرجح أن طوماس كيث لقي حتفه في قصر البعجا . والله أعلم .

ويقول ابن بشر إن طوسون نزل الخبرا ، وأرسل عساكره إلى الشبيبية ، ثم أراد المسير إلى عنيزة، فسبقه الإمام عبد الله اليها ونزلها ، وكان (يبعث السرايا على الترك والبوادي الذين في الشبيبية ويشنّ عليهم الغارات .)

ثم رحل عبد الله من عنيزة ونزل (الحجناوى) ، الماء المعروف بين الرس وعنيزة، وأقام هناك قريب شهرين، وكانت تقع بينه وبين الترك مناوشات من بعيد.

---

(١) ابن بشر .

الصلح بين عبد الله وطوسون :

يقول طوسون في رسالة إلى والده محمد علي إنه كان يهم بالتحرك إلى عنيزة وبريدة ، بعد استيلائه على الرس والخبرا والبكيرية والشبيبية ، حين أخبروه بأن عبد الله خرج من الدرعية مع عدد كبير من الهجانة والخيالة لإمداد عنيزة وبريدة وتعزيز أسوارهما ، وأنه عمد كذلك إلى مهاجمة البدو الموالين للمصريين .

ويردف طوسون إلى ذلك قائلا : ولكن عبد الله بن سعود ، فيما يظهر ، ندم على ما كان منه .. فنزل في مزرعة صغيرة تبعد ثلاث ساعات عن مخيماتنا وأرسل الينا رسالة مع مندوبين يقول فيهـا إنه قرر ، بعد وفاة والده ، الإكتفاء بحكم الدرعية وترك ما سواها إلى الدولة العلية ، وأنه سيدعو للسلطان !..

لقد قيل لنا – فيما كنا ننتظر حضور (عبد الله) الينا – إنه لا يلبث أن يعود إلى فساده القديم ، ولكننا نرى إظهار رغبتنا في قبول عرضه ، وأن نحتفظ لدينا بالرجلين اللذين أرسلهما ليكونا رهينتين لمدة سنة ، يبدلان في نهايتها بغيرهما ، وهما : عبد العزيز بن حمد ، وعبد الله بن بنيان) .

رواية ابن بشر :

تشير رسالة طوسون في وضوح الى أن عبد الله هو الذي طلب الصلح .

أمـــا ابن بشر فيقول ان الله أوقع الرعب في قلوب الترك فجنحوا للسلم ، (وذلك انه أقبل ثلاث ركايب ، عليها ثلاثة رجال ، بالأمر لطوسون بالمصالحة فوقعوا في قوم عبد الله ، يحسبونهم عسكر الترك ، فأخذهم رجال وأتوا بهم عبد الله ، فضرب عنق الرجلين (العربيين) وأظهر التركي كتباً معه وأنه أتى للمصالحة ، فأكرمه عبد الله ، وأرسله الى أصحابه ..

.. فوقع الصلح بينهم ، وانعقد بين طوسون وعبد الله على وضع الحرب بين الفئتين ،

وأن الترك يرفعون أيديهم عن نجد وأعمالها ،

وأن السابلة تمشي آمنـة بين الفريقين ، من بلد الترك والشام ومصر وجميع ممالكهم الى نجد والشرق وجميع ممالك عبد الله وكل منهما يحج آمناً .

وكتبوا بذلك سجلاً .

ورحل الترك من الرسّ أول شعبان ، متوجهين الى المدينة .

وبعث عبد الله معهم القاضي عبد العزيز بن حمد بن إبراهيم وعبد الله بن محمد ابن بنيان صاحب الدرعية ، ومعها كتاب الصلح، ليعرضاه على محمد علي ،فوصلا مصر ، ورجعا منه ، وانتظم الصلح) .

رواية بركهارت :

يقول بركهارت إن طوسون استشعره عجزه عن الانتصار على الوهابيين فقرر مفاوضتهم ومهادنتهم وكلّف بعض البدو (بجس نبض) عبدالله بن سعود.. وقد رأى عبد الله ، مع قدرته يومئذ على قهر العساكر الغازية ، أن الصلح خير من الحرب ، لأن انتصار عبد الله على طوسون في موقعة لا ينهي القضية ، فهناك محمد علي، وهناك مصر التي تجهز جيوشاً جديدة لاستئناف القتال وتمدّ طوسون أو غيره من قوادها بكل ما يطلبون من جند وسلاح وذخيرة ومؤن ومال ..

كلّف طوسون طبيبه الخاص،وهو من أصل سوري واسمه (يحيى أفندي)، أن يذهب الى عبد الله بن سعود ويحمل اليه بعض الهدايا ويباحثه في الأمر ، ففعل وأقام في قصر عبد الله بن سعود ثلاثة أيام معززاً مكرماً ، وبعد عودته جاء مندوب عن عبد الله بن سعود يحمل معاهدة الصلح للتوقيع عليها ، وهي تنص على ما يأتي :

١ – يتخلى عبد الله بن سعود عن الحرمين وما يتبعها .

٢ – يجلو طوسون عن بلدان القصيم التي احتلها ويفرج عن الشيوخ الذين يحتجزهم ، وتتبع العشائر التي تقع مراعيها وراء الحناكية لسلطة عبد الله .

٣ – يعلن عبد الله أنه من رعايا السلطان ويخلص له الطاعة .

رواية مانجان :

ويقول (مانجان) إن المعارك هدأت قليلاً ، بعد استيلاء طوسون على

بعض مدن القصيم ، فأرسل عبد الله بن سعود الى طوسون الشيخ أحمد الحنبلي ، ليعلن باسمه ونيابة عنه أنه يخضع للسلطان ويعدّ نفسه من رعاياه ..

فأجابه طوسون أنه لا يملك عقد الصلح ، لأن ذلك من حق والده ، ولكنه يستطيع مهادنته حتى يستشير والده ، ويلزمه لإتمام ذلك عشرون يوماً ..

وسأل طوسون قواده عن رأيهم في الهدنة ، فقالوا إنهم ما أتوا إلى هذا المكان البعيد ليهادنوا ، وإنما أتوا ليحاربوا .

ثم حاول بعض الجنود ، قبل انتهاء أجل الهدنة ، أن يسيروا لمقاتلة النجديين ، فلم يطيقوا المشي على الرمال ، وعادوا .. وعندئذ تراجـــع الرؤساء وقالوا : ما دام عبد الله بن سعود يريد الصلح والأمان ، فليكن له ما يريد ، بشرطين :

الأول : يبقى منا جنود في الرس والخبرا ، ويقـــدم اليهم النجديون المؤن بأسعار يتفق عليها .

الثاني : يقدم الينا النجديون رهائن ، ريثما يقبل محمد علي الاتفاق أو يرفضه.

عم عبد الله في معسكر طوسون :

ويمضي مانجان في سرد مراحل الصلح ، فيقول إن عبد الله أرسل عمـــه (عبد الله بن عبد العزيز) يرافقه أربعة من أقربائه الأمراء ، الى معسكر طوسون للاتفاق على الصلح ، وقـــد حمل هؤلاء المندوبون معهم هدايا ثمينة من النوق والجياد الأصيلة قدموها الى طوسون والى الخزندار أحمد آغا .

دعا طوسون عبد الله بن عبد العزيز الى الجلوس قريباً منه فجلس ، ثم قرأ رسالة كتبها الإمام عبد الله بن سعود ، وفيها يقول إنه يوافق على كل ما يقبل به عمه ويراه ..

فسأل طوسون عبد الله عما يريده .. فقال :

أريد أن تقبلونا بين رعايا السلطان الأمناء ، ومنذ اليوم نحن خاضعون لأوامركم ، وسندعو للسلطان كل يوم جمعة في مساجدنا ، ولن نحاول التمرد !

فقال طوسون ، مخاطباً عبد الله ورفقاءه :

— يجب أن تعودوا عن معتقداتكم إلى الديانة الصحيحة .

فقال عبد الله : نحن مؤمنون حقاً ، ومعتقداتنا هي نفس معتقداتكم .

فقال طوسون : « ما دام الأمر كذلك ، فيجب أن تطيعوا الخليفة المسلمين .

وليذهب عبد الله بن سعود إلى عاصمة الخلافة (استانبول) ، متى طلب منه ذلك .

وليعد ما أخذه والده من ضريح النبي ..

وليكتفِ بأن يكون شيخاً الدرعية ..

وليتعهد بتأمين سلامة طريق الحج من جهته !. »

وخلا طوسون ، بعد ذلك ، برؤساء جيشه ، وسألهم رأيهم في مشروع الصلح بينه وبين عبد الله بن سعود ، فأجابوه ، بعد تفكير : متى طلب الثائر الصلح فيجب قبول طلبه ، ولكنه إذا عاد إلى العصيان مرة اخرى وجب قتله.

واستدعى طوسون ، بعد خروج الرؤساء ، عبد الله بن عبد العزيز ورفقاءه، وقال لهم : عرفتم شروطنا للصلح فقولوا لعبد الله أن يرسل مندوبين عنه إلى مصر وإلى استانبول ، وليعلن في بلاده فوراً نبأ الصلح ، وليخبر كل (وهابي) أن عليه أن يقدم إلى الجيش المصري ما يحتاج اليه بالثمن العادل ..

وأرسل طوسون مع هؤلاء المندوبين سيفاً وجياداً وأثواباً ونحوها، هدية إلى عبد الله بن سعود .. كما أرسل معهم أحد رجاله ، وكان هو الذي يحمل السيف المُهدى ..

لما وصل عم الإمام ورفاقه ، ومندوب طوسون ، إلى معسكر عبد الله بن سعود ، استقبلوا استقبالاً فخماً ، وقرأ عبد الله بن عبد العزيز شروط الصلح ، فصفق لها المجتمعون ، وقالوا :

– نعم ، نخضع – للخليفة السلطان – ودعوا له بالعز والنصر ..

ثم سلم مبعوث طوسون الى عبد الله بن سعود السيف ، وخاطبه قائلاً :

– هذا السيف هو عربون طاعتك ، وسيكون سنداً لك ما أقمت على العهد.

أما إذا عصيت أوامر سيدنا السلطان ، فسيكون وسيلة للانتقام منك .

فارتفعت الأصوات بالولاء للسلطان ، وأعلن الحاضرون انهم سيقدمون الى الجيش طعاماً وإلى الخيول والجمال علفاً .

وقال عبد الله بن سعود إنه يعتبر نفسه منذ الآن من رعايا السلطان ، ولذلك فهو قد تبرّع بمبلغ من المال لمعاونة جيش طوسون ..

التحريض على قتال طوسون :

ويقول مانجان إن رسالة وصلت الى عبد الله بن سعود ، بعد قبوله الصلح المشروط، صادرة عن رأس الخيمة، وقد جاء فيها ان الانكليز حاولوا الاستيلاء على البلد ، ولكن أميرها وجنوده قاتلوهم واضطروهم الى الانسحاب منهزمين واستولوا على أموالهم وأرسلوا الخمس الى الدرعية .

وجاء في الرسالة أيضاً انهم سيرسلون اليه أربعة آلاف مقاتل ،كما يصله ألفا مقاتل من اليمن ، ليمضي في قتال الترك والمصريين حتى النصر ..

وقد أجاب عبد الله على هـــذه الرسالة بأنه صالح المصريين وعاهدهم ولن ينكث بعهده .

وقــد تلقى طوسون ، بعد ذلك ، تقارير من رجاله بأن عبد الله بن سعود انتقم من البدو والحضر الذين كانوا يتعاملون مع المصريين ويساعدونهم وأنه بدأ بتحصين الدرعية استعداداً للحرب ، فكتب اليه رسالة يقول فيها : إن هــذا السلوك لا يتفق مع المعاهدة ، وأنه – أي طوسون – قادر على جعله يندم على ما وقع منه .. وبذلك يخرب عبد الله بلاده ويهلك نفسه وأسرته وجماعته .

فكتب عبد الله الى طوسون أن ما بلغه غير صحيح ، وأنه ما زال وسيبقى وفياً لعهده ، وأرفق رسالته بهدايا ثمينة .

رسالة عبد الله بن سعود الى طوسون :

نشر بركهارت ترجمة رسالة قال إن عبد الله بن سعود أرسلها الى طوسون ، وكنا راغبين كثيراً في الظفر بالأصل العربي لهذه الرسالة فلم نوفق الى ذلك ، وها نحن نترجم .. الترجمة الإنكليزية الى العربية :

رسالة عبد الله بن سعود الى طوسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة والسلام على خير الأنام محمد ﷺ ،

ثم أزكى السلام الى الأمير النبيل أحمد طوسون باشا ، وفقه الله تعالى الى صالح الأعمال ،

وأما بعد .. فقد وصلتنا رسالتكم، وسرنا أنكم في موفور الصحة والعافية.

أما ما ذكرتموه من المطالب فليس يخفى على فطنتكم ومعرفتكم المشهورتين أن تلك المطالب مخالفة للصلح ، ولو أننا لم نكن حريصين على صداقتكم وعلى القيام بعهودنا لأسرعنا الى تلبية طلباتكم رياءً .. ولكننا نلتزم بما التزمنا به بصدق وإخلاص .

أما سفركم فلا يمنعكم منه مـا يقوله أعداؤنا وحسادنا ، ولا تعيروا أقوالهم سمعكم ، واسألوا من شئتم من العرب الذين عندكم عن وفائنا بعهودنا ، وسيقولون لكم ، ان صدقوكم ، اننا متى أعطينا رجالاً الأمان فقد أمنوا ، ولو سبق منهم قتل أحد أبناء سعود ،فنحن لا نحنث بأيماننا ولا ننكث بعهودنا مهما يكلفنا ذلك.

دعونا نصارحكم القول ، لا تشكوا في نياتنا وثقوا بسلامة مقاصدنا ، فوالله لا أمسكم لا أنتم ولا عساكركم بأدنى سوء ، فأنتم في أمان الله ، ثم في أماني .

وما دمتم تتأهبون الآن للعودة ،فأنا أيضاً أستعد للرحيل الى عنيزة ، وأفعل ذلك (كرامة لخاطركم وللذي وراءكم)– يعني محمد علي –[1].

ونحن نريد منكم أن ترسلوا الينا كتاباً تتعهدون فيه لنا بأمان الله ثم بأمان السلطان وأمانكم لكل العرب الذين في جهتنا ، حضراً وبدواً ، وكتاباً آخر بالأمان لأهالي شنانة والنبهانية ..

---

(١) هذه الجملة الأخيرة « كرامة لخاطركم » الخ أثبتها بركهارت بأصلها العربي .

سنتلقى جوابكم إن شاء الله هذه الليلة ، ولن تؤخروا رسولنا عندكم .

ومتى تم الإتفاق فليس شيء يطمئن قلوب المسلمين مثل الرهائن ، وسيخبركم إبراهيم بأسماء هؤلاء الرهائن ، وهم : محمد دالي باشا، عثمان الصلحدار، اسماعيل الجوخدار ، أحمد آغا ، وأمان الله ثم أماني عليهم .

وإذا أردتم أن ترحلوا قبلنا فسنرسل اليكم من قبلنا رهائن يتبعونكم ،والآن الخيار لكم ، إما أن ترسلوا الينا رجالاً منكم ونحن نرحل ، وإما أن تبدأوا أنتم الرحيل ونحن نرسل اليكم رهائن منـــا . وثقوا أن الرهائن سيكونون موضع عناية خاصة .

نسأل الله أن يحقق لنـــا الخير الذي نؤمله ، وسلام الله وصلاته على محمـــد وآله وصحبه .

(عبد الله بن سعود)

رواية الشيخ عبد الرحمن :

يذكر الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، في مقاماته ، ان محمد علي كان أمر (العطاس أن يسعى بالصلح بينهم وبين عبد الله بن سعود ويركب له من مكة ..) وان أولاد سعود صار فيهم (نوع من العجلة في الامور) فنشبت بينهم وبين الترك مقاتلات ومناوشات .. (فقدم العطاس على الأمر الذي عمده عليه محمد علي فوجد الحال قد تغير ، قصدهم ابتداء فمنعوه مما جاء له ، ثم انهم سعوا في الصلح ، والمسلمون على الحجناوي وكل يوم يجري بين الخيل طراد فمل بعض المسلمين من الإقامة فلم يبق منهم إلا شرذمة قليلة ، فجاء منهم أناس يطلبون الصلح ، فأصلحهم عبد الله ، وطلبوا منه أن يبعث معهم رجلاً من أهل بيته خوفاً أن يعرض لهم أحد من المسلمين في طريقهم ،فمشى معهم محمد بن حسن شاري الى المدينة ..

فلو ساعد القدر وتمّ هذا الصلح لكان الحال غير الحال ..) .

والحق ان رواية الشيخ عبد الرحمن لا تلقي نوراً كافياً على قضية الصلح ، ولكنها تشير الى قصة بدأت خلال وجود محمد علي في مكة وطوسون في المدينة ..

ومع هـــذا لم نعرف أسماء الذين طلبوا الصلح ، وهل تخلى العطاس نهائياً عن وساطته ؟ وما هي شروط الصلح ؟.

رواية أحمد فريد :

ويقول أحمد فريد ، في كتابه (تاريخ الدولة العلية العثمانية) ، الذي تقادم عليه العهد ، ان عبد الله بن سعود أرسل الى طوسون رسولاً يطلب منه الكف عن القتـــال ويعرض رغبته في الصلح ، فأجابه طوسون باشا : (انه لا يمكنه إجابة ملتمسه إلا بعد أخـذ رأي والده ، واتفقا على المهادنة عشرين يوماً ريثما يخابر طوسون والده .

وبعد ذلك بقليل أتى اليه خبر عودة والدة الى مصر ، فأخذ (طوسون) على نفسه إتمام الصلح وإخبار والده بعد إتمامه ، فاتفق مع عبد الله على :

– أن يحتل طوسون باشا بجيوشه مدينة الدرعية .

– وأن يردّ النجديون ما أخذوه من المجوهرات والنفـــائس من الحجرة الشريفة النبوية،خصوصاً «الكوكب الدرّي»، الذي زنته مائة وثلاثة وأربعون قيراطاً من الالماس .

وكتب الى والده بذلك ، فأتى اليه الرد بتكليف عبد الله بن سعود التوجه الى الآستانة ، وإن لم يقبل يرسل اليه جيشاً جديداً لمحاربته .)

رواية غوان :

ويقول (غوان) إن عبد الله وطوسون كانا جميعاً راغبينِ في الصلح :

– طوسون ، لأنه تلقى نبأ الفتنة التي قامت في مصر، وانقطعت عنه بسببها الإمدادات ..

– وعبد الله ، لأنه كان يخشى انتقاض بعض أنصاره عليه ، ولأنه يعلم فوق ذلك أن انتصاره على طوسون في معركة لا يعني النصر الحاسم ..

ولذلك انعقد الصلح بينهما على الشروط الآتية :

١ – يخضع عبد الله للسلطان ويذهب الى استانبول متى طلب منه ذلك ..

٢ – يعيد كل ما أخذه من ضريح النبي ، ويتخلى عن رسوم الحج ..
٣ – يرضى بأن يكون رئيساً للدرعية ، تابعاً لحاكم المدينة ..

ولكن عبد الله الذي قبل هذه الشروط لم يحقق شيئاً منها ، بعد عودته الى الرياض ، وكان يتصرف تصرف المالك المطلق ، كما كان يفعل من قبل ..

شروط الصلح :

يبدو لنا ، رغم تناقض الروايات وفقدان الوثائق الحاسمة ، ان شروط الصلح بين عبد الله وطوسون كانت مختصرة وقاصرة على ما ذكره ابن بشر وبوركهارت من اقتسام البلاد بينهما (بحيث تكون الحناكية آخر حدود نجد الباقية لعبد الله بن سعود) وربما كان في الصلح أيضاً اعتراف عبد الله بالسلطان العثماني ، وأما الشروط الاخرى التي ذكرها بعض المؤلفين فأرجح الظن أنها مأخوذة من الشروط الجديدة التي فرضها محمد علي فيما بعد تعنتاً ، أو من شروط ابنه ابراهيم باشا ...

عودة طوسون الى مصر :

انعقد الصلح بين عبد الله وطوسون في شهر شعبان سنة ١٢٣٠ هـ . وغادر طوسون القصيم الى المدينة ، والظاهر ان عبد الله رحل قبله ، وقد اصطحب طوسون معه الرهائن الذين قدمهم اليه عبد الله ، ويقول مانجان ان طوسون قضى شهر رمضان في المدينة ، وكان يحصل على المؤن بمشقة كبيرة ، ولما قرر العودة الى القاهرة ، لما بلغه من الأخبار السيئة ، خاف أن يفسر الأهالي سفره تفاسير مريبة ، فطلب من قائده في ينبع أن يرسل اليه برقية بأنه تلقى من القاهرة أنباء عن انتصار محمد علي ، ففعل ، وعند وصول البرقية أطلقت في المدينة المدافع ابتهاجاً بتلك البشائر المزعومة !..

وبعد قليل عاد طوسون الى مصر ، ورأى لأول مرة ولده اسماعيل ، الذي ولد أثناء غيابه في الجزيرة العربية ، وكان عمره سنتين .. وقد وصل طوسون مصر في شهر ذي الحجة .

وفاة طوسون :

تولى أحمد طوسون باشا ، بعيد عودته الى مصر ، قيادة فرقة ترابط في رشيد ،

ويقول الرافعي ان طوسون (اتخذ معسكره في « برنبال » ، الواقعة بالبر الشرقي للنيل تجاه رشيد ، والتمس بها الراحة من عناء المعارك التي خاضها في الحجاز ، فاتخذ الموسيقيين والراقصات والمغنيات ومجالس اللهو ، وبقي بها الى أن عاجلته منيته ليلة ٢٩ سبتمبر ١٨١٦ م. اثر مرض ثار به فجأة ، قيل انه نشأ من تهالكه على الملذات ، ولم يمهله أكثر من عشر ساعات ، ثم فاضت روحه ، فنقلت جثته بطريق النيل الى القاهرة ، ودفن في مقابر الإمام الشافعي .

توفي طوسون وهو في مقتبل الشباب ، إذ لم يتجاوز العشرين من عمره .. فجزع أبوه على فقده جزعاً شديداً ، وحزن الناس لوفاته ، لما كان عليه من الشجاعة والجود والميل الى الشعب) .

ويقول دريو ان طوسون مات من تصرفات كرجية حسناء أحبها حباً عنيفاً.

هل نقض الصلح ؟

الصلح الذي عقد بين عبد الله وطوسون ، على اختلاف المؤرخين في تحديد شروطه لم يكن صلحاً نهائياً ، وإنما كان نفاذه مرهوناً بموافقة محمد علي ، والي مصر ، على بنوده ، ولذلك أرسل عبد الله بن سعود مندوبين عنه إلى مصر لمقابلة محمد علي ومطالبته بتوقيع الصلح .

ونرجح كثيراً ان محمد علي لم يكن راضياً عن هذا الصلح ، لا بسبب مخالفات وقعت من عبد الله ، ولكن محمد علي ، بعد قضائه على الفتنة الجديدة في مصر ، وحصوله على موارد كبيرة ، أراد أن يحقق نصراً باهراً في ساحة الحرب يعلي سمعته أمام السلطان وأمام العالم ، لا أن يقال عنه إنه لم يستطع التغلب على عبد الله فصالحه .. ولذلك تشدد في مطالبه والتمس الأسباب لرفض الصلح الذي عقده ابنه طوسون.

ويذكر دليل الخليج الفارسي رأياً يقول ان محمد علي رفض الصلح لأن ابنه طوسون خالف بعقده وصية أبيه ، ولكن الدليل يعود فيرجح ، مثلنا ، أن الصلح لم يكن مرضياً لمحمد علي !..

لذلك لا نذهب إلى ما ذهب اليه العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن في مقاماته ، من أن النقض كان سببه أن عبد الله بن سعود (بعث عبد الله بن كثير إلى

غامد وزهران بخطوط مضمونها أن يكونوا في طرفه وأمره ، فبعثوا بهـا إلى محمد علي ، فلم يرضَ بذلك ، وقال إنهم من جملة من وقع عليهم الصلح) ..

رواية الجبرتي :

يقول الجبرتي ، في أخبار سنة ١٢٣٠ هـ . إن المندوبين الذين أرسلهما عبد الله ابن سعود إلى القاهرة لمقابلة محمد علي والحصول منه على اقرار الصلح الذي أجراه طوسون ، وصلا إلى مصر ، (**وكأن الباشا لم يعجبه هذا الصلح ، ولم تظهر عليه علامات الرضا بذلك ، ولم يحسن نزل الواصلين** ، ولما اجتمعا به خاطبهما عاتباً على المخالفة ،فاعتذرا،وذكرا أن الأمير سعود المتوفى كان فيه عناد وحدة مزاج وكان يريد الملك وإقامة الدين .

وأما ابنه الأمير عبد الله فإنه لين الجانب والعريكة ويكره سفك الدماء ، على طريقة سلفه الأمير عبد العزيز المرحوم ، فإنه كان مسالماً للدولة حتى أن المرحوم الوزير يوسف باشا حين كان بالمدينة كان بينه وبينه غاية الصداقة ولم يقع بينهما منازعة ولا مخالفة في شيء .

ولم يحصل التفـــاقم والخلاف إلا في أيام الأمير سعود ، ومعظم الأمر من الشريف غالب .

بخلاف الأمير عبد الله ، فإنه أحسن السيرة ، وترك الخلاف وأمن الطرق والسبل للحجاج والمسافرين) ..

رواية مانجان عن رفض محمد علي الصلح :

ويقول مانجان ان محمد علي سلم المندوبين النجديين – وهما شيخ الدرعية عبد الله بن محمد بن بنيان والشيخ العالم عبد العزيز بن حمد بن إبراهيم (سبط شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب)–رسالة يذكر فيها ما وقع من الوهابيين من أمور ، ويطلب من عبد الله أن يسلم حكم الدرعية إلى حاكم المدينة ، وأن يذهب إلى استانبول ليؤدي إلى السلطان حساباً عما فعله ، فالسلطان وحده يستطيع العفو عنه وأما محمد علي فهو مكلف بالحرب فقط !٠.

ويختم محمد علي رسالته قائلاً إن هـذه الطريقة هي الوسيلة الوحيدة إلى الأمان ، وإلا .. أرسل محمد علي حملة تأديبية جديدة) ..

ولم ينتظر محمد علي جواب عبد الله على رسالته ، وإنما شرع في تجهيز حملة جديدة ، لأنه كان مصمماً على المضي في الحرب [1] .

لما وصل المندوبان الى الدرعية وسلّما الى عبد الله بن سعود رسالة محمـد علي ونقلا اليه أقواله ، أسرع في الجواب على رسالة محمد علي ، ومما قاله في جوابه :

إننا لا نملك شيئاً من النفائس التي وجدها أبونا سعود في ضريح النبي ﷺ ، فكل ذلك بِيْعَ أو أهدي .

أما حكومة هذه البلاد فيمكنكم أن ترسلوا رجلاً من قِبلكم لتمثيلكم عندنا واستيفاء العشر ، ويمكنكم أيضاً إخضاعنا الى ضريبة ندفعها اليكم طوعاً .

ولكننا نرجو إعفاءنا من الذهاب الى استانبول،وأن تكونوا ترجماناً لمشاعرنا لدى الباب العالي) .

وأرفق عبد الله رسالته بهدايا كثيرة .

وقـــد رفض محمد علي قبول الهدايا ، وردّ على رسالة عبد الله رداً عنيفاً ، وتوعد بإرسال ابنه ابراهيم لتخريب الدرعية ، وأنه سيقود عبدالله الى استانبول حياً أو ميتاً ..

رواية ابن بشر :

ويقول ابن بشر ان سبب غضبة محمد علي وإرساله ابنه ابراهيم الى نجـــد ونقضه للصلح أن الإمام عبد الله غزا سنة ١٢٣١ هـ. عرباناً من حرب ومطير في مياه الحجاز ، كان يعتبرهم محمد علي من أنصاره . وقد أنذر هؤلاء العربان بمسير عبد الله فهربوا فأرسل عبد الله جيوشه فأغارت على عربان في الحرة وأخذوا منهم غنماً وإبلاً ، ثم رجع الى نجد فأمسك برئيس بلدة الرس . ويردف ابن بشر

---

(١) ومن أعجب الأشياء أن ابن بشر يقول ان المندوبين عادا إلى مصر ، وانتظم الصلح !!. أي صلح ؟..

قائلاً : (وسميت هذه الغزوة غزوة محيط ومحرش ، لأنه حدث النقض من الروم بسببها ، لأنه ركب الى مصر رجال من أهل القصيم والبوادي وزخرفوا القول لمحمد علي وتلقى قولهم بالقبول ، فشمر في تجهيز العساكر الى نجد مع ابنه وابن زوجته ابراهيم ..) .

مؤتمر عبد الله وبيانه :

ويقول مانجان ان عبد الله بن سعود عقد،بعد تلقيه رسالة محمد علي، مؤتمراً من أفراد أسرته وزعماء البلاد ، وتذاكروا الموقف ، فأجمعوا على الحرب .

وهكذا بدأ عبد الله بن سعود في تحصين الدرعية ، وجمع المقاتلين، والأموال، وقد دفع هو وأفراد الأسرة السعودية مبالغ كبيرة ، وبعضهم باعوا ممتلكاتهم لأجل ذلك .

ثم أذاع عبد الله بياناً على الناس يقول فيه : لقد عقدنا مع السلطان صلحاً بواسطة طوسون باشا ، ولكن محمد علي مزّق هذا العهد ..

انه يريد منا أن نتخلى عن عقيدتنا لنعتنق معتقداته ، تلك المعتقدات التي تجعل من السلطان معبوداً،وتبيح السكر والربا والميسر وغير ذلك من المحرمات.

ان محمد علي نقض عهده،وهو متعطش الى دماء المسلمين يسفكها ، ولذلك صممنا على محاربته لنحتفظ بديننا ووطننا وشعوبنا التي تؤمن بوحدانية الله ، وسينصرنا الله على القوم المشركين .

وقد قرأ الأئمة والخطباء هذا البيان في المساجد .

ويزعم مانجان أيضاً ان عبد الله بن سعود أرسل مندوبين آخرين الى مصر لمقابلة محمد علي وطوسون وهما محمد بن حسن وعبد الله بن عون فقال لهما محمد علي ان الوسيلة الوحيدة الباقية للنجاة هي الاستسلام المطلق ، فليفعل ذلك عبد الله قبل وصول ابني ابراهيم الى بلاده .. وسمع منه المندوبان وعيداً وتعنيفاً كثيراً .. ولما عاد المندوبان الى الدرعية ، أمرهما عبد الله بالصمت ، وتكلم هو فقال لجماعته : ان محمد علي يريد منا الخروج من ديننا وترك دعوتنا ، فصاحوا بصوت واحد : لن نفعل وسنقاتل عن ديننا وأوطاننا .

معارك ابراهيم باشا

احتيار ابراهيم باشا لقيادة الحملة على نجد

قرر محمد علي اختيار شخصية قوية يعقد لها لواء حملته الجديدة الى نجد، هذه الحملة التي يريد منها أن تقهر عبد الله بن سعود وتدمر عاصمته (الدرعية) ..

ويروي لنا بلغرف قصة طريفة، يزعم ان العربان في خيامهم كانوا يتداولونها، عن الاسلوب الذي اتبعه محمد علي في اختيار القائد المنشود، فيقول :

قرر محمد علي استئناف الحرب ضد النجديين بقوة وزخم، وأراد أن يتخذ للحملة الجديدة قائداً غير طوسون المريض، فدعا الى قصره، في القلعة، كل القواد والرؤساء الذين يمكن التفكير فيهم للقيام بهذه القيادة، وفي الساعة المحددة للاجتماع، حضر ثمانون أميراً وقائداً، وكان بينهم ابنه (ابراهيم)، وقد دخل المدعوون الحجرة التي يجلس فيها محمد علي، فوجدوا بين يديه سجادة مبسوطة، وفي وسطها تفاحة على طبق .. فتعجبوا من ذلك !

وهنا قال لهم محمد علي :

— سأختار قائداً للحملة ضد الوهابيين الرجل الذي يستطيع الإمساك بهذه التفاحة، دون أن يطأ بقدميه على هذه السجادة .

فحاول كل واحد من الحاضرين أن يصل الى التفاحة من غير أن يدوس على السجادة، ولكن أحداً منهم لم يوفق .

وأخيراً نهض ابراهيم، وكانت ذراعاه قصيرتين، فاستغرب الطوال من الزعماء إقدامه بعد أن رأى عجزهم، ولكن ابراهيم أخذ بهدوء طرف السجادة وبدأ

يطويها برفق حتى وصل الى قرب التفاحة ، دون أن يطأ على السجادة ، وهكذا استطاع تناول الطبق والتفاحة وقدمها الى والده.. فهنأه أبوه ومنحه قيادة الحملة.

تلك هي القصة المصنوعة .. والحقيقة هي ان محمد علي كان معجباً بابنه ابراهيم ويرى أنه أصلح رجل لإدارة حرب الدرعية ، فاختاره قائداً لجيوشه في الجزيرة العربية !

وأما القصة التي ذكرها بلغرف ، فهي قصة قديمة ، فقد جاء في كتاب (سراج الملوك) للطرطوسي ، ما يأتي :

(يروى انه لما همّ ملك الروم بحصار صقلية ، أمر أن يُبسط بساط في الأرض ، ثم جعل في وسطه ديناراً ، ثم قال لوجوه رجاله : مَن أخذ منكم هذا الدينار ، ولم يطأ البساط ، علمنا أنه يصلح للملك !

فوقفوا حوله ، ولم يصل اليه أحد ، فلما أعياهم ذلك ، طوى — هو — ناحية من البساط من عنده ، وأمر كل واحد أن يطوي مما يليه حتى طوى البساط ، فمدّوا أيديهم فلحقوا الدينار .

فحينئذ قال لهم : إذا أردتم مدينة صقلية ، خذوا مـا حولها من الحصون والمدن الصغار والضياع والقرى ، حتى إذا ضعفت أخذتموها ..)

ويقول ابن سند إن السلطان محمود لم يكتفِ بفتح الحجاز (بل أمر محمد علي أن يستأصل ملك الوهابيين .. فحينئذ عرف أن ابنه طوسون لا يسدّ في هـذا المهم فأمره بالرجوع الى مصر وأمر أسد الديار المصرية ابنه الآخر ابراهيم باشا، فجاء معه من عسكر الأكراد والارناؤوط وعرب مصر الهوارة مـا يدك به الجبال ..) — كذا —

مـن هو ؟

يقول مؤلف كتاب (آثار الأدهار) في وصف إبراهيم باشا :

(.. هو ابن محمد علي ، خديوي مصر ، وهو كبير ولده .

ولد بمدينة (قواله) من الروملي سنة ١٧٨٩ — أي سنة ١٢٠٤ للهجرة ، بعد تزوج أبيه بعامين .

كان ذا قامة مربعة ، يبلغ ارتفاعها نحو ذراعين وثلث ذراع ، وكان ممتلىء الجسم ، قوي البنية ، مستطيل الوجة والأنف ، أشهل العينين ، سوداوي المزاج أجش الصوت ، أشقر الشعر ، في وجهه أثر الجدري ، وقد جعلته الحروب وأهوالها أشيب وهو شاب .

وكان فيه رئاسة وهيبة ، تفعل بمن يتوسمه ، مع همة عالية وبسالة ، لم ترعه معها الكوارث ، ولم تقوَ عليه المصائب ، وكان محباً لعساكره مع صرامة في إنفاذ القانون ومحافظة على النظام ، فكانوا لذلك يميلون اليه مع رغبة في طاعته ورهبة منه .

وكان عارفاً بالتركية والفارسية والعربية ، حافظاً تاريخ البلاد الشرقية .

ولاّه والده قيادة قسم من الجيش ، وهو ابن ست عشرة سنة ، فتخرج في أمور الجندية ، ثم ولاه عدة مقاطعات ، فتقلب في أمور الأحكام) [1] .

إعداد الحملة وسفر ابراهيم باشا الى الحجاز :

قضى محمد علي ستة أشهر في إعداد الحملة الجديدة التي عقد لواءها لابنه البكر ابراهيم باشا .

ويقول الجبرتي ، في أخبار سنة ١٢٣٢ هـ. ان محمد المحروقي ، رئيس تجار مصر ، الذي تولى من قبل تموين الجيوش المصرية ورافق طوسون الى الحجاز ، كان هو نفسه ، (المتعين لمهمات الأسفار وقوافل العربان ومخاطباتهم وملاقاة الأخبار الواصلة من الديار الحجازية .. وشحن السفن ، ولوازم الصادرين والواردين والمنتجعين والمقيمين والراحلين ، والمتعهد بجميع فرق القبائل والعشير وغوائلهم ومحاكاتهم وإرغابهم وإرهابهم وسياستهم على اختلاف أخلاقهم وطباعهم ..

وكانت متابعة توجيه السرايا والعساكر والذخائر الى النواحي الحجازية

---

(١) أنظر كتاب آثار الأدهار ، الجزء الأول ، تأليف جبرائيل الخوري وسليم ميخائيل شحادة طبع عام ١٨٧٧ م . - ١٢٩٣ هـ . ولم تصدر منه الأجزاء الموعودة .

للإغارة على بلاد الوهابية وأخذ الدرعية مستمرة لا تنقطع ..

والعرضي منصوب خارج باب النصر وباب الفتوح ، وإذا ارتحلت طائفة خرجت اخرى مكانها ..

.. وفي صفر تجردت عدة عساكر أتراك ومغاربة الى الحجاز وصحبتهم أرباب صنائع وحرف ..

وفي جمادى الاولى .. سافر جملة من عساكر الأتراك والمغاربة ، وكبيرهم ابراهيم آغا .. وصحبته خزينة وجبخانة ومطلوبات لمخدومه ..) .

ابراهيم باشا في القصير :

ويقول الرافعي ان ستة آلاف جمل نقلت المهمات والذخائر والمؤن والمدافع الى ميناء القصير ، لتشحن في السفن التي ترافق سفينة ابراهيم باشا ورجاله ، عند سفرهم الى الحجاز .

وقد جمع ابراهيم باشا ألفين من الفلاحين في أسيوط وضمهم الى جنده وسافروا مع العسكر .

ابراهيم يتهدد عبد الله ويرفض هداياه :

وصل ابراهيم باشا الى القصير في شهر أيلول وأقام في هذا الميناء قليلاً ، وجاء في كتاب (آثار الأدهار) ان الامام عبد الله أرسل مندوباً من لدنه الى مصر لمقابلة ابراهيم باشا ، فوصل المندوب الى القصير ، وقدّم الى ابراهيم باشا هدايا كثيرة من الإمام عبد الله بن سعود ، ورسالة يطلب فيها عبد الله الموادعة ، فرفض ابراهيم باشا أخذ الهدايا ، وقرأ الرسالة ، ثم قال للرسول :

– اني سأجيب مرسلك في الدرعية !

ويقول بلغراف ان ابراهيم باشا ، بعد أن فرغ من قراءة رسالة عبد الله ، التفت الى كاتبه وقال له : أحضر الرسالة التي كتبها عبد الله إلى أحد مشايخ عسير ، فقرأها فإذا عبد الله يحضه فيها على مقاومة (حمار) مصر ، الذي يعجز عن إلحاق أي أذى ببلاد نجد وستكون الهزيمة نصيبه ... الخ .

وهنال قال ابراهيم باشا للرسول :

هذا ما يكتبه رئيسكم الينا ، وهذا ما يكتبه الى أنصاره [1] !
لا جواب له عندي ، وسأقابله في الدرعية .
فخذ هداياك وانصرف بسلام !

عدد الحملة ومدافعها :

يقول انكيرى ان عدد حملة إبراهيم باشا سبعة آلاف رجل ، بين مصريين وترك وشركس ومغاربة .

وكان معه خمسة مدافع (عيار ١٢) ومدافع هاون كثيرة .

وكان عدد الجمال التي تحمل مؤنه وذخائره عشرة آلاف جمل .

وكان يستخدم أكثر من عشرين ألف جمّال وبدوي .

الأموال :

ويقول ابن دحلان أن محمد علي أصحب ابنه (من صناديق الأموال مـا لا يدخل تحت حصر) .

بعثة صحية ومستشار إفرنسي :

ويقول انكيري ان إبراهيم باشا سأل ، قبل سفره ، عن أسباب فشل أخيه طوسون ، فقيل له إن رأس الأسباب : تفشي المرض بين جنوده .

ولذلك ألف بعثة صحية ، على رأسها طبيب ايطالي ، وسافرت معه .

واصطحب معه كذلك ضابطاً افرنسياً ، اسمه فيسيير ، كان قد اشترك في حروب نابوليون ، واتخذه مستشاراً عسكرياً له .

وداع ابراهيم لأمه وقسمه :

ويقول انكيرى إن إبراهيم باشا لما ودّع أمه طوقت عنقه بقلادة من الأحجار الكريمة واستحلفته ألا ينزعهـا إلا ليضعها على قبر الرسول ﷺ في المدينة ، فعاهدها على ذلك ..

---

(١) أشار الشيخ عبد الرحمن بن حسن الى هذا الكتاب في مقاماته – انظر رأينا في الصفحات السابقة .

ويضيف مانجان إلى هـذا ان إبراهيم باشا أقسم أنه لن يحلق لحيته حتى يحقق النصر .

ابراهيم باشا في المدينة :

يقول ابن بشر ، في أخبار سنة ١٢٣١ هـ . (وفي هذه السنة جهز محمد علي العساكر الكثيفة .. إلى نجد مع إبراهيم باشا، فسار إلى المدينة وضبطها ونواحيها).

والحقيقة هي أن إبراهيم باشا وصل المدينة ، عن طريق ينبع ، في أوائل سنة ١٢٣٢ هـ .

ويقول مانجان إن ابراهيم باشا ، عند وصوله إلى المدينة ، ذهب إلى المسجد النبوي ووقف أمام ضريح النبي ﷺ وخاطبه قائلاً :

(أنا إبراهيم ، ابن محمد علي ، الذي أنقذ المدينتين المقدستين، مكة والمدينة.

جئت إلى ضريحك ، لألتمس منك العون والمدد في الحرب التي أخوضها .

فهبني الذكاء الوقاد الذي يكشف لي عن خطط الأعداء ويحميني من مكرهم وأعطني القوة لأنتصر عليهم .

إن أعدائي هم أعداؤك ، وبفضل معونتك وحمايتك سوف يتمزق شملهم .

إنني أعاهدك أن سيفي لن يعود إلى غمده حتى أقضي عليهم قضاء مطلقاً).

وما ندري إن كان هـذا الخطاب الذي أورده مانجان - وهو مؤرخ موثوق - صحيحاً أو محرفاً ، ولكن خطاب النبي ﷺ على هذه الصورة نوع من الشرك لا شك فيه ، فالله سبحانه ، وحده ، هو الذي يعطي ويمنع !

ويزعم مانجان ان ابراهيم باشا كسر أوعية الخمر التي جاء بها وأقسم أن يعتق عبيده الذين يشتركون معه في المعارك ، متى تمّ له النصر ، وقد فعل .

رأي سادلر في ابراهيم باشا :

كان رأي مانجان في ابراهيم باشا متأثراً ببعض المظاهر الخادعة ، ولكن المتتبعين لسيرة ابراهيم باشا وتصرفاته يقولون انه كان يبالغ في السكر والفجور، وقـد كشف سلوكه عن قسوة نادرة وتنكر للعهود وشره الى جمع المال بكل

وسيلة وظلم شديد . وقد بلغه ، بعيد وصوله الى المدينة بقليل خبر و
طوسون في مصر فلم يكترث لذلك .

وقد تحدث (ويندر) ، في كتابه الرائع (العربية السعودية في القرن الن
عشر) عن حوادث القتل التي تمّت بأمر ابراهيم باشا أو بفعل ضباطه وجنو
مع علمه بها ، فقال إنه لم يكتفِ بالقتل وإنما كان يهدم الدور والأسوار ويقطع
الأشجار ويحرقها ، وكأنه يجد في ذلك لذة !

ونقل ويندر عن (سدلر) — الضابط البريطاني الذي جاء من الخليج الفارسي
ومرّ بنجد وكتب عنها ثم جاء الى الحجاز واجتمع بابراهيم باشا وفاوضه باسم
الحكومة البريطانية — قوله :

(كان من سوء حظي أن أكشف، بمشاهدات شخصية، عن ناحية من أخلاق
ابراهيم باشا .. ويجب عليّ الآن أن أزيد على ما قلته إن تاريخ المعارك الماضية
قد أضاف الى أعمال ابراهيم باشا سلسلة من الفظائع الهمجية ارتكبها خــــلافاً
للعهود التي قطعها مشدّدة بالأيمان المغلظة .

لقد كان ابراهيم باشا يسلب ، أحياناً ، أموال رجال القبائل الذين اشتركوا
معه في الحروب وساعدوه على النصر .. وأمــا أعداؤه الذين هزمهم ونجوا من
الموت فكان يأخذ كل ثرواتهم وإن كان كثير منهم لم ينجوا —مع ذلك —من غدره،
لأنه كان يقتلهم أيضاً لمجرد اللذة الطاغية التي يجدها في سفك الدماء البشرية) .

معارك ابراهيم باشا

في الحناكية والموتان :

خرج ابراهيم باشا من المدينة ، بعد انقضاء رمضان والعيد ، الى (الحناكية)
واتخذها معسكراً موقتاً، وأخذ من هناك يغير على العربان ليرعبهم ويستدرجهم
الى الخضوع اليه وموالاته ، وكان يشرك معه في غاراته رجال «حرب» المتحالفين
معه وغيرهم ، ولم يكن يسر بشيء كسروره بما يصيب من المغانم وما يقتل من
الرجال ، كأنه في رحلة صيد .. ويقول ابن بشر ان ابراهيم باشا نزل الحناكية
(وأكثر الغارات على ما حولها من العربان وأخذ أموالاً وقتل رجالا ، فاجتمع

عليه بوادٍ كثيرة من تلك الناحية، من حرب ومطير وغيرهم وعتيبة ومن عنزة الدهامشة) ثم أغار على (الرحلة) من حرب فأخذهم وقتلهم .

ويقول مؤلف آثار الأدهار ان ابراهيم باشا سار في ٢٧ يناير ١٨١٧ م. من الحناكية في ألف وثمانمائة مقاتل (ومعه غانم ، شيخ بني حرب ، في خمسمائة فارس ، فغزا وغنم ، وعــاد الى الحناكية بسلب كثير ، من جملته ٨٠٠ جمل و ٤٠٠٠ رأس غنم ، فهابته قبائل العرب وأتوه سرباً صاغرين مستأمنين اليه) .

الموتان :

ويقول الجبرتي ، في أخبار سنة ١٢٣٢ هـ.

(في عاشره وصلت هجانة وأخبار عن ابراهيم باشا من الحجاز بأنه وصل الى محل يسمى (الموتان) فوقع بينه وبين الوهابية قتــال ، وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ منهم أسرى وخياماً ومدفعين .

فضربوا – في القاهرة – لتلك الأخبار مدافع) .

ولم نجد ذكراً للموتان ، التي اعتبرها الجبرتي أول قرية يستولي عليها ابراهيم باشا وراء الحناكية ، في ابن بشر ، ولكنها وردت في (خلاصة الكلام) ولعل المؤلف نقلها عن الجبرتي ..

سنة ١٢٣٢ هـ.

معركة ماوية :

يقول مانجان إن ضابطاً جاء من القاهرة الى ابراهيم باشا في الحناكية وأبلغه أن الباب العــالي منحه رتبة باشا بثلاثة أذيال .. وفي نفس الوقت وصلته ثلاثة مدافع ، من مخلفات الحمـلة الفرنسية التي كانت غزت مصر بقيادة نابوليون .. وكل ذلك قوّى عزمه ، بعد أن كانت الأمراض المتفشية في جنده قد آلمته كثيراً ، وفي أواخر نيسان من عام ١٨١٧م. قرر ابراهيم باشا متابعة التقدم صوب نجد ، وكان هدفه الأول الاستيلاء على بلدة ماوية . وقد استولى عليها بسهولة ويسر .

أول وهن وقع في المسلمين :

ويقول ابن بشر إن الإمام عبدالله خرج من الدرعية يريد الغارة على البوادي

التي ناصرت ابراهيم باشا، فلما عرفت هذه البوادي قصده التجأت الى الحناكية، فرجع عبد الله الى نجخ في عالية نجد (فبلغه ان « علي أزن » ومعه عسكر من الترك وبوادي كثيرة ساروا الى « ماوية » ، الماء المعروف قرب الحناكية ، بينه وبينها يومين فنزلوها ، فتجهز عبد الله من خبرا نجخ يوم ١٣ جمـــادى الآخر وأحضر ثقيل القش في القصر وقصد ماوية .

فلما كان صبيحة الجمعة منتصف الشهر المذكور فاض عليهم في ماوية بغتـة ، وهم على مـائهم ، فحمل المسلمون عليهم حتى قربوا من محطة العسكر ، فثوّر الترك مدافعهم ، فخفّ بعض البوادي الذين مع عبد الله وانصرف عبد الله ومن معه ونزلوا قرب جبل ماوية ، قبـالة الترك ، فثبت الترك وبواديهم لما رأوه نزل فوجهوا مدافعهم الى المسلمين ورموهم بهـــا فأثرت فيهم ، فأمر عبد الله بعض المسلمين أن يرحلوا وينزلوا الماء ، فلمـا همّوا بالرحيل خفّت البوادي وتتابعت فيهم الهزيمة ووقع في قلوبهم الرعب، فاتصلت الهزيمة في جموع المسلمين، واختلطت الجموع بعضها في بعض، وتبعهم الترك والبوادي وقتلوا رجالاً وأخذوا كثيراً من السلاح وغيره وسقط في الأرض من أهل الركايب .

وركب عبد الله في كتيبة من الخيل وحمى ساقة المسلمين .

وهلك في تلك الهزيمة بين القتل والأسر والظمأ نحو مائتي رجل .

وهذا أول وهن وقع في المسلمين) .

سبب هزيمة عبد الله :

يقول ابن سند إن سبب خسارة عبد الله في معركة ماوية ، ثم في كل معركة ، ان رجاله كانوا يحاربون بالرماح والسيوف على الطراز القديم ، ومعهم بنـــادق بالفتيل (فمسافة ما يفك الوهابي بندقيته من جرابها ويولع الفتيلة ، يكون قـد أصابه خمس رصاصات على الأقل) من الجندي التركي الذي يملك بندقية حديثة سريعة الطلقات .

وهناك سبب آخر أضعف عبد الله وهو عداوته لقبائل حرب، الذين يقيمون في منطقة الحناكية .

ويزعم ابن سند ان القائد (ازن علي) الأورفلي الكردي ، ومعه أكثر من مائتي فارس ، اقتحم مقــدمة عسكر الإمام عبد الله ثم تبعه عربان حرب ، وان رجلاً شهد تلك الموقعة أخبره ان الخوف من صوت المدفع ومن اسم الترك (الروم) انتشر في جنود عبد الله ، ولولا اشتغال الترك بجزّ الرؤوس لكانوا أفنوا نصف جيش عبد الله ، (فمن هــذه الوقعة استسهل ابراهيم باشا محاربة الوهابيين وعرف انه لا طاقة لهم بمقابلة ... المدافع ..)

بعد المعركة

محاولة لاسترداد ماوية :

يقول انكيرى إن مقــاتلة عبد الله بن سعود عادوا إلى ماوية يحاولون استردادها ، ولكن حاميتها أطلقت عليهم المدافع واستولت على ما كان معهم من أفراس وأرز وقمح وذخائر .

يقتل الأسرى وينتظر المدد :

وقد أمر إبراهيم باشا بقتل الأسرى من النجديين ..

وأقام في ماوية مدة ، ينتظر المدد من مصر ، فوصله ١٢٠٠ فارس وعدد من المشاة ومدفعان .

فيصل الدويش :

وجاء فيصل الدويش ، رئيس عشائر مطير ، إلى معسكر ابراهيم باشا ، وأعلن خضوعه اليه وإخلاصه للدولة ، وعداءه لعبد الله بن سعود ، الذي قتل أخاً له ، ثم استأذنه في الإنصراف قائلاً : سأنتظركم في الرس [1] .

---

(١) يقول مانجان ان الدويش جاء الى ابراهيم باشا بعد انتصاره ، وبدلاً من أن يجعله الباشا أميراً على الدرعية ، كما وعده ، طالبه بالتأخر من الزكاة عن خمس سنوات ، فتظاهر الدويش بالقبول ، فأرسل معه إبراهيم باشا ضابطين يرافقانه لاستلام المال منه ..

ولما وصل فيصل الدويش إلى عشيرته ، قال للضابطين :

إذهبا إلى مولا كما وقولا له : إنه لم يف بوعده لي ، فإذا أراد شيئاً مني فليأت إلي ..

— أنظر الصفحة التالية —

مشاهير القتلى في ماوية في رسالة السقاف :

لم يذكر ابن بشر أسماء أحد من القتلى في معركة ماوية ، وقد وجدنا في دار الوثائق في استانبول ، رسالة كتبها الشيخ أحمد السقاف العلوي إلى أمين كيلار طريق الحج ، جاء فيها إن عبد الله انهزم في ماوية (وعمره ما حصلت عليه هزيمة مثل هذه) وان المصريين غنموا ذخيرة وخياماً وخيلاً وثلاثة مدافع ، وقتلوا ابن حجيلان ، أمير القصيم ، وعماً لعبد الله بن سعود ، وابن عمه ، وإخواناً لعبد الله .. وفي الرسالة أيضاً ان إبراهيم باشا لم يحضر بنفسه معركة ماوية ، والله أعلم !

وهرب فيصل الدويش بعد ذلك إلى العراق .

ولو أنه صدق في الدفاع عن بلاده إلى جانب عبد الله لكان لمؤازرته بعض الأثر في تخفيف الكارثة ، إن لم نقل في اجتنابها ..

معركة الرس

في رسالة لابراهيم باشا :

كتب ابراهيم باشا ، في أواخر شعبان ١٢٣٢ هـ . رسالة الى والده يقول فيها ان عبد الله ذهب الى بلدة (عنيزة) وشرع في تحصينها ، ولذلك قرر نقـل معسكره من الحناكية الى مكان أقرب الى عنيزة والدرعية ، حتى لا يترك لخصمه فرصة للاستعداد ، وهكذا غادر الحناكية في ١٥ شعبان وتحرك نحو بلدة (الرس) ، ولما وصل الى قرب قلعـة الرس طوقها وأخذ يرميها بالمدافع لمدة خمسة أيام ، فهدم ثلاثة من أبراجها وقسماً من جدارها ، ثم أمر جنوده بالهجوم عليها فاستولوا على أحد البروج المتهـدمة ، ولكن النجديين جمعوا أغصاناً من النخيل اليابس وأحرقوها أسفل ذلك البرج فلم يستطع الجنود احتمال النـار والدخان (فأخرجناهم من البرج ونقلناهم الى الخندق خارج القلعة .. ثم ملأنا الخندق وردمناه ليمر عليه جنودنا حين نأمرهم بالزحف ، وكان كل ذلك يجري أثناء القتال المستمر بيننا وبينهم ، وقد قتلوا منا نحو أربعين وجرحوا ستين .

وفيما نحن نستعد للزحف ودخول القلعة ، بلغنا ان عبد الله خرج من عنيزة وقصد الى القرية التي أرسلنا اليها فريقاً من جنودنا ليتموّنوا منها بالقش والتبن، فأجّلنا مهاجمة الرس وذهبت على رأس عدد من الخيـالة لملاقاة عبد الله والدفاع

عن تموينا ، وقد وفقنا الله فقتلنا من رجال عبد الله مائة وخمسين وجرحنا كثيراً من فرسانه وفرّ الباقون ، ثم عدنا الى محاصرة الرس .

إن هذه القلعة مبنية بالحصى والطين ، وهي متينة جداً ، وجدرانها تتألف من ثلاث طبقات، ويجب أن نصب على كل طبقة ستين قذيفة حتى تتهدم، وأسأل الله أن أوفق الى فتحها قريباً وأبشركم بذلك الخ ..)

مقاومة الرس البطولية :

يقول سدلر إن ابراهيم باشا عند وصوله الى ظاهر بلدة الرس أقسم انه لن يدع فارساً من فرسانه يترجل ولا خيمة من خيامه تنصب قبل أن يدخل البلدة ..

وتقدم رئيس مدفعيته الى بُعد ثمانين خطوة من أسوار قلعة الرس وشرع برميها ، وكان الجنود المصريون يتلقون رصاصاً منهمراً من حماة القلعة فيقتل منهم عشرة أضعاف من يقتلون هم من النجديين .

استطاعت المدفعية المصرية بعد رمي موصول خلال ثلاثة أيام أن تحفر ثغرة في البرج فأحضر الجنود أكياساً من القش وسعف النخل وملأوا بها جانباً من الخندق المحيط بالقلعة ليمروا فوقه الى الثغرة ويزحفوا الى القلعة ..

وقد أمر ابراهيم باشا ستمائة من خيرة مشاته بالزحف عبر الخندق المردوم الى القلعة ففعلوا ، ولكنهم لم يستطيعوا تسلق الأسوار ، وكان الرصاص ينهمر فوقهم .. بينما لا يستطيعون التراجع لأن ابراهيم باشا أمر رجالاً بقتل كل جندي منهم يتقهقر .. وقد رفض كذلك دفن الذين قُتلوا منهم ..

امتد حصار المصريين للرس ثلاثة أشهر ونصف الشهر، أظهر خلالها النجديون في الرس أنهم كانوا أكثر علماً بالحرب من القائد التركي ..

استهلك ابراهيم باشا في رمي الرس بالمدافع ثلاثين ألف حلقة من القنابل ، وأطلقوا من الرصاص ببندقياتهم حمولة أربعمائة جمل ..

وقدرت خسائر الجيش في محاولة الزحف التي قام بها بتسعمائة قتيل وألف جريح ..

وصنعوا من أشجار النخيل ما يشبه البرج ونصبوا عليه المدافع ليرموا البلدة من علو ، فلم يجد ذلك .

وأخيراً اقتنعوا بأن أسوار البلدة مصنوعة من مادة لا تنفذ منها القنابل ، ولم يبقَ أمام الباشا إلا رفع الحصار ، وترك الرس لأهلها .

رواية انكيري :

ويقول انكيري : ذهب ابراهيم باشا الى الرس في ٨ يوليو ، ولحقه اليها فيصل الدويش ..

لم يعاين ابراهيم باشا بلدة الرس ويختبر مواضع الضعف فيها ، وكان ذلك خطأ كبيراً منه ، لأنه كان يطلق المدافع عليها دون هدى ، وربما فعل هذا لاعتلال صحته ورغبته في استعجال الأمور ، ومع العجلة الزلل .

فقد ابراهيم باشا في الرس أكثر من ثمانمائة من رجاله وندم لما كان منه ، وكان يمني الجنود ويعدهم بقرب وصول المدد من مصر وطال الحصار كثيراً ..

ولو أن عبد الله بن سعود جاء الى الرس على تلك الحال لدحر المصريين .. ولكن عبد الله لم يفعل وكأنه هو أيضاً كان ينتظر المدد ..

رواية آثار الأدهار :

وفي آثار الأدهار ان ابراهيم باشا سار من الماوية (في أربعة آلاف رجل وألف ومائتي فارس ما خلا التابعين من الأعراب ، قاصداً مدينة الرس، فنازلها ورماها بالكرات ستة أيام متوالية ، وهاجمها ثلاث مرات ولم يتمكن من اقتحامها ، وكانت بينه وبين حاميتها معارك قتل بها من عسكره زهاء ٣٤٠٠ مقاتل ، ولم يهلك من عساكر الوهابية إلا نحو ١٦٠ مقاتلاً وجرح منهم جماعة .

ثم هادن أهل المدينة على أن يرحل عنها ولا يدخلها،فوادعوه على أن يكون له حق بإقامة طائفة من جنده بها إذا استولى على بلدة عنيزة) .

رواية مانجان وفيسيير :

يقول مانجان ان ابراهيم باشا أخفق مراراً في اقتحام الرس ، وانه عمد الى حيلة ظنها ناجحة لحمل أهالي الرس على الاستسلام ، وذلك انه قتل عدداً من

النجديين ووضع جثثهم أمام سوار الرس ليراها السكان ويخافوا ويستسلموا ، ولكنهم استمروا في مقاومتهم الباسلة .

وقد كتب ابراهيم باشا الى فيصل الدويش يستقدمه الى الرس فحضر مع رجال من عشائره وقدم المؤن ووسائل النقل .

وفي النهاية صالحت حامية الرس ابراهيم باشا على عدم محاربته ، وعلى القبول بدخول حامية مصرية الى البلدة ، متى استولى المصريون على عنيزة .

خسر المصريون في حصار الرس ٣٤٠٠ رجل ، ولم يخسر النجديون سوى ١٦٠ رجلاً) .

ويقول قنصل فرنسا في القاهرة ان المستشار الفرنسي الحربي لإبراهيم باشا (فيسيير) أخبره ان خسائر المصريين في الرس بلغت ثلث مجموع قواتهم .

معركة الرس في رواية ابن بشر :

يقول ابن بشر ان ابراهيم باشا سار الى الرس فوصلها في ٢٥ شعبان سنة ١٢٣٢ هـ . وكان (معه من العدد والعِدد والكيد الهائل ما ليس له نظير ، وكان معه مدافع وقبوس هائلة ، كل واحد يثور مرتين : مرة في بطنه .. ومرة تثور رصاصته وسط الجدار بعد ما تثبت فيه فتهدمه ..)

وقد ثبت له أهل الرس وأمدّهم عبد الله بن سعود برجال من عنده ، مرابطة ، (وحاصرهم الترك أشد الحصار ، وتابعوا عليهم الحرب في الليل والنهار ، كل يوم يسوق الباشا على سورها صناديد الروم ، بعد ما يجعل السور في الأرض « مهدوم » ، فأنزل الله السكينة على أهل البلاد والمرابطة وقاتلوا قتال من حمى الأهل والعيال ، وصبروا صبراً ليس له مثال ، فكلما هدمت القبوس السور بالنهار بنوه في الليل ، وكلما حفر الترك حفراً للبارود حفر أهل الرس تجاهه حتى يبطلوه ، وبعض الأحيان يثور عليهم وهم لا يعلمون .

وطال الحصار الى اثني عشر ذي الحجة .

وذكر ان الترك رموا في ليلة خمسة آلاف رمية بالمدافع والقنابر والقبس ، وأهلكوا ما خلف القلعة من النخيل وغيرها .

هذا وعبدالله بن سعود وجنوده المسلمون في عنيزة .. فأرسل أهل الرس اليه إما أن يرحل الى الترك ويناجزهم ، وإما ان يأذن لهم بالمصالحة .

وأقبل عساكر وقبوس وأمداد من الترك كثيرة ونزلوا على ابراهيم ومن معه في الرس ، واستعظم أمره ، وكثرت دولته ، فوقعت المصالحة بينه وبين أهل الرس على دمائهم وأموالهم وسلاحهم ، وبلادهم وجميع من عندهم ، والمرابطة يخرجون الى مأمنهم بسلاحهم وبجميع ما معهم .

وقد خرج المرابطة من الرس وقصدوا عبد الله في عنيزة .

وقتل من أهل الرس والمرابطة في هذا الحرب نحو سبعين رجلاً ، وقتل من عسكر الترك ما ينيف على ستمائة رجل .) .

خطأ عبد الله في رأي الجنرال فيغان :

أخطأ ابراهيم باشا في حصار الرس لأنه لم يعمل بنصيحة مستشاره فيسيير ، الذي أشار عليه باختيار المواضع المناسبة لمدافعه قبل رمي البلد ، ولكن خطأ عبد الله أفظع ..

ويقول الجنرال فيغان ان عبد الله بن سعود أخطأ خطأ لا يغتفر بعدم اتباع الخطة الحربية البارعة التي قيل ان بعض رجاله نصحوه بها .

كان يجب عليه :

١ - أن يحمل على الترك بعشرة آلاف مقاتل ويستدرجهم الى الصحراء .

٢ - أن يرسل ثلاثين ألف مقاتل للاستيلاء على البلدة ثم يأتي هو بجيش آخر من وراء ابراهيم باشا ..

٣ - أن يرسل فرقة ثالثة الى الحجاز ، لتسترد بمساعدة اليمانيين ، مكة والمدينة ..

ولو كان عبد الله على حظ من التفكير الحربي السليم لاستفاد من حالة اليأس التي غمرت المصريين لعجزهم عن الإستيلاء على الرس فهجم عليهم وغلبهم .

لكن عبد الله لم يهتم بمساعدة أهل الرس وإنما كان مهتماً بالدفاع عن الدرعية جاهلاً أن الدفاع عن الرس هو دفاع عن الدرعية .

كان يجب على عبد الله أن يتبع الخطة التي اتبعها الأمير عبد القادر الجزائري في حربه ضد الافرنسيين . كانوا يملكون جيشاً مؤلفاً من مائة ألف مقـــاتل ، ولكن عبدالقادر استطاع الصمود أمامهم سبع سنوات، وذلك انه وضع لنفسه سياسة حربية في منتهى الذكاء وتتلخص خطته في قيـــامه بهجمات خاطفة على الافرنسيين وعلى خطوط مواصلاتهم ، ثم الانسحاب فجأة ..

ولو طبق عبد الله هذه الخطة في جزيرة العرب لكان نجاحها مضموناً .

هل جرت مفاوضات للصلح خلال حصار الرس ؟

يقول مانجان إن عبد الله بن سعود بدلاً من الهجوم على ابراهيم باشا أثنـــاء حصاره الفـــاشل للرس ، بعث اليه الشيخين محمد الحنبلي وعبد العزيز بن محمد يعرضان عليه الصلح فرفض ..

ثم كرر عبد الله طلبه بواسطة صالح بن رشيد فطلب ابراهيم باشا أن يدفع اليه عبد الله نفقات الحملة ومتأخر رواتب الجنود وألفي حصان وثلاثة آلاف جمل ومؤن لستة أشهر ، ويقدم اليه اثنين من أولاده رهائن ..

فقال له رسول عبد الله : ما هــذا ؟ إنك تفاوض سلطان نجد ، ولا تخاطب فلاحاً مصرياً .

ولم ينعقد الصلح ..

ويقول انكيري إن ابراهيم باشا قال لرسول عبد الله : إنه يخدعني بطلبه ، بينما يثير البدو ويجمعهم ضدي .

وكان الرسول يحمل هــدايا معه فرفضها ابراهيم باشا ، وكأن الرسول خاف من مغبة الرفض وسوء أثره في الدرعية ، فبـــاع الهدايا واشترى ١٢ عبداً ، وأشاع قبل دخوله الدرعية أنه نجح في مهمتة وأن ابراهيم باشا أرسل معه هؤلاء العبيد هدية ..

ولما استقبله عبد الله قال له : أبعد النـــاس ، ولما خلا به ، قال له : لم أشأ إضعاف روح رجالنا. لقد نظر ابراهيم باشا إلى هداياك بازدراء ورفضها وأجاب أنه قادم إلى الدرعية، فخُذْ حذرك . إن جيشه رغم ما حلّ به ما زال قوياً..

وهذه الروايات أقرب إلى الخيال ولكننا لا نملك نفيها تماماً، ويضعفها عندنا أنها تروى أحياناً عن محمـــد علي أو طوسون أو عن ابراهيم نفسه ، ولكن في مناسبات اخرى !

لولا الدويش لرجع ابراهيم باشا عن القصيم !

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن في « المقـــامات » إن ابراهيم باشا نزل (القصيم وحاربهم قدر شهرين ، وأيّدهم الله بالنصر لما كانوا مستقيمين صابرين ، وعزم على الرجوع عنهم ، لكن فيصل الدويش — قـاتله الله — قوّى عزمه وطمّعه وخوّفه ، وبعد هذا صالح أهل الرس) ..

الخبرا وعنيزة

الخبرا :

سار ابراهيم باشا من «الرس» إلى «الخبرا» فاستولى عليها في سهولة ويسر.. ويكتفي ابن بشر من أخبار استيلاء إبراهيم باشا على بلدة الخبرا بقوله انه نزل الخبرا بعساكره ، (فلما نزلوها وقع الرعب في قلوب المسلمين وتفرقت البوادي) .

عنيزة :

سار ابراهيم باشا بعد استيلائه على الخبرا إلى عنيزة ، وكان عبد الله في عنيزة ، ولكنه لم يبقَ فيها لمواجهة إبراهيم باشا ومقاومته ، واكتفى ، كما يقول ابن بشر، بوضع مرابطة من أهل نجد فيها « في قصر الصفا » وجعل لهم في القصر (شيئاً كثيراً من الطعام والبارود والحطب وجميع ما يحتاجون اليه) ثم رحل إلى بريدة .

(ثم إن الباشا وعساكر الترك رحلوا من الخبرا الى عنيزة ، ونازلوها فسلمت لهم البلد وأطاعوا لهم .

وامتنع أهل القصر، فجرّ عليهم القبوس والقنابر ورماهم بها رمياً هائلاً يوماً وليلة ، وعمل الباشا زحافات دون رصاص أهل القصر وقرب منهم القبوس والقنابر فثلم جدار القصر ، ووقعت رصاصة من القنبر في القصر ، وجعلها الله

سبحانه على جبخانهم،وكان في موضع خاف في بطن الأرض مسقف عليه بخشب كبار وفوقه طين وتراب .. فثار الجبخان وهدم ما حوله ومات بسببه رجل أو رجلان .

فلما رأى أهل القصر أن البلد أطاعت له وأن سور القصر هدم عليهم طلبوا المصالحة من الباشا فصالحهم على دمائهم وأموالهم وسلاحهم ، فخرجوا من القصر ودخله الترك ، ورحل المرابطة إلى أوطانهم .

فلما بلغ ذلك عبد الله ، وهو في بريدة رحل منها وقصد الدرعية ، وأذن لأهل النواحي يرجعون إلى أوطانهم) .

رسالة القنصل الافرنسي :

ويقول القنصل الإفرنسي في القاهرة في رسالتين أرسلها إلى وزير الخارجية بباريس إن عنيزة استسلمت ليلة ١٧ نوفمبر سنة ١٨١٨ م.، بعد انفجار مستودع للبارود ، ووجد المصريون فيها أربعة مدافع .

ويبلغ عدد سكان عنيزة ثمانية آلاف نفس .

وقد بني حصنها خلال سبعين سنة .. وهو ثخين جداً ، وكان الناس يظنون أن عنيزة مدينه منيعة لا يرام قهرها بسبب مناعة حصنها العظيم ، ولذلك قال صاحب الرس لإبراهيم باشا : سنسمح لحامية مصرية بالإقامة في بلدتنا متى تم لكم الاستيلاء على عنيزة ..

وكان هذا القول ينطوي على شيء من السخر والمكر .

ولكن عنيزة سقطت.. و «فسيير» ـ الضابط الإفرنسي ـ هو الذي نظّم الحصار وأدار المعركة ، فلم يقاوم المقاتلون في عنيزة ، من وراء حصنهم ، أكثر من ستة أيام ثم استسلموا .

وتعاظمت ثقة إبراهيم باشا بمستشاره الإفرنسي بعد هذا النصر ، فكان رأيه هو المتبع عنده .

ويقول انكيرى ان ابراهيم باشا لم يستعمل الشدة مع النجديين الذين قاوموه وإنما طلب منهم أن يلقوا سلاحهم ويخرجوا من عنيزة ، ففعلوا .

بريدة والمذنب وأشيقر :

ويقول ابن بشر ، في أخبار سنة ١٢٣٣ هـ . ، ان الباشا ارتحل من عنيزة ، وقصد (بريدة) ونازل أهلها فأطاعوا له ، ثم رحل منها وأخذ معه أميرها وعدداً من أعيانها ، كعادته في كل بلد يستولي عليها ثم يرحل منها ، ثم سار الى (المذنب) ثم الى بلد (أشيقر والفرعة فاستأمنوه ودخلوا في طاعته) .

شـــقراء

في رسالة ابراهيم باشا :

يقول ابراهيم باشا في رسالة الى والده محمد علي انه وصل (شقراء) ، وبدأ حصارها في ١١ ربيع الأول ١٢٣٣ هـ. – ٢٥ ينـاير ١٨١٨ م. وانه بدأ برمي السور والأبراج المبنية في البساتين وكان عدد تلك الأبراج نحو عشرين، وقد تهدم شطر كبير من السور بعد رميه بالقنابل مدة أربع وعشرين ساعة ، فهجم العساكر على الأبراج وقتلوا عدداً من حماتها واستولوا عليها .

ثم أدنيت المدافع من سور القلعة واستمر الرمي ثلاثة أيام حتى تهدم جزء من جدار القلعة ، فتعالت صيحات الأهالي وقد رأوا تقوض البروج والأسوار والقلعة وكثرة القتلى والجرحى طالبين الأمان قائلين: (إرحم عيالنا واعفُ عن تقصيرنا يا ابراهيم) ..

ثم جاء عـــدد من وجهاء البلد الى ابراهيم باشا يعرضون الولاء ويطلبون المصالحة ، فأمنهم واشترط عليهم تسليم المدافع الخمسة الموجودة في القلعة وجميع الأسلحة التي يملكها المقاتلون النجديون الأربعمائة الذين وضعهم عبد الله في القلعة مدداً ، وأن يتعهد الأهالي ببيع العساكر كل ما يطلبونه من الميرة ..

رواية ابن بشر :

يقول ابن بشر إن أهل شقرا كانوا يتوقعون غزو بلدتهم ولذلك قاموا بتعميق وتوسيع الخندق الذي كانوا بدأوا في حفره وقت طوسون فلما وقع الصلح أهملوه ،

وقد أمرهم باتخاذ الاستعدادات للغزو أمير شقرا والوشم حمد بن يحيى ، فقاموا في حفر الخندق (أشد القيام ، واستعانوا بالنساء والولدان لحمل الماء والطعام ، حتى جعلوه خندقاً عميقاً واسعاً ، وبنوا على شفيره جداراً من جهة السور .

ثم ألزمهم - أميرهم - كل رجل غني يشتري من الحنطة بعدد معلوم من الريالات ، خوفاً أن يطول عليهم الحصار ، فاشتروا من الطعام شيئاً كثيراً .

ثم أمر على النخيل التي تلي الخندق والقلعة أن تشذب عسبانها ولا يبقى إلا خوافيها ، ففعلوا ذلك وهم كارهون، لأن أهل هذه البلدة هم المشار اليهم في نجد، والمشهورون بالمساعدة للشيخ وعبد العزيز ومن بعدهم) .

حصار شقرا والصلح :

بدأ ابراهيم باشا حصار شقرا ، كما يقول ابن بشر، يوم الجمعة ١٧ ربيع الأول سنة ١٢٣٣ هـ . وكان قد جاء مع طليعة ومدفع يوم الخميس فدار حولها (وقاسها وعرفها وعرف موضع منزله ومنزل عسكره وقبوسه ..

فلما كان صبيحة الجمعة رحل من اشيقر بخيمه وعساكره وقبوسه ومدافعه وقنابره - وكان قد أتى اليه امداد من العساكر والقبوس وصار في قوة عظيمة - فسار الى شقرا فنزل أسفل البلد وشمالها ، فخرج اليه أهلها ، فساق عليهم الباشا الترك ، فوقع بينهم قتال شديد في وسط النخيل وخارجها ، فقتل من الترك قتلى كثيرة وجرح عليهم جرحى عديدة ، فتكاثر عليهم افزاع الترك ، وجرح الأمير حمد بن يحيى ببندق جرحاً شديداً فدخلوا البلد واحتصروا فيها .

ثم ان الباشا جرّ القبوس والقنابر والمدافع وجعلها فوق المرقب ، الجبل الشمالي ، فرمى البلد منه رمياً هائلاً أرهب ما حوله من القرى والبلدان من أهل سدير ومنيخ وأهل المحمل وغيرهم ، حتى سمعه من كان بالحرمة ومجزل وما حولها .

فلما احتصر أهل البلد فيها أنزل قبوسه ومدافعه وقنابره من رأس الجبل وقرّبها من السور وحقق عليهم الحرب والرمي المتتابع ، حتى قيل انه رماها في ليلة بثلاثمائة حمل من الرصاص والبارود .

وذكر لي رجل كان في وسطها ، قال: (إن رصاص القبوس والمدافع والقنابر يتضارب بعضها ببعض في الهواء فوق البلد وفي وسطها) .

ثم إنه هدم ما يليه من سورها ، وقطع نخيلها إلا القليل، وأهل البلد ثابتون وفي أكنافها يقاتلون .

فقرّب الباشا القبوس من السور ، وهدم ما يليه من الدور والقصور، فحماهم الله سبحانه ، وكفّ أيدي الترك عنهم ... فكلما همّ الترك بالحملة عليهم انثنى عزمهم لأجل الخندق ولأجل ما أذاقوهم من شدة القتال أول نزولهم ، فصار الخندق من الأسباب لثبات أهلها لأنه لا يرام ..

وفي كل يوم وليلة والباشا يناديهم ويدعوهم الى المصالحة ويأبون عليه .

فلما كان يوم الخميس وقعت المصالحة بين الباشا وبينهم ، خرج اليه رجلان من رؤساء أهلها فصالحوه على دمائهم وأموالهم وما احتوت عليه بلدهم .)

رواية مانجان :

في ١٣ ينـــاير سنة ١٨١٨ م. خرج ابراهيم باشا على رأس ثمانمائة فارس يستكشف أطراف شقراء ، ويختار مكاناً يقيم فيه معسكره ، فجرت بينه وبين النجديين مناوشة يسيرة قتل فيها اثنان من رجاله وجرح نفر منهم ، وفي المساء عاد ابراهيم باشا الى مخيمه وأمر الرؤساء بالاستعداد للرحيل صباح الغد ..

كانت المسيرة بطيئة ، لأن المدفعية كانت مضطرة الى شق طريقها خـــلال رمال متحركة .

كان عدد العساكر أربعـة آلاف وخمسمائة مقاتل ، يتبعهم ستة آلاف بعير محملة بالمؤن والذخائر .

وقد وصلوا الى شقرا عند الظهر، وأنزلهم ابراهيم باشا الى الشرق من البلدة، وأمر المشاة بأن يطلقوا رصاصهم ، بينما اتخذت المدفعية أمكنة لها في مرتفعات مناسبة وأخذت ترمي البلد بقنابلها رمياً شديداً ، وفي اليوم الثـــالث للهجوم أمكن إحداث ثغرات في أسوار البساتين ، فانطلق الجنود يهجمون على الدور المتناثرة في بساتين البـلدة الخارجية ، فقاومهم النجديون بشدة وأجبروهم على

الانسحاب، ولكن النجديين لم يستطيعوا الصبر على القنابل والقذائف فانسحبوا وتحصنوا داخل أسوار المدينة .

استولى المصريون على ما في البساتين من دور وتحصينات ، وبعد أن تمّ لهم ذلك شرعوا في بناء تحصينات خاصة للمدفعية واتبعوا في محاصرة البلدة وترتيب الهجوم عليها الخطط التي وضعها المستشار الافرنسي فيسيير ، حتى لا يتكرر الخطأ الذي ارتكبوه في حصار الرس .

كان المصريون يظنون أن الحصار قد يطول، فحملوا الى مخيماتهم أعداداً هائلة من الأغنام والجمال وأصناف الطعام ، وكثير من ذلك كانوا غنموه في غاراتهم على العشائر المعادية .

وبعد الانتهاء من ذلك كله أخذت المدفعية ترمي البلد بقذائفها ، واستمر هذا القذف ستة أيام ، وفي اليوم السادس أرسل أهالي شقرا ورجال حاميتها رسولاً الى ابراهيم باشا يعرض عليه المصالحة ، فتوقف القتال ساعتين لإجراء المفاوضات ، ولكنها لم تسفر عن اتفاق ، فاستؤنف القتال .

ثم عادت الحامية فأرسلت مندوباً آخر يحمل شروطاً جديدة للصلح ، فوافق عليها الباشا ، وأعطى أمير شقرا حمد بن يحيى – وهو قريب لعبد الله بن سعود لأنه زوج أخته – منديلاً أبيض ، رمز الأمان ، ففتحت المدينة أبوابها لإبراهيم باشا وعسكره وقت الظهر .

كان في شروط الصلح : أن مقاتلة شقرا ، وعددهم ١٤٠٠ مقاتل ، يلقون أسلحتهم ويعودون الى بلدانهم بعد تعهدهم بأنهم لن يشتركوا في أي قتال .

وكان عند حامية شقرا خمسة مدافع ،يدير رمايتها ضابط تركي فار من جيش طوسون ، فطلب الباشا تسليمها فسلمت اليه ، واستولى الباشا كذلك على كل ما كان في شقرا من سهام وسيوف وبنادق وذخائر ، ولكنه وزعها على حلفائه من العشائر وأهل نجد .

ووجد ابراهيم باشا في شقرا من القمح والأرز والشعير ما يكفي عسكره شهراً كاملاً .

سقط من أهالي شقرا وحاميتها مئة وسبعون قتيلا وجرح مائتان ، بينهم خمس وثلاثون امرأة وعـــدد من الاطفال . ولم يعرف عدد الأسرى الذين أمر ابراهيم باشا بقتلهم .

أما خسارة الترك فكانت مائة وثلاثين قتيلاً وعدداً كبيراً من الجرحى .

الآذان المقطوعة :

كتب ابراهيم باشا ، بعد استيلائه على شقرا ، الى والده يبشره بهذا النصر السريع على أعظم بلدة محصنة في نجد .. وأرسل مع الهجانة عدداً كبيراً من آذان الشهداء النجديين الذين قتلهم لتكون « دليلاً » على فعاله وفتكه ، وقـد تكرر من ابراهيم باشا هذا النوع من التمثيل الذي تنكره الديانة والأخلاق ، ويستوجب لفاعله الخزي والعار ، لا الفخر والزهو ..

الاستعداد للهجوم على الدرعية :

كان انتصار الباشا في شقرا مغرياً له بالإسراع في الهجوم على الدرعية ، فطلب من والده امدادات قوية ، ويقول القنصل الإفرنسي روسل ان محمـد علي لبّى طلب ابراهيم فأرسل اليه ٩٠٠٠ جندي .

وقدّر روسل عدد أزواج الآذان المقطوعة التي أرسلها ابراهيم الى أبيـــه ليتنعم هو ورجاله برؤيتها بألف ومائتي زوج .. لعل بعضها أُخذ من الجرحى فزادهم تشويهاً وهم أحياء ..

الباشا يرحل من شقرا ثم يعود للانتقام :

يقول ابن بشر ان الباشا رحل من شقرا بعد أيام من المصالحة ، فوشى بأهل شقرا رجل وزعم له ان بعض الأهالي رحلوا الى الدرعية وأنهم سينقضون العهد ويحاربونه الخ .. فدخل البـاشا البلد مغضباً بعـــدد كبير من عسكره ، واستدعى اليه أمير البـلدة الجريح وخاطبه بشدة ، واستدعى كذلك الشيخ العالم عبد العزيز الحصين وحدثه بمـا جرى من أهل البلد ، ولكن الحاضرين في مجلسه أقنعوه بالأدلة القاطعة على كذب الواشين (فكفى الله شره .. وأمرهم

أن يخلوا بيوتاً للجرحى الذين جرحوا في الحرب ففعلوا..وهدم سور البلد ودفن خندقها وأقام عليها نحواً من شهر ثم ارتحل منها ومعه عشرة من رؤسائهم) ..

ذلك ما يقوله ابن بشر ولكن مانجان يقول ان سبب عودة الباشا الى شقرا البرد وهطول الأمطار بغزارة مما جعل مسير العساكر متعذراً. وأما هدم السور فقد وقع بعد الإستيلاء على الدرعية .

بطولة ضرمى

حاصر ابراهيم باشا بلدة ضرمى[1] أربعة أيام، رماها خلالها رمياً هائلاً بالمدافع حتى تهدم سورها ثم قاتل أهلها في الأسواق والبيوت ، ثم اقتحم البـلدة عنوة فوجدها خالية من أهلها باستثناء النساء والأطفال والعجزة.. فجمعهم وقال لهم أن يذهبوا الى الدرعية ، يريد من وراء ذلك أن يلقي الرعب في نفوس أهــل الدرعية فيسهل عليه الاستيلاء عليها ..

لم يكن حصار ضرمى وحربها طويلين، لأن سور البلدة لم يكن متيناً كسور شقرا ، وأما القلعة فلم يكن لها سور ولا حولها خندق، وكل هذا مكّن المدفعية المصرية من الفتك بالأهالي فتكاً ذريعاً ، ولكن الأهــالي قاوموا الغزو ببسالة اسطورية ورفضوا عرض الصلح ، ويقدّر ابن بشر عـدد سكان ضرمى بألف ومائتي رجل، استشهد منهم ثمانمائة ، ولكنهم قتلوا من جنود ابراهيم باشا خلال الهجوم الكبير ما يقرب من هذا العدد ..

بدأ الغزو المصري صباح ١٤ ربيـع الثاني ١٢٣٣ هـ . فقد وصل الباشا يومئذ الى شرقي البلد ونزل بعساكره وثقله وخيامه قرب قصور المزاحميات ، قال ابن بشر : (ثم سارت العساكر بالقبوس والمدافع والقنابر ونزلوا بها شمال البلد قرب

---

(١) « ضرمى » ، كما أثبتها ابن غنام ، وجاءت في ابن بشر هكذا : « ضرماء » !

السور ، فثار الحرب بين الترك وبين أهلها ، وحقق الباشا عليهم الرمي المتتابع وحربهم حرباً لم يروا مثله وثبت الله أهـــل البلد فلم يعبأوا به ، وطلب منهم المصالحة فأبوا عليه ولم يعطوه الدنية .

– وكانت هذه البلد ليس في تلك النواحي أقوى منها ، بعد الدرعية ، رجالاً وأموالاً وعدداً وعدة .. –

.. ثم حشدت عليهم عساكر الترك ، وثلموا السور بالقبوس والمدافع فلم يحصلوا على طائل .

ثم حشد الترك عليهم أيضاً وقربوا القبوس من السور وحاربوها حرباً عظيمة هائلة ، فهدموا مـــا والاهم من السور . (ذكر لي انهم عدّوا فيما بين المغرب والعشاء الآخرة خمسة آلاف وسبعمائة رمية ما بين قبس ومدفع وقنبر) .

ثم ان الباشا ساق الترك عليهم ، وأهل البلد ثابتون فيه ، فحمل الترك عليهم حملة واحدة ، فثبتوا لهم وجالدوهم جدال صدق ، وقتلوا منهم نحو ستمائة رجل ، وردّوهم الى باشتهم .

.. وبنوا بعض ما انهدم من السور .

فلما رأى الباشا صبرهم وصدق جلادهم ، أمر على بعض القبوس وصرفها الى جنوب البلد ، وفيه متعب بن عفيصان ومن معه من أهل الخرج ، فرماهم بتلك القبوس .

وكان الحرب والضرب والرمي متتابعاً على أهل البـلد من الترك في الموضع الأول ، وجميع أهل النجدة من أهل البلد والمرابطة قبالتهم ، عنـــد السور المهدوم ، في وجه القبوس والقنابر ، فلم يفجأهم إلا الصارخ من خلفهم ان الترك قـــد خلفوكم في أهليكم وأولادكم وأموالكم ، فكرّوا لبلدهم راجعين ، وكرّت عساكر الترك في أثرهم ، وذلك بعد صلاة الصبح ١٧ ربيع الثاني .

وكانت تلك الليلة التي حصلت فيها شدة هذا الحرب من إرادة الله سبحانه وقدره ، لما أراد الله أن يمضي أمره ، صبّ السماء عليهم تلك الليلة بالمطر ومعه برد شديد يجمـــد منه في الجو القطر ، وكانت البلد ليس على قلعتها سور ، بل

أسواقها عابرة من كل جهة الى نخيلها ، والسور المذكور خـارج النخيل ..
ودخلت الترك البلد من كل جهـة وأخذوها عنوة ، وقتلوا أهلها في الأسواق والسكك والبيوت، وكان أهل البلد قد جالدوهم في وسطها الى ارتفاع الشمس، وقتلوا من الترك قتلى كثيرة ، ولكن الترك خدعوهم بالأمان ، ذكر لي انهم يأتون الى أهل البيت والعصابة مجتمعة فيقولون لهم : أمان.. أمان.. ويأخذون سلاحهم ويقتلونهم ، وقد نهبوا جميع ما احتوت عليه البلد من الأموال والأمتاع والسلاح واللباس والمواشي والخيل وغير ذلك) .

ويقول ابن بشر ان الامام عبد الله بن سعود كان أمـد ضرمى قبل وصول ابراهيم باشا اليها بالمرابطة من الدرعية وغيرها ، فأرسل اليها سعود بن عبد الله ابن محمـد بن سعود في عدد من رجال الدرعية وغيرهم ، ومتعب بن ابراهيم بن عفيصان بعدد من أهل الخرج وغيرهم ومحمد العميري بعـدد من أهل ثادق والمحمل ، فلما استولى العساكر على البلد (خرج العميري المذكور في شرذمة رجال من أهل ثادق والمحمل ، بعدما قتل بعضهم ، فجال عليهم الترك فضربوهم بالرماح والسيوف حتى خلصوا من بين أيديهم ونجاهم الله . واحتصر سعود المذكور في قصر من قصور البلد ومعه أكثر من مائة رجل من أهل الدرعية وغيرهم فأرسل اليهم الباشا وأعطاهم الأمان على دمائهم فخرجوا وساروا الى الدرعية ولم ينلهم مكروه .

وهرب رجال من أهل البلد وغيرهم في البرية على وجوههم فبين ناج ومقتول.

وبقيت البلد خالية من أهلها ، وجمع الباشا جميع ما فيها من النساء والذرية وأرسلهم الى الدرعية ، وهم نحو ثلاثة آلاف نفس ، فلما قدموها قام لهم عبد الله وأهل الدرعية فأنزلوهم وأعطوهم وأكرموهم .

والذي قتل في هذه الوقعة من أهل ضرمى نحو ثمانمائة رجل ، وأهل البلد قيمة اثنتي عشرة مائة رجل ، وقتل من المرابطة نحو من خمسين رجلاً) .

العبيد حاولوا قتل ابراهيم باشا :

يقول غوان ومانجان ان المماليك الذين كانوا يتولون حراسة ابراهيم باشا في

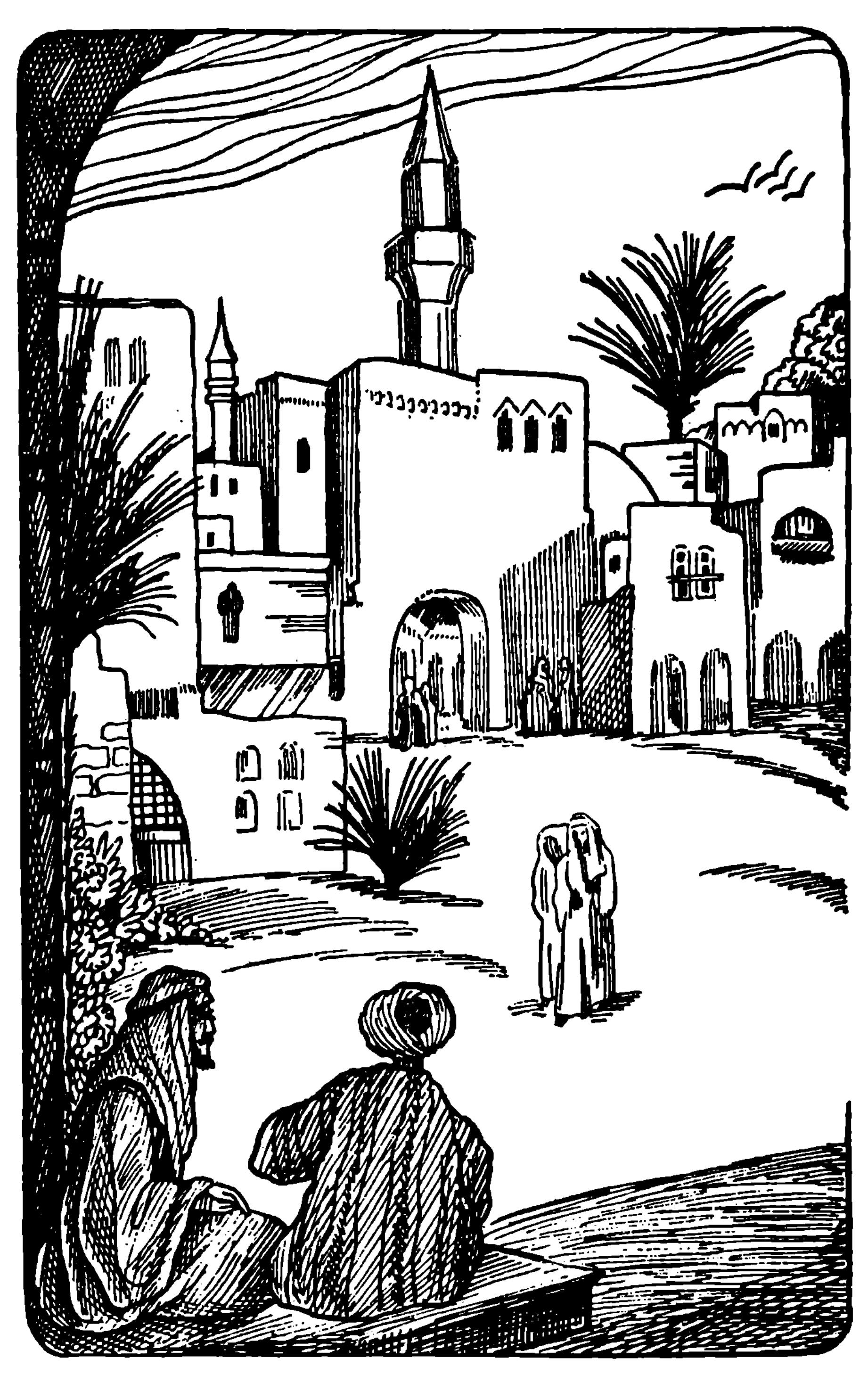
خيمته ليلاً ، وهم من عبيده الذين كان وعدهم بالعتق ولكنه لم يفعل - تآمروا فيما بينهم على قتله وأخذ مـا يستطيعون أخذه من أمواله والهرب الى العراق ، وكان رأس المؤامرة المملوك يوسف ، ويقال ان سبب غضبه ان ابراهيم باشا كان يجلده هو وسائر المماليك .

لم تنجح المؤامرة لأن أحد المتآمرين أبلغ خبرهـا سراً الى الباشا ، فأحضر يوسف الى خيمته وجرى بينهما حديث ومشادة عنيفة ، فأخرج يوسف مسدسه وأطلق النار على ابراهيم باشا فأصابه بين عنقه وكتفه اصابة غير قاتلة ، وهرب يوسف فلحق به العسكر وأمسكوه وقتلوه .

وقد أوكل ابراهيم باشا بعد ذلك حراسة خيمته الى الجنود .

ويقال ان محمد علي قرر ، بعد هذا الحادث ، استدعاء ابراهيم الى مصر ، أو نقله من نجد الى الحجاز ، ولكنه أمهله حتى يتم له الإستيلاء على الدرعية ..

مأساة الدرعيّة



— صورة لمدخل الدرعية ، كما تخيله « أنكيري » —

توطئة

في أواخر ربيع الثاني من سنة ١٢٣٣ هـ . سار إبراهيم باشا بجيوشه ومدافعه ومؤنه إلى « الدرعية » ليخوض المعركة التاريخية الحاسمة بينه وبين جنود الإمام عبد الله بن سعود ، الذين كانوا ينتظرونه على شعاب الدرعية ، وخلال حصونها وأسوارها .

لم تكن القوى متكافئة : فإبراهيم باشا أمدّه أبوه بأعداد كبيرة من الجنود المدربين، وبمؤن لا تنفد، وأموال لا تعدّ ولا تحصى ، وجَهّزه بالمدافع والصواريخ وغير ذلك من أدوات الحرب الحديثة ، وكان يتولى التخطيط وتوجيه المعارك في جيشه عدد من الخبراء الأجانب ، لمع من بينهم اسم القائد الافرنسي « فيسيير »، وكانوا كثيرين ، وكثرتهم من الترك الذين انتدبهم السلطان العثماني لمساعدة إبراهيم ...

أما جنود الإمام عبد الله فكان ينقصهم السلاح الحديث ، وخصوصاً سلاح « المدفعية » ، الذي يعتبر مادة أساسية في معركة تدور رحاها بين تلال الدرعية ووهادها ولا تعصم فيها الحصون سكانها إن لم تبعد عنها مدافع الغزاة مدافعُ مثلها ترميهم بنيرانها رمياً محكماً موصولاً !

لم يكن عند الإمام عبد الله هذا السلاح الثقيل الرهيب، ولا كان عنده الخبراء الذين يحسنون استعماله، ولم تكن ذخيرته ولا مؤنه كافية ، وإلى ذلك كله : كان

عدد مقاتلته محدوداً ينقص ولا يزيد ، وهكذا .. كانت النتيجة واضحة ..

ولكن الإمام عبد الله لم يستسلم ، وقبل التحدي ، وكانت معركته خاسرة ، ولكنه لم يخسر الشرف ، فقد دافع هو وإخوانه وشعبه عن دينهم ووطنهم دفاعاً بطولياً ، فرووا الأرض من دمائهم ، وقتلوا من أعدائهم عدداً كبيراً ولقنوهم دروساً قاسية فإن كانوا خسروا معركة الدرعية ، فإنهم لم يناموا على الضيم ، ولم يسكتوا عن الهزيمة ، وبقيت الحماسة مضطرمة في نفوسهم ، حتى أذن الله سبحانه بطرد الغزاة الغاصبين وتحرير الأوطان منهم على أيدي رجال نجد الشجعان المؤمنين ، يقودهم بطل من آل سعود ، هو الإمام تركي بن عبد الله .

وصف القوى المتصارعة

قوات إبراهيم باشا :

يقول (ويندر) إن تحديد قوات إبراهيم باشا – عند مجيئه إلى الدرعية – صعب جداً ، لكثرة البدو الذين كان يستخدمهم ، ولكن (سدلر) قدّرهم ، تخميناً ، كما يأتي :

١٩٥٠ فارساً .

٤٣٠٠ جندي من المشاة الأرناؤوط والأتراك .

١٣٠٠ جندي من الأفارقة (المغاربة) .

ولا يدخل في هذا الإحصاء طبعاً البدو وغيرهم من الرجال غير النظاميين .

وكان يصحبه :

٤٠٠ من رجال المدفعية .

٤ « طقوم » من المدفعية الثقيلة .

٥ « طقوم » من المدفعية التركية .

ويقول (أنكيري) إن عشرة آلاف بعير كانت تحمل المؤن والماء ...

ويقول ابن بشر أن ابراهيم باشا ، بمشورة بعض رؤساء نجد ، أشرك معه في حصار الدرعية « غزواً » من كل بلد من بلدان نجد التي استولى عليها .

وصف ابن بشر لجيش ابراهيم :

وصف ابن بشر قوة إبراهيم باشا وتموينه وإمداداته ، فقال :

(كان هذا الباشا في قوة عظيمة من العساكر والأموال وآلات الحروب ، من القبوس والمدافع والقنابر وكثرة السلاح ، وكثرة تتابع القوافل عليه من مصر بالعساكر والجبخان وآلات العساكر من الأمتاع والأزواد وغير ذلك من جميع ما ينوب العساكر ، حتى البصل .. أتى اليه من مصر !

وكانت قبوسه وقنابره أمراً هائلاً من عظم رصاصها وما تفعل في البروج والجدران والبيوت .

وقيل إن رصاصة وزنت أكثر من عشرين وزنة ، وذكر لي أن كروة – أجرة نقل – الرصاصة الواحدة من مصر إلى الدرعية بلغت ثمانية أريل ، وذلك أن البعير لا يحمل منها إلا ستاً ..) .

جيش عبد الله بن سعود :

قدّر إبراهيم باشا جيش عبدالله بن سعود ، أثناء الدفاع عن الدرعية ، بنيف وثلاثة آلاف مقاتل في المتارس الخارجية ، ولم يذكر عدد رجاله المقاتلين في بلدة الدرعية نفسها ، وقال بعض المؤرخين إن عدد مقاتلة عبد الله كان عشرة آلاف أو أزيد ، ولم يذكر ابن بشر عدداً محدوداً واكتفى بالقول إن عبد الله رتب جموع أهل الدرعية ومن جاء اليها من البلدان الأخرى وكانوا عدداً كثيراً .

ويقول إبراهيم باشا إن عبد الله جمع في الدرعية كثيراً من الذخائر والمعدات الحربية وكان لديه عدد من المدافع ، وقد استطاع أن يضرم نار الحماسة الدينية في النفوس ، بحيث جعلها تفضل الموت على الحياة .

صفة الدرعية :

يقول مانجان إن الدرعية تتألف من خمس مدن (أو أحياء مستقلة)متجاورة يحيط بكل واحدة منها سور ، وذكر من أسمائها : (الطريف) و (البجيري) و (الغصيبي) و (السهل) – واسماً آخر محرفاً لم نتبينه – .

ويقول كورانسيز إن الدرعية حيّان : (الطريف) ، ويسكنه آل سعود ، و (البجيري) ، ويسكنه آل الشيخ .

ويبلغ عدد منازل الدرعية ألفين وخمسمائة دار ، مبنية بالحجارة والآجرّ .

وفيها من المساجد نحو خمسين مسجداً ، ومثل هـذا العدد من دور العلم أو المدارس .

ويحيط بالدرعية من كل جوانبها نخيل وقصور، وربما سموا التلال والمرتفعات التي تقع في أطرافها بأسماء خاصة، فقالوا « شعيب » كذا وشعيب كذا .. وهذه المرتفعات التي تقع خارج المدينة هي التي كان أهل الدرعية وحلفاؤهم يقاتلون فيها جنود ابراهيم باشا ليمنعوه من الوصول إلى داخل المدينة ، فموقع الدرعية ، بفضل تلالها ، لا يعدّ سيئاً من الوجهة الحربية ، لأنها بُنيت على مرتفعات وادي حنيفة ، وليست مكشوفة تماماً للعدو ، كبقية البلدان المبنية في السهول .

خطة ابراهيم باشا للاستيلاء على الدرعية :

يقول ابراهيم باشا في رسالة إلى والده إن عبـد الله بن سعود بنى في وادي الدرعية وبساتينها القصور والحصون والبروج ، وشحنها بالمقـاتلين ، وبنى في المدينة نفسها تحصينات قوية وأقام لها سوراً ، يضاف إلى ذلك كله كثرة مؤنه وذخائره وحمـاسة رجاله للدفاع عن دينهم ووطنهم ، ولذلك لا ينجح الهجوم عليهم إن كان هجوماً عـاماً مباشراً ، (فقررنا حصارهم والتضييق عليهم .. وإرهاقهم ، وسنقوم – متى وصلتنا الإمدادات الجديدة وفي الوقت المناسب – بزحف جماعي من كل الجهات ، ونفتح هذه البلدة .. ثم نبيدها ..) .

ومن الثابت أن المستشار (فيسيير) هو الذي وضع خطة الحصار والهجوم على الدرعية .

خطة عبد الله بن سعود في الدفاع عن الدرعية :

كان عبد الله بن سعود يعتقـد أن المعركة الحاسمة بينه وبين ابراهيم باشا ستكون في الدرعية ، ولذلك أخذ في تحصينها وشحنها بالمؤن والذخائر ، ولم تكن مساعدته للبلدان التي تقع في طريق ابراهيم إلى الدرعية ، إلا لمجرد تأخيره

ربثما يستكمل أسباب الدفاع عن الدرعية، فهل كان عبدالله مصيباً في هذا الرأي؟

إن الخبراء الحربيين في الغرب، ومنهم الجنرال (فيغان) القائد الفرنسي الكبير، الذي ألّف كتاباً عن حروب محمد علي وأولاده، يقولون إن عبد الله أخطأ كثيراً في صرف قواه إلى الدفـــاع عن الدرعية، وإنه كان يجب عليه، نظراً إلى تفوق ابراهيم باشا بالمدافع ونحوها، أن ينسحب أمامه، ثم يهاجمه كلما سنحت له الفرصة هجوماً خاطفاً،حتى إذا جاءت الظروف الملائمة ضرَبَه ضربة قاصمة واستعاد البلدان التي فقدها أو جلا عنها .

والواقع ان هذا التفكير ليس جديداً،فقد ذكر الشيخ (عبدالرحمن بن حسن) في (المقامات) إن الشيخ (مبارك الظاهري) أشار على عبد الله بن سعود (أن يجيء بثلاثة آلاف من الإبل (عند ابن جلهم) ويجعل عليها الأشدّة ويحمل عليها ما كان له ولا يدع في الدرعية له طارفة، ويصعد مع عربان قحطان ونحوهم، وكل من له مروءة من بدوي أو حضري راح معه، كذلك الذي يخاف — [فلو ساعد القدر لم يظفر به عدوه،وتبرأ منهم من أعانهم بالرحيل من مطير وغيرهم، ولله فيما جرى حكم قد ظهر بعضها لمن تدبّر وفكّر. وهذا الرأي أسلم له] — والذي يريد القعود يقعد، ويكون ظهره على السعة .

ويذكر له انك يا عبد الله إذا صرت كذلك صار لك في العسكر مكائد، منها قطع سابلة ما بينه وبين المدينة .

وهذا الرأي سديد، ولكن لم يرد الله قبوله، لأن الأقدار غالبة، ولو قدّر كان) .

وصف ابن بشر لتحصينات الدرعية

وصف ابن بشر تراتيب الدفاع عن الدرعية فقال :

(كان عبد الله قد رتب جموع أهل الدرعية ، ومن كان عنده من الآفاق – وذلك ان أهل نجد لما أطاعوا للترك ، هرب من كل بلد وناحية شرذمة من أهلها وقصدوا الدرعية فكان فيها من أهل الآفاق عدد كثير – فرتبهم عبد الله في بطن الوادي ، ويمنته ويسرته خارج النخيل والسور .

أولاً :

أ – في بطن الوادي ، تجاه الباشا وعساكره والقبوس والقنابر :

فيصل بن سعود ، وأخوه إبراهيم وأخوه فهد ، ومعهم رجال من أهل الدرعية وغيرهم ، وعندهم ثلاثة مدافع .

ب – وعلى ميمنتهم في الجانب الشمالي ، فوق تلك الجبال :

سعد بن سعود وأخوه تركي بن سعود ، في شاطىء الشعيب المعروف بالمغيصبي ومعهما رجال من أهل الدرعية وغيرهم .

ج – ويليهما :

عبد الله بن مزروع ، صاحب منفوحة ، ومعه رجال من أهل منفوحة ، وغيرهم .

د – بين المسلمين والترك :

وتقدم تركي بن عبد الله الهزاني صاحب حريق نعام ومعه رجال من أهل

الحريق وغيرهم وصاروا بين المسلمين والترك .

وعلى ذلك الجانب أيضاً عـــدة أبطال من رؤساء المسلمين من آل دغيثر وغيرهم ، كل رجل معه عدة رجال في موضع معروف لا يفارقه ، إلى باب سمحان المعروف .

ثانياً :

عند باب سمحان ، داخل السور :

نزل عبد الله بن سعود ، ومعه آل الشيخ ، ورجال من أعيان المسلمين ، وعنده مدافع كبار .

ثالثاً :

وفي قرى عمران ، عنـد النخل المسمى (بالرفيعة) : فهد بن عبد العزيز بن محمد بن سعود ، ومعه رجـــال من أهل الدرعية وأهل سدير ، رئيسهم عبد الله ابن القاضي أحمد بن راشد العويني ، وعندهم مدافع .

وراء المتارس : البروج وفيها الشيوخ ..

وكل أهل مترس وموضع ، ممن ذكرته ، مقابله مثله من عساكر الترك .

ومن وراء أهل هذه المتارس والمواضع ، في تلك الجهة إلى أسفل الدرعية : كل برج فيه رجال من رؤساء أهلهـا وأشياخهم وثقالهم الذين ليس لهم شدة في الحرب والصدور والورود. وعند كل أناس من هؤلاء مدفع، وليس عليهم حرب، بل حفاظ لتلك الناحية .

وفي أسفل الدرعية في بطن الوادي ، قرب الجبل المعروف بالقرين – بضمّ القاف وفتح الراء المهملة – سعود بن عبد الله بن عبد العزيز ومعه رجـــال من أهل النواحي ، وليس عند هؤلاء أيضاً حرب .

متارس أهل الدرعية في الجهة الجنوبية :

ثم ذكر ابن بشر (متارس أهل الدرعية ومواقفهم في الجهة الجنوبية قبـــلة البلد) فقال :

إلى جانب فيصل بن سعود وإخوانه ، الذين في بطن الوادي :

أ - **عند النخل المعروف بسمحه** : عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، في البرج الذي فوق الجبل ، ومعه رجـــال من أهل الدرعية وأهل النواحي من أهل الوشم وغيرهم .

ب - **ويليه ، على شاطىء شعيب الحريقة** : عمر بن سعود بن عبد العزيز ، ومعه رجال من أهل الدرعية وغيرهم .

وإلى جانبه أخوه حسن بن سعود ، ومعه رجال من أهل الدرعية وغيرهم.

ويليه ، في تلك الناحية : تركي بن عبد الله بن محمـد بن سعود وأخوه زيد ، ومعهما جمع من أهل الدرعية .

وإلى جانبهم مملوك سعود « فرج الحربي » ، ومعه جمع من المماليك وغيرهم.

ج - **وفي فرع شعيب غبيراء** : فهد بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود ، ومحمد بن حسن بن مشاري بن سعود ، ومعهما جمع من أهل الدرعية وغيرهم ، وكل جمع من هؤلاء قباله أكثر منه من عساكر الترك وشدة حرب تلك الناحية عليهم.

د - **في مسجد العيد وشاطىء شعيب صفا** : ومن ورائهم في هـذه الناحية أيضاً ، مشاري بن سعود بن عبد العزيز ومعه جمع من أهل الدرعية وغيرهم في مسجد العيد المعروف في رأس الجبل عند المنازل الجنوبية .

وفي شاطىء شعيب صفا : سعود بن عبد الله بن محمد بن سعود ومعه جمع من أهل الدرعية وغيرهم ، وليس عند هؤلاء شدة حرب بل حفاظ تلك الناحية .

خطوات ابراهيم باشا من ضرمى الى الدرعية :

يقول ابن بشر ان الباشا بعـد نهبه ضرمى وإخلائها من سكانها ، سار الى الدرعية ، فكان مسيره مع الحيسية ، ثم إلى وادي حنيفة من عند بلد العيينة وبلد الجبيلة ، ثم سار في الوادي حتى نزل الملقى - نخل عبد الله بن عبد العزيز ابن محمد بن سعود، المعروف في الوادي أعلى الدرعية بينه وبينها مسيرة ساعة -

فلما استقر الباشا وعساكره فيه ، ركب بخيله وقرابته معه وبعض قبوسه ليرتاد الموضع الذي يريد نزوله عند البلد، فسار القرابة والقبوس مع بطن الوادي وصارت الخيل على جانبيه يميناً وشمالاً حتى وصلوا « العلب » - نخل فيصل بن

سعود، المعروف، قرب النخيل أعلى الدرعية – فنزل القرابة فيه بالقبوس ووقفت الخيل في مواضعها على جنبتي الوادي ، فرموا بقبوسهم ، ووقع بينهم وبين أهل الدرعية قتال شديد . ثم رجعوا من حيث جاؤوا إلى مخيمهم وأقاموا فيه نحو يومين أو ثلاثة ، فلما كان الغد ، يوم الثلاثاء ثالث جمادى الأول رحل الباشا من الملقي بأثقاله وعساكره وقبوسه ومدافعه وقنبره وعده وعدده وسار مع الوادي إلى الدرعية ونزل هو بنفسه وقبوسه ومدافعه في (العلب) المذكور ، ومعه عدد كثير من العساكر عنده في بطن الوادي ، وباقي عساكره فرّقها يمنة الوادي ويسرته في تلك الجبال تجاه جموع أهل الدرعية) .

ويقول إبراهيم باشا في رسالة إلى والده إنه وصل إلى مشارف الدرعية في غرة جمادى الأولى ونصب خيـــامه في مسافة ساعة ونصف ساعة من الدرعية – ولعله يعني الملقي – ثم تحرك من المحل المذكور في اليوم الرابع من الشهر المذكور ، وفي أثناء وصوله إلى موضع – لعله يعني العلب – مقابل لمتاريس عبد الله بن سعود الواقعة على مسافة نصف ساعة من الدرعية ، وشروعه في حفر المتاريس ابتدره رجال عبد الله بن سعود بإطلاق مدافعهم الثمانية أو العشرة بدون توقف أو انقطاع ، ومع ذلك مضى العساكر في إقامة المتاريس وتقوية (طوابي) المدافع على الصورة المرضية ، قبل البدء بالقتال ، لأن عبدالله وزّع أكثر من ثلاثة آلاف مقاتل على الجبال (وأطراف مضيق الدرعية وفي داخل البساتين المختلفة ، وبقية أعوانه في داخل الأسوار والأبراج ، وقوّى متاريسه تقوية جدية بحيث لا تنفذ فيها القذائف والمرميات) .

بدء القتـــال :

ويضيف إبراهيم باشا إلى ذلك قوله : (فبعد إقامتنا خمسة أيام على هـذه الحالة ، وتقوية متاريسنا وطوابي مدافعنا، هجمنا على متاريس النجديين الواقعة في جهة الشمال وأخذناها منهم ، واضطررناهم إلى الفرار نحو متاريسهم الثانية .

ومع استمرارنا في القتـال ، في المحل الذي انتزعناه منهم ، مقدار ساعتين ،

أنشأنا هناك متاريس وطوابي للمدافع ومكثنا في موضعنا بضعة أيام ، ثم هجم فرسائنا من جهة ، وعساكر المشاة من جهة أخرى ، على النجديين المتحصنين في جهة الجبل اليمنى ، وأخرجناهم من متاريسهم ..

وقد قتل وأعدم منهم مقدار مائة وخمسين ، وجرح ما فوق المائتين .

والتجأت بقية السيوف إلى المتاريس التي وراءها ، القريبة من القلعة ..

وقد نزل جنودنا في المحل الذي استولوا عليه وجرت أعمال إقامة الطوابي المتينة للمدافع وما يلزم واستغرق ذلك أياماً ..

ثم رمينا أحد أبراج القلعـــة فهدمناه وهدمنا كذلك قسماً من الأسوار ، وأمرت « بهرام » بالهجوم على الأبراج ، وإنه ليفعل إذ خرج النجديون من متاريسهم التي تقع إلى شمالنا وهاجمونا ولكننا دحرناهم، وبعدما شهدت انهزامهم وتفرقهم أخرجت جميع خدّامكم الفرسان والمشاة من متاريسنا الكائنة في الشمال وفي اليمين وفي مضيق الدرعية وهجمنا على متاريسهم وطابيـــة مدافعهم ، في داخل الأسوار والبروج التي انهزموا عنها واستولينا على المحلات الواقعة في مسافة مرمى مدفع من بلدهم ، وغنمنا أربعة من مدافع الصفر « النحاس الاصفر » التي كانوا أخذوها في السنوات السابقة ، و « أبدنا » أربعمائة نفر من النجديين ..

.. وإن عدد النجديين الذين قتلوا وفرُّوا في هذه الحروب يبلغ ألفين ..

.. وسأرسل أحد خدامكم إلى أعتابكم قريباً ببشارة فتح الدرعية ..) .

أمل لم يتحقق :

وصلت هذه الرسالة إلى محمد علي في أواخر جمادى الاولى ، ومعنى ذلك أن ابراهيم باشا كان استولى على متاريس أهل الدرعيــة في شمال الوادي ويمينه وعلى البروج القائمة فيهاتين الجهتين خلال الأسابيع الثلاثة الاولى من شهر جمادى الاولى سنة ١٢٣٣ هـ . ، وكان يظن أن سقوط الدرعية لن يطول بعد سقوط هـــذه المتاريس والبروج ، ولكن أمله في نصر سريع تبدّد لشدة مقاومة أهل الدرعية ودفاعهم البطولي عن بلدتهم ..

رواية ابن بشر :

يسمي لنا ابن بشر المواقع التي جرت في المتاريس ولكنه لا يذكر التواريخ إلا قليلاً ..

وهذا ملخص أقواله :

١ – في اليوم العاشر من وصول ابراهيم باشا إلى الدرعية جرت وقعة « المغصيبي » ، الشعيب المعروف خارج البلد ، شمالي الوادي .

٢ – ثم وقعة « الحريقة » .. جنوب الوادي.

٣ – ثم وقعة « غبيراء » .. في أقاصي المتاريس الجنوبية . وقتل من أهل الدرعية مائة رجل ..

وهرب من الدرعية رجال من أهل النواحي ،

وثبت أهل الدرعية ، وقتل في هذه المعركة فهد بن تركي ، ومحمد بن حسن ابن مشارى بن سعود ، وحسين الهزاني وغيرهم ..

٤ – ثم كانت وقعة « سمحة النخل » ، أعلى الدرعية جنوب الوادي ..

وانهزم أهل الدرعية عن متارسهم ..

والسبب أن جماعة من أهل نجد ورؤساء البوادي « **الذين نبتت لحومهم وجلودهم هم وأبناؤهم على جزيل عطايا آل سعود وفضائلهم ولم ينالوا الرئاسة إلا بسببهم » ذهبوا الى الباشا واطلعوه على مواطن الضعف في الدرعية .**

٥ – ثم حمل ابراهيم باشا على البروج الكبار يمنة الوادي ويسرته ، فهدم أكثرها .. ونزلها الترك .

٦ – ثم حمل الباشا على فيصل وإخوانه في « سمحة » ، وحملت الدالاتية والمغاربة على من في جهتهم من المتارس الشمالية ، فانهزم أهل الدرعية واتصلت الهزيمة في المتارس الشمالية والجنوبية ، وتركوا أكثر المدافع والأثقال وحصل مقتلة عظيمة بين الترك وأهل الدرعية .

وربما كان مقتل الأمير فيصل بن سعود في هـذا الوقت ، برصاصة طائشة أصابته [1] .

٧ – وعند (السماني)، النخل المعروف على شفير الوادي، لإبراهيم بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تراجع وتوقف جنود إبراهيم باشا، **إذ وقف فيصل وأخوه سعد وكثير من الأعيان والشجعان « فجالدوا الروم جلاد صدق ، حتى ردوهم على أعقابهم** ، وقتلوا منهم عدة قتلى » .

٨ – **ثم جرت وقعة (البليدة)**، الشعيب المعروف في الجهة الجنوبية، وقتل فيه من أهل الدرعية عدة قتلى وقتل من الترك مقتلة. وجرت بعد ذلك معركة أخرى عند البليدة **قتل فيها كثير من الترك واضطرهم أهل الدرعية الى الخروج من محاجيهم .**

٩ – ثم جرت وقعة عظيمة في شعيب (قليقل) في الجهة الشمالية ، وأخيراً « جلس الترك وترّسوا قبالة متارس أهل الدرعية » .

تحديد تواريخ المعارك السابقة :

قلنا إن ابن بشر لم يحدّد لنا تواريخ المعارك التي سمّى لنا أسماءها ومواقعها، ويمكننا الآن ، بفضل رسائل إبراهيم باشا إلى أبيه أن نقول إن هـذه المعارك استمرت ثلاثة أشهر ، من أوائل جمادى الأولى إلى منتصف شعبان .

الاستيلاء على عرقة :

يقول إبراهيم باشا إنه خرج بقسم من عساكره في منتصف شعبان للإستيلاء على قرية (عرقة) ، ويسميها هو بلفظه الأعجمي (أرجه) – ولعله كان ينطقها بالجيم المصرية – .

وقد استولى الباشا على عرقة ، كما يقول للإستفادة من محاصيلها ، (نظراً إلى

---

(١) يقول ابن بشر إن الرصاصة أصابت فيصلاً وهو يمشي من موضع إلى موضع ، وكان قتله في جمادى الآخرة من غير قتال ، وفي موضع لا تبلغه رمية البندقة ، ولكن البندق التي رمي بها كان طولها تسعة أشبار ورصاصها احد عشر درهماً ، وجلس مكانه أخوه تركي .

قلة الموجود من النقود لديه ، واضطراره إلى البحث عن كل وسيلة لتأمين الترفيه عن العساكر) ..

ويقول ابن بشر إن الباشا كان أرسل خيلاً إلى عرقة فقتلوا ثلاثين من أهلها واستولوا عليها ثم استردها منهم عبد الله وقت نضوج الثمر وأوكل بحفظها مائة من رجاله ، ولذلك سار اليها الباشا بنفسه « وحاصر من فيها وضربهم بالقبس وأخرجهم بالأمان على دمائهم وسلاحهم » .

هجوم عبد الله على متاريس ابراهيم : .

ويقول إبراهيم باشا إن عبد الله بن سعود لما سمع بسير إبراهيم إلى عرقة أحب انتهاز هذه الفرصة ، فأمر رجاله بالخروج من وراء السور والهجوم على العساكر في متاريسهم ، ولكن اسماعيل آغا ، وكيل إبراهيم باشا أثناء غيابه ، قاوم هجوم أهل الدرعية واستطاع بفرسانه ومشاته أن يرغمهم على التراجع إلى داخل سور الدرعية .

وقتل من العسكر خلال المعارك رئيس حجاب الدخان ورئيس حجاب القهوة ورئيس الذخيرة ، وجرح بعض الضباط الكبار و«استشهد» بهرام آغا ، أحد القواد الذين كان محمد علي يعتز بهم .

حصار بلدة الدرعية :

يمكن القول إن المعارك التي جرت في المتاريس القائمة على مسافة كبيرة من مدينة الدرعية نفسها قد انتهت باستيلاء العساكر المصرية عليها ، وبذلك انتهى القسم الأول من معارك الدرعية .

أما القسم الثاني فقد بدأ حين انتقل العساكر من متاريسهم الأولى إلى قرى قصير – التي يسميها الأهالي اليوم قرى الروم ، لنزول العساكر التركية فيها ، وحول اسوار الدرعية ومحاجيها – وكان النجديون يسمون الترك : الروم !

حريق الجبخانة :

يقول ابن بشر : (.. في أثناء هذه الحروب اشتعلت النار في زهبة الباشا وما في خزانته من البارود والرصاص وجميع الجبخان .

وكان ثورتها أمراً هـائلاً لا يكاد يوصف ، وسمع صوتها مسيرة ثلاثة أيام أو أربعة وأهلكت خيلا ورجالاً وأحرقت خياماً وأزواداً وأثاثاً،وهربت العساكر في رؤوس الجبال ، ووقع في قلوبهم الرعب .

وكانت هذه وهناً عظيماً على الترك ، وهمّ أهل الدرعية أن يحملوا عليهم في مخيمهم ويدهموهم فيه فلم يفعـلوا ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، فتراجع الترك وثبتوا .

ثم أرسل الباشا إلى جميع نواحي نجد وأخذ من كل بلد مـا فيها من خزانة الجبخان ، وتتابع عليه بعد ذلك الجبخان والعساكر من مصر .) .

لم يحدّد لنا ابن بشر متى وقع هذا الحريق ، ويقول ابراهيم باشا إنه وقع في ١٨ شعبان ، ويصفه ، في رسالة إلى أبيه ، بقوله :

(وقعت شرارة من النار على مستودعات ذخيرتنا وأدواتنا السفرية وكل ما هو موجود لدينا من الأشياء فاشتعلت وتلفت جميعها ، فكانت خسارتنا بذلك فادحة جداً،وقد قتل مأمورو المستودعات ووسائل النقل وبعض الأفراد وبعض المرضى ..

وكان من شأن هذه الكارثة أن تسر النجديين وتغريهم بالانتقام منا والتشفي .. ولذلك أسرعنـا الى « عرض » الجنود الذين كانوا محتفظين بسلاحهم وذخيرتهم ونبّهناهم ، خيالة ومشاة ، الى اليقظة والحذر والسهر لمواجهة كل احتمال .

وأرسلنا الجمال والهجانة الى عنيزة والمدينة المنورة لنقل مـا يوجد فيهما من الذخائر واللوازم وإحضارها بسرعة .

ولكن الكميات التي سنحصل عليها لن تكون كافية ، فألتمس منكم أن ترسلوا الينا بسرعة فائقـة نقوداً ومؤناً وأسلحة ومعدّات ومقاتلين وسائر الإمدادات اللازمة ، وهـذه المرة يجب ان تكون الكميات كبيرة جداً وتصل دفعة واحدة ، لأننا مقبلون على الزحف الكبير .. الخ) .

ويقول الرافعي ، في وصف هذا الحريق :

(زاد في حرج ابراهيم باشا أن الطبيعـة أصابت الجيش بنكبة كادت تودي

به ، لولا ثبـات ابراهيم وعزيمته الحديدية ، فقد هبّت عـاصفة على معسكر الجيش في ٢١ يونيو ١٨١٨ م . أطارت ناراً كان أحد الجنود يوقدها ، فاندلعت النيران الى خيمة منصوبة على قرب مستودع الذخيرة فاحترقت الخيمة وامتدّت نارها الى المستودع فانفجر لساعته ونسف الانفجار من القنابل والرصاص مـا ذهب بنصف ذخيرة الجيش ، فذعر الجنود لدويّ الانفجار ولما أصاب الذخيرة من التدمير .

ومما يؤثر عن ابراهيم باشا انه قال لمن حوله :

(لقد فقدنا كل شيء،ولم يبقَ لدينا إلا شجاعتنا، فلنتذرع بها ولنهاجم العدو بالسلاح الأبيض) .

وأخذ يشجع الضباط والجنود، وأرسل يطلب الذخيرة من المواقع التي يحتلها الجيش المصري كالشقرا وبريدة وعنيزة ومكة والمدينة وينبـع .) .

ويزعم الرافعي ، بعـد ذلك ، إن النجديين لما علموا بحريق الجبخانة قاموا بهجوم على المواقع المصرية فرُدُّوا على أعقابهم ، وذلك غـير صحيح ، ولو أنهم فعلوه لكانوا أصابوا توفيقاً ، والله أعلم .

وأما الجبرتي فتوهم أن النجديين هم الذين أحرقوا « الجبخانة » ..

استعدادات وإمدادات للهجوم على الدرعية :

تتابعت على إبراهيم باشا – بعد حريق الجبخانة – الإمدادات من مصر والحجاز ونجد والعراق ، قال ابن بشر : (تتابـع عليه .. الجبخان والعساكر من مصر ، وأتت اليه الرحل والقوافل من البصرة والزبير مع أهل نجد الذين فيها ممن كان أجلاهم آل سعود عن نجد وأخذوا أموالهم فتابعوا عليه القوافل من الأرز والحنطة والتنباك وجميع حاجات العساكر ، وسار اليه القوافل أيضاً من نواحي نجد بجميع ما ينوب العسكر ، فثبت في موضعه وتعاظم أمره وتزايد بالحرب على الدرعية فحاربها حرباً عظيماً ، وهم ثابتون .. وبذل الباشا الأمان لمن خرج منها ..) .

ويقول الجبرتي ان الباشا، محمد علي،كان متكدر الخاطر بعد حريق الجبخانة

وانقضى شهر الصوم والباشا متقلق منتظر ورود خبر من الدرعية ينسَرُّ بسماعه ، وقد قوّى اهتمامه بإرسال الإمدادات إلى ابنه إبراهيم ، وأرسل حملات ثلاثاً من العسكر يتلو بعضها بعضاً براً وبحراً إلى الحجاز فنجد .

ويقول الرافعي إن محمد علي أخبر ابنه ابراهيم أنه سيرسل اليه (خليل باشا) على رأس جيش جديد لمساعدته في فتح الدرعية .

ويبدو أن هذا الخبر لم يسرّ إبراهيم باشا لأنه لا يريد أن يشركه قائد آخر في شرف هذا الفتح ولذلك قرر الاستعجال في شن الهجوم العام على الدرعية ، مؤملاً فتحها قبل وصول خليل باشا الى نجد .

الهجوم العام على الدرعية :

يشير ابن بشر الى المعارك التي كانت تدور بين العساكر المصرية والمدافعين عن الدرعية فيقول انها وقعات عديدة لا يحيطها العلم وإنه سأل عنها رجالاً حضروها وشهدوها فكان كل واحد يرويها على نحو يختلف عن رواية الآخر ، ولذلك أعرض عن ذكر الوقعات إلا اليسير منها ، واكتفى بالقول إن الحرب الهائل الذي ثار بين العساكر المصرية ورجال الدرعية حرب (لم ينقل مثله عن الأواخر والأوائل ، وصار في كل يوم ووقت قتال ، واستمر دائباً بالغدو والآصال ، وتضاربوا من المحاجي بالبنادق والسيوف والقرابين ، وتطايرت القبوس والقنابر في الجو كأنها رجوم الشياطين ، فهذا منها في الأرض ثائر ، وهذا تراه في الجو طائر ، **فصبر أهل الدرعية ونزل عليهم الثبات ، وقاتلوا الترك حتى ملأوا فجاجها بالأموات**، فمرة يحملون على الترك في محاجيهم ومرة يحمل الترك عليهم ... ونار الحرب مشتعلة دائمة في أواسط المحاجي وجنوبها وشمالها وفي كثير من جهات البلد .. **وفي كل وقعة بينهم والغلبة فيها لأهل الدرعية على الترك الا قليلاً ، ولكن الترك اذا مات منهم ألف أتى ألفان .**

— فالعساكر تتابعت من مصر الى الدرعية ، وفي كل أسبوع يأتي من مصر عسكر ورحلة وقافلة من الطعام والأمتاع وما ينوب تلك العساكر — ولما طال الحصار وكثرت الأمداد من مصر للترك ، وأهل الدرعية كل يوم ينقصون ..) .

وكلمة ابن بشر الأخيرة هي التفسير المعقول لما سيحل برجال الدرعية ،فهم محصورون لا يمدهم أحد وما عندهم من مقاتلة وسلاح وذخيرة يتناقص ، بينما المصريون تأتيهم الإمدادات تباعاً فيزدادون بها ..

ويقول ابن بشر ان الذي فتّ في عضد أهل الدرعيـــة آخر الأمر خروج (غَصّاب العتيبي) من الدرعية ، وكان رئيس الخيالة ومن رجال آل سعود الذين يظن بهم الصدق ، وقد خرج الى ابراهيم باشا واستسلم اليه ، وأصاب أهل الدرعية « كآبة وحزن ووهن من خروجه ، وقوى عزم الباشا على الحرب » .

الهجوم العام على الدرعية كما يصفه ابراهيم باشا :

يقول ابراهيم باشا في رسالة الى والده إنه أعدّ خطة الهجوم العـــام سراً ونفذها في اليوم الخامس من شهر ذي القعدة ، فأمر بالهجوم العام فجأة في ساعة متأخرة من الليل قبل الفجر بساعتين (وبفضل تعاون أفراد الجيش وشجاعتهم وحسن اجتهاد القادة والرؤساء تمّ الاستيلاء على كافة المتاريس والتحصينات التي كان يدافع عنها النجديون، باستثناء موضع كان يدافع عنه ابن عبدالله بن سعود : « سعد » ومعه خمسمائة من النجديين الذين استماتوا في القتال ، وبعض التحصينات في الجناح الشمالي .

وفي اليوم التالي استولى العسكر بهجوم صاعق قبل الفجر على هذه التحصينات التي كانت مستمرة في المقاومة ، ثم استولوا على جميع تحصينات القلعة ومتاريسها وغنموا خمساً وعشرين قطعة من مدافع « الطوج » ذوات الدواليب العالية وعلى مدافع اخرى ، وبالجملة تمّ الاستيلاء على جميع مواقع الدرعية المحصنة ، ما عدا المكان الذي لجأ اليه عبد الله بن سعود ، وسيقضى على هـــذا الموضع بين ساعة وأخرى ، اليوم او غداً ..)

رواية ابن بشر :

يقول ابن بشر إن عساكر ابراهيم باشا حملوا ، صبيحة السبت الثـالث من ذي القعــدة ، على محاجي أهل الدرعية كلها ، الجنوبية والشمالية والشرقية والغربية ، وهزموهم منها .

وقـــد اتبع ابراهيم باشا خطة بارعة في تنظيم هجومه ، إذ أرسل مدفعاً وعسكراً الى أسفل الدرعية فشغل النـاس بالحرب هناك ، واشتغل هو بحرب الجهة الشمالية ، ليستدرج اليه مقـاتلة الجنوب ، وفي نفس الوقت أرسل عسكراً الى أحد قواده في الجهة الجنوبية ، المدعو « علي أزن » ، فدخل « أزن » محجى عبد الرحمن بن سعود فوجدوه خالياً (وهو من خلف محاجي أهل الدرعية من جهة البلد ، فنقبوا جداره الذي على شفير الوادي وترسوا به .

ثم ثار الحرب العظيم من الترك على كل من كان في جهته من أهـــل المحاجي الجنوبية والشمالية ، فلما اشتغل بعضهم ببعض واشتعلت نار الحرب في السماء وفي الأرض ، لم يفجأ أهل الدرعية إلا والترك قد أتوهم من خلفهم، من جهة مشيرفة – زاحفين من محجى عبدالرحمن المهجور – وحمل عليهم الترك أيضاً من وجههم، فانهزموا عن محاجيهم وحمي الوطيس وصار قتـال شديد ، قتل بين الفئتين قتلى كثيرة ، منهم ابراهيم بن سعود ، وتفرق أهل الدرعيـة في بلدهم كل أهل منزلة قصدوا منزلتهم وترسوا في سورها ودورها .

.. وتفرقت العساكر على أهل الدرعية في منازلهم ودخلوا شيئاً منها ..)

وانتقل سعد بن عبد الله بن سعود الى قصر (غصيبة) ومعه عدة رجال من الأعيان واحتصروا فيه ، بينما انتقل عبد الله بن سعود ومن معه من الأعيان من سمحان إلى منزل عبد الله في الطريف .

معركة السهل البطولية والمصالحة :

ويصف ابن بشر مقاومة أهل السهل والبجيرى البطولية ، فيقول: (وتفرقت عساكر الترك على أهل السهل وأمسكوا فيه بيوتاً ونخيـلاً وكادوا ان يأخذوه عنوة ، وجال أهله جولة عظيمة واشتدّت وطأة الترك عليهم فحماهم الله تعـالى وكفّ أيدي الترك عنهم ، فهمُّوا بالمصالحة فردّ بعضهم على بعض أن المصالحة لا تكون إلا بإخراج تلك العساكر عن البيوت والنخيل وقتل ما أمكن منهم..

الشيخ عبد الله يحارب بسيفه :

فشهر سيفه الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وانتدب ، واجتمع

عليه أهل البجيري – حي آل الشيخ – ونهضوا على الترك من كل جانب كأنهم الأسود ، وقاتلوا قتالاً يشيب منه المولود، فأظلمت البجيرة كأنها الليل، وصريخ السيوف كأنه صهيل الخيل ، فأخرجوهم منها صاغرين ، وقتلوا من الترك عدة مئات ، حتى قال لي بعض من حضر ذلك : لو حلفت بالطلاق اني – من الموضع الفلاني إلى الموضع الفلاني – لم أطأ إلا على رجل مقتول لم أحنث .

فدخل الفشل والوجل نفوس الترك بعد هذا ، ثم أرسلوا إلى الباشا وطلبوا الصلح فأجابهم اليه بعـــد ما كان آبياً .. فخرج اليه من الأعيان عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، والشيخ علي بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومحمد ابن مشاري بن معمر،فأرادوا منه أن يصالحهم على البلد كلها، فأبى أن يصالحهم إلا على أهل السهل ، أو يحضر عبد الله بن سعود ...

فانفصل الصلح بينهم على أهل السهل ، على دمائهم وأموالهم وما احتوت عليه بلدهم ، وذلك يوم الأربعاء ٧ ذي القعدة ، فدخل الترك السهل لمحاربة عبد الله) .

وخلال ذلك هاجمت العساكر قصر الغصيبة الذي احتصر فيه سعد بن عبدالله فاستسلم حماته وصالحوا إبراهيم باشا (وقت مصالحة أهل السهل) .

محاصرة عبد الله واستسلامه :

يقول ابن بشر ان ابراهيم باشا رمى(من رأس جبل باب سمحان)الطريف حيث يقيم عبد الله بن سعود ، بالقنابر والقبوس والمدافع واستدار الترك عليه من كل جهاته .. (فثلمت مقاصير السعود بالقبوس وخرقت،واستشرفت نفوس العساكر لأخذها عنوة وطمعت ..) ، ولكن عبد الله أخرج (المدافع التي في القصر وجعلها في مسجد الطريف ورماهم بها وانحاز اليه رجال كثير من أهل البجيري وأهل النواحي فوقع هذا الحرب نحو يومين ..

ثم تفرق عن عبد الله أكثر من كان عنده ، وبذل لهم الدراهم فأخذوها وهربوا ..

فلما رأى عبد الله ذلك بذل نفسه للترك وفدى بها عن النساء والولدان

والأموال ، فأرسل إلى الباشا وطلب المصالحة ، فأمره أن يخرج اليه ، فخرج اليه وتصالحا على أن يركب إلى السلطان فيحسن اليه أو يسيء ، وانعقد الصلح على ذلك ، ودخل عبد الله منزله ، وأطاعت البلد كلها ، وهرب رجال من الأعيان ..) .

سفر عبد الله .. ومقتله :

(.. ولما كان بعد المصالحة بيومين أمر الباشا على عبد الله بن سعود أن يتجهز الى السلطان ، ثم أمر على رسوان آغا ومن معه من العساكر ، وعلى الدويدار ومن معه من العساكر أن يتجهزوا للسير مع عبد الله، فرحل عبد الله من الدرعية ، وليس معه من قومه إلا ثلاثة رجال أو أربعة ، وسار مع تلك العساكر وقصد مصر ،ثم سار من مصر الى الترك ،وقتل هناك، رحمه الله تعالى).

نقص رواية ابن بشر :

لا يذكر ابن بشر شيئاً عن مباحثات الصلح بين عبد الله وابراهيم باشا ، ولا يحدثنا عما حدث لعبد الله في مصر حين اجتمع بمحمد علي ، وهو بعد هذا كله لا يذكر لنا شيئاً عما وقع له في استانبول ، مكتفياً بالقول إنه سافر الى مصر ثم الى استانبول حيث قتل ..

وسنحاول جهدنا تلخيص ما قاله مؤرخون وسياسيون عرب وأجانب في هذه الأمور التي أغفلها ابن بشر ..

عدد القتلى في معارك الدرعية :

قدّر ابن بشر عدد القتلى من الموحدين في معارك الدرعية بألف وثلاثمائة قتيل،وأما عدد قتلى العسكر منذ خروجهم من مصر حتى رجوعهم اليها فيقدره بإثني عشر ألفاً ، وهو يقول إن هذه الأرقام نقلها اليه، رواية عن كاتب الباشا ، (رجل ظهر من مصر ممن جلا مع آل سعود) .. ويضيف إلى ذلك قوله : (وعلى هذا القول فلم يقتل من العسكر في الرس وعنيزة وشقراء وبلد ضرمى بالتخمين إن كثرنا فألفان ، وإن قللنا فألف وخمسمائة ، والباقي في الدرعية) .

وهكذا يقدر ابن بشر عدد قتلى الجيش المصري في الدرعية بنحو عشرة آلاف

قتيل، أي خمسة أضعاف قتلاهم في جميع المعارك التي خاضوها في سائر البلدان.

ونحن لا نملك إحصاء موثوقاً لعدد القتلى في مختلف الجبهات وفي كلا الجانبين، وقد يكون مجموع الخسائر المصرية قريباً مما ذكره ابن بشر ، ولكننا نشك في صحة أرقامه عن خسائر الدرعية ، فلا يعقل أن تكون خسائر المصريين فيها ثمانية أضعاف خسائر الموحدين ، والله أعلم .

مشاهير قتلى الدرعية وعدد قتلى البلدان :

يقول ابن بشر إن القتلى من آل سعود نحو واحد وعشرين ، ذكر منهم :

فيصل بن سعود ، وأخوه إبراهيم،وأخوه تركي (الذي مات في آخر الحصار مريضاً) .

فهد بن عبد الله بن عبد العزيز .

فهد بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود .

محمد بن عبد الله بن محمد بن سعود .

سعود بن عبد الله بن محمد بن سعود ، وابنه محمد .

محمد بن حسن بن مشاري بن سعود، وأخوه عبد الله ، وأخوه عبد الرحمن.

إبراهيم بن عبد الله بن فرحان .

عبد الله بن ناصر بن مشاري .

عبد الله بن إبراهيم بن حسن بن مشاري بن سعود ، أصابه حرامية في مدة مقام الباشا في الدرعية ومات .

وهناك قتلى من آل ثنيان وآل ناصر وآل هذلول ..

– (وإنما ذكرت أسماء من قتل من آل سعود وعددهم ليعرف صدقهم في الحروب ومباشرتهم القتال بأنفسهم) – .

وقتل محمد بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وقتل من آل معمر ، أهل العيينة ، خمسة عشر رجلاً ، منهم تسعة رجال في وقعة ضرماء .

وقتل من آل دغيثر ستة رجال .

وقتل من سائر نواحي نجد من الرؤساء ومن دونهم خلق كثير . قتل من أهل الوشم قريب مائة رجل ، ومن أهل الحريق والحوطة نحو ثلاثين رجلاً ، ومن أهل ثادق والمحمل نحو أربعين رجلاً ، ومن أهل عرقة نحو أربعين رجلاً ، ومن بلد منفوحة أكثر من خمسين رجلاً ، ومن أهل الحريملا والعيينة والأفلاج وسدير والقصيم وغيرهم عدد كثير .

بطولة الدرعية :

بدأ حصار الدرعية في أول جمادي الاولى سنة ١٢٣٣ هـ. وصالح عنها الإمام عبد الله بن سعود في اليوم العاشر من شهر ذي القعدة ، وبذلك استمرت مقاومة الدرعية للغزو المصري ستة أشهر وبضعة أيام ، قاوم فيها حماة الدرعية المدافع الكبيرة والأسلحة الفتاكة المختلفة ، كالصواريخ والقذائف ، التي كان يرميهم بها الجيش المصري رمياً موصولاً بكثرة وعنف .

ويذكر ابن بشر ، في معرض المقارنة بين مقاومة الدرعية ومقاومة غيرها من المدن المحصنة ، أن ابراهيم باشا أخذ مدينة (عكا) عام ١٢٤٨ هـ. عنوة في سهولة ويسر ، مع أنها كانت (في قوة عظيمة من الرجال والأموال والإحصان بالبنيان ، ذكر لنا أن سورها فيه مزارع البطيخ وغيره ..

فمن هذه الوقعة شهد أهل الآفاق من أهل العراق والبصرة وغيرهم بالفضل لأهل الدرعية وقوتهم وثباتهم وشجاعتهم وصدق جلادهم وصبرهم على الحروب ، حيث ثبتوا له هذه المدة وقتلوا من عسكره أمماً عظيمة ، واستفزع عليهم أهل نجد فلم يبلغ المراد حتى كثرت الخيانة فيهم ، فالله المستعان .)

سبب الهزيمة :

يرجع ابن بشر سبب هزيمة عبدالله بن سعود وسقوط الدرعية الى خيانة نفر من أهل نجد ، ولكن هذا السبب لا يعد في نظر الغربيين سر الهزيمة ، وإن كانت التفرقة في كل زمان من أعظم الأسباب في ضياع الأوطان وهلاك البلدان.

ولقد أشار بعض المؤرخين الغربيين إلى ان ابراهيم باشا رشا واشترى بعض أهل نجد فأضعفوا دفاع بلادهم ، ونقل بعضهم رواية الأمير ضاري بن فهد

الرشيد التي يقول فيهـا ان الدرعية امتنعت على ابراهيم باشا حتى يئس منها فأرسل إلى أحد حراس البروج يقول له: أنا أعطيك مئة ألف ريال إذا أمكنتني من البرج الذي أنت فيه ، ففعل الحارس ، واستولى ابراهيم باشا على البرج وكان متسلطاً على البلد لعلوه ، ومن هناك أطلق مدافعه فخربت تخريباً فظيعاً وقتلت خلقاً كثيراً ، فاضطر عبد الله بن سعود إلى مصالحته ليفتدي بذلك بلاده ..)

هذه الحادثة قد تكون صحيحة ولكنها ليست تعليلاً كافياً للهزيمة التي بدأت مقدماتها قبل ذلك .

يقول ابن سند : (لما تحارب ابن سعود مع إبراهيم باشا المصري وغلب ابن سعود ، فما غلب من قلة عسكر أو من عدم شجاعة عساكره أو من احتياج إلى مال ، إنما غلبه إبراهيم باشا بالمدافع والآلات الحربية والنيران التي لا قبل له بها هو وجميع العرب ، وهـذا أمر آخر غير العساكر وغير الشجاعة ، يحتاج إلى معارف وعلوم وصناعات وهندسة ..) .

وهذا رأي فيه كثير من الصواب ، ولكن الموحدين كانوا قادرين على تحدي كل هذه العناصر والصمود لها ثم التغلب عليها ، لو أن عبد الله بن سعود التزم الخطة الحربية التي وصفها الجنرال فيغان وكثير غيره قبله ، خطة الكرّ والفرّ وعدم مجابهة المدافع المصرية في المدن ..

يقول القنصل الفرنسي روسيل إن المستشار الحربي الفرنسي لإبراهيم باشا (فيسيير) قال له إن الموحدين كانوا قادرين على وقف الهجوم المصري على بعد أربع ساعات من الدرعية ، ولكنهم ظنوا أن مكان المعركة المفضل هو الدرعية لأنها مدينة محصنة وعدد سكانها كبير يبلغ ثلاثين ألفاً ، وهذا هو الخطأ الذي ارتكبوه !.

وأمـا الخطأ الثاني فهو أنهم لم يستفيدوا من مزيتهم الكبرى وهي : سرعة التحرك ، فكان يجب عليهم أن يفجأوا العدو بهجمات تشنّ عليه خارج المدن ، ثم يفروا عنه بعد إيقاع الخسائر في صفوفه ،ولن يقوى الخصم على ملاحقتهم ،لأن النجدي أسرع عدواً من غيره ، وأكثر تحملاً لمشاق الصحراء وأعرف بها .

وفي الموسوعة الإسلامية الجديدة إشارة واضحة أيضاً إلى الخطأ الذي ارتكبه عبد الله بن سعود لأنه تحصن في الدرعية بدلاً من مهاجمة خطوط مواصلات العدو والإفادة من مقدرته على الحركة !..

بريدجس ينتقد سياسة عبد الله :

يقول بريدجس :

كل إنسان يعرف أن عبد الله أقل موهبة من أبيه سعود ، وإلى هذا التخلف ينسب العرب ضعفهم وإخفاقهم ، فإن كان عبد الله لا يُتهم في شجاعته فهو متهم في حكمته ودهائه ، ومتهم أكثر من ذلك في مجال الكرم ، فالكرم هو الذي يحمل المقاتلين العرب على التعلق بزعيمهم ..

وكان ينقص عبد الله أيضاً « الصبر » ، فهو الذي يرفع الرجل إلى مستوى القيادة ، وكان ينقصه كذلك الفكر النقّاد الذي يميز بين الرأي السديد والرأي الضعيف ، كان عبد الله يستشير أحياناً ولكنه لا يعرف الرأي الأفضل فيرجحه .

ومهما يكن الأمر ، فإنه يبدو لي أن هزيمة أصدقائي الفرس في حربهم للروس ، وهزيمة النجديين في حربهم للترك ، ناشئة عن نفس السبب ، وهو أنهم أرادوا الوقوف بمشاة غير مدربين وفرسان غير نظاميين ، أمام نيران المدفعية ، ولقد كانت النتيجة واحدة ..

إن قصة هذه المعارك تعطينا الدليل الكافي على أن عبدالله لو استعمل أسلوب القتال الذي يتقنه العرب — وهو الإنقضاض على العدو في سلسلة هجمات خاطفة وضرب قوافل تموينه ومنع الماء عنه بمختلف الوسائل — لَما استطاع الترك الإقامة طويلاً تحت شمس محرقة وفي صحراء مهلكة ..

وهناك غلطتان كبيرتان ارتكبهما عبد الله أيضاً :

الاولى : في (الرس) ، حين تمكن عبد الله من قطع خط الاتصال التركي بين الخبرا والمدينة ، مما ينذر بنفاد مؤن الجيش التركي (او المصري) الذي أصبح يعتمد في تموينه على قريتين او ثلاث لا تستطيع القيام بحاجاته طويلاً .. وكانت

خيالة عبد الله تحوم حول معسكر ابراهيم باشا وتحصي على رجاله أنفـاسه .. في ذلك الوقت وقّـع عبد الله معاهدة مجحفة بحقه – ومع ذلك رفض محمد علي فيما بعد إقرارها وإبرامها – .

الثانية ، وهي تدل على الضعف إن لم نقل .. الخمول، فهي قعوده عن مهاجمة الترك يوم (٢٨) أيار حين انفجر مستودع البارود في معسكرهم وعمّت الفوضى صفوفهم وسيطر الذعر على أفرادهم ، فلقـد بقي عبد الله بن سعود يومئذ جامداً في مكانه ،فأعطى الترك الفرصة لإصلاح أمورهم وتعويض خسائرهم والإستعداد للمعارك الجديدة ...

ثم كان على عبد الله أن يهرب من الدرعيـــة ، وإن وقعت تحت يد الترك ، فليست الدرعية كل نجد وإنما هي بلدة في نجد ، وربما كان مردّ حرصه على البقاء في الدرعيــة إلى عاطفته نحو أسرته ونحو الأهــــالي ثم إلى ثقته بشرف الترك وعهودهم .. وهذه الثقة تدل على ضعف الرأي – ولعلهـا لا تنسجم مع عقائده نفسها ..

ومهما يكن رأينـا في ابراهيم باشا سيئاً ، فيجب علينا الإعتراف بأنه أوضح لعبد الله ما قد يصنعه به السلطان العثماني ، وبذلك نفى عن نفسه تهمة المخادعة والمكر وكان على عبد الله أن ينظر إلى نفسه فلا يلقيها بيديه إلى التهلكة ، فليس هلاكه هلاك فرد وإنما كان هلاك بلاد وضياع قضية .)

في خيم ابراهيم باشا

رواية الرافعي :

يقول الرافعي : (رأى عبد الله بن سعود انه ليس في مقدوره المقـــاومة ، بعـد أن فدحته الخسائر ونالته الأوصاب ، فجنح إلى الصلح والتسليم ، وأرسل يوم ٩ سبتمبر ١٨١٨ م. رسولاً إلى ابراهيم باشا يطلب وقف القتـــال ، حتى يتم الاتفـــاق على الصلح ، فابتهج ابراهيم لهذه الرسالة ابتهاجاً عظيماً ، وأذن بوقف القتال .

ثم جاء عبد الله بن سعود إلى معسكر ابراهيم باشا ، فتلقاه القائد العظيم بالحفاوة والإكرام ، وتمّ الاتفاق بينهما على أن تسلم الدرعية إلى البطل ابراهيم ، وأن يتعهد بالإبقاء عليها وألاّ يوقع بالنجديين أو ينالهم بضرر ، وأن يذهب عبد الله بن سعود إلى الآستانة كما هي رغبة السلطان .

فرضي عبد الله بن سعود بهذه الشروط ،

واستولى الجيش المصري على الدرعية ، بعد حصار دام ستة أشهر ،

وبعد فتح الدرعية لم تلبث المدن الباقية من نجد أن سلّمت وخضعت ..)

رواية أنكيري :

ويقول (أنكيري) إن عبد الله بن سعود ، ومعه إخوته وأولاده وأبناء عمه ، جاؤوا إلى خيمة ابراهيم باشا ، وكان ابراهيم باشا جالساً على ديوان ، فسار عبد الله حتى قاربه ، فقال ابراهيم باشا :

لماذا أردت استمرار الحرب مع أن الشعب كله كان يريد السلم ؟

فقال عبد الله : هكذا شاء الله !

قال ابراهيم باشا : إذا كنت لا تزال راغباً في الحرب ، فأنا أقدم اليك ما تحتاج اليه من الذخائر .

فقال عبد الله : ما نفع ذلك ؟ لم يغلبني جندك ، ولكن أراد الله لي هذا المصير ..

فقال ابراهيم : لا بأس عليك ! كم من شجاع خسر في الحرب .

وطلب عبد الله الأمان ، فقال ابراهيم : حسناً . ولكن والدي اشترط عليّ أن ارسلك إلى مصر .

فقال عبد الله : أريد أن تمهلني يوماً كاملاً ، لأفكر في هذا الأمر !

ورجع عبد الله إلى الدرعية وعقد مجلساً ، فأشار عليه بعضهم بالفرار إلى الصحراء . ولكنه صمّم على قبول الشرط والسفر إلى مصر ..

وبقي في الدرعية ستة أيام كان خلالها موضع تكريم ابراهيم باشا ، وطلب

من ابراهيم باشا بإلحاح الإبقـــاء على حياة أسرته وعدم تهديم الدرعية ، فوعده ابراهيم بذلك . وفي نهاية الاسبوع أرسله ابراهيم إلى مصر .

كلمة عظيمة لعبد الله يرويها قنصل فرنسا :

وجاء في رسالة للقنصل الفرنسي (روسيل) ، بعث بها إلى وزارة الخارجية في باريس ، أن عبـد الله بن سعود ، لما ذهب إلى خيمة ابراهيم باشا ليفاوضه في الصلح ، قال له ابراهيم باشا :

الآن رأيتَ قوتي فسلّمتَ ، وأنا أحميك حتى تصل إلى أبي ، وأبي يحميك حتى تصل إلى السلطان ، وأما السلطان فلسنا نعلم ما يصنع بك !..

فقال عبد الله :

(أنت قوي يا ابراهيم ، وابوك محمـد علي أقوى منك ، والسلطان محمود أقوى من أبيك ، ولكن الله سبحانه وتعـــالى أقوى منكم جميعاً ، وإذا لم يكن مقدّراً عليّ أن أقتل فان سيوفكم كلها لا تستطيع أن تقطع رأسي .)

رواية غوان :

يزعم (غوان) إن من جملة الأسباب التي رَغّبَتْ عبد الله في الصلح أن ابراهيم باشا أعاد اليه ابنه « سعداً » ، الذي كان أسره في معارك الغصيبة ، وأن عبد الله جاء إلى خيمة ابراهيم باشا أكثر من مرة قبل سفره إلى مصر وأكل معه ، وفي ١٤ من ذي القعدة — ١٥ سبتمبر ، سافر عبد الله إلى القاهرة ، وكان يرافقه من رجاله : خازنه السري ، وكاتبه (عبد العزيز بن سلمان) ، وقد سار معه أربعمائة من العسكر لحراسته ، يقودهم (رشوان آغا) .

بعـــد الصلح :

القتل والتمثيل والنفي والتخريب

يقول الرافعي :

(لم يفِ محمد علي بعهود ابنه ابراهيم في شروط الصلح ، فأرسل إلى ابراهيم ، قبل مغادرته الحجاز ، يأمره بهدم حصون الدرعية وأسوارها وتخريب منازلها..

وأن يرسل إلى القاهرة إخوة عبد الله بن سعود ، فنزل ابراهيم على رأي أبيه..)

ويقول ويندر ، نقلاً عن هوغارث ، إن الفظائع التي ارتكبت ضد أمراء نجد ورجالاتها إنما يحمل أوزارها محمد علي لا إبراهيم باشا ، وذلك أن محمد علي ما كان ينوي الاحتفاظ لنفسه بنجد ، وكان كل همّه أن يحطم البلاد النجدية ثم يتركها فريسة الخلافات القبلية القديمة !

والحق إن محمد علي هو صاحب الأمر والنهي لا ابنه ابراهيم ، ولكن ولده كان ظالماً بطبعه وربما ذهب إلى أبعد مما أراد أبوه.. وكان ضباط الجيش المصري — أو المختلط — وأفراده من ترك وأفارقة وشراكسة لا يدركون أنهم في بلاد إسلامية ويجب أن يعاملوا أهلها المغلوبين معاملة إنسانية كريمة ، وعلى العكس كانوا يبيحون لأنفسهم ما لا يباح ويرتكبون من الجرائم والمظالم ما تقشعر لمجرد ذكره النفوس ، وهكذا كان الغزاة ، من القمة إلى القاعدة ، مجموعة حاقدة لئيمة ، فلا عجب إذا صدرت عنها جرائم وأفعال في غاية الهمجية .

قال ابن بشر :

(.. وفي هذه السنة — أي سنة ١٢٣٣ هـ . التي تمّ فيها استيلاء ابراهيم باشا على الدرعية — كثر الاضطراب والاختلاف ونهب الأموال وقتل الرجال .. وانحلّ فيها نظام الجماعة والسمع والطاعة ، وعُدِمَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا يستطيع أحد أن ينهى عن منكر أو يأمر بطاعة ، وعُمِل بالمحرمات والمكروهات جهراً ... وجرّ الرباب والغناء في المجالس ، وسفت الذراري على الجامع والمدارس ... وسُلّ سيف الفتنة بين الأنام ، وصار الرجل في وسط بيته لا ينام ، وتعذرت الأسفار بين البلدان .. الخ ..)

ويصف ابن بشر ، ما كان من جيش ابراهيم باشا ، بعد ذلك ، فيقول :

(.. ثم إن الباشا أخذ خيل آل سعود وشوكة الحرب وما وجد عليه اسمهم في بندق أو سيف .

وأكثر العسكر العبث في أسواق الدرعية والضرب والتسخير لأهلها ، فكانوا يجمعون الرجال من الأسواق ويخرجونهم من الدور ويحملون على ظهورهم ما

تحمله الحيوانات ويسخرونهم .. يهدمون البيوت والدكاكين ويحملون خشبها ويكسرونه ، ويردون لهم الماء ويحملونه ، فلا يعرفون لفاضل فضله ولا لعالِم قدره ، وصار الساقط الخسيس في تلك الأيام هو الرئيس ..)

وقد فعل الجيش الغازي مثل ذلك في سائر البلدان النجدية .. فقتلوا رجالاً ونهبوا أموالاً ، ولم يتورّعوا عن إيذاء العلماء وتحقيرهم وقتلهم صبراً وتعذيبهم والتمثيل بهم . ومن الحوادث التي ذكرها ابن بشر في هذا الباب ما جرى للعالِم الجليل الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، فقد أرسل (اليه الباشا وتهدّده ، وأمر على آلات اللهو من الرباب فجروها عنده إرغاماً له بها ، ثم أرسل اليه الباشا بعد ذلك وخرج به إلى المقبرة ومعه عدد كثير من العساكر فأمرهم أن يثوروا فيه البنادق والقرابين فثوروها فيه ، وجمع لحمه بعد ذلك قطعاً ..)

وفي الأحساء أمسكوا العالِم الفقيه القاضي الشيخ عبد الرحمن بن نامي (وحبسوه وأخذوا أمواله وقتلوه ..)

(ولما صالح الباشا أهل الدرعية واستقر به القرار فيها كثر عنده القيل والقال من أهل نجد في أعيان المسلمين وأهل الصلاح والعلم منهم ، فرموهم عنده بالبهتان وتظاهروا عليهم بالإثم والعدوان ، فقتل الباشا من أعيان المسلمين عدة رجال ، فمنهم من قُتل صبراً بالقرابين والبنادق ، ومنهم من جُعل في ملفظ القبس والقنبر ، فممن جُعل في ملفظ القبس علي بن حمد بن راشد العريني ، قاضي ناحية الخرج ، وصالح بن رشيد الحربي ، من أهل بلد الرس ، وعبد الله بن صقر الحربي ، من أهل بلد الدرعية .

وممن قُتل بالقرابين والبنادق رشيد السردي ، قاضي الحوطة والحريق ، وعبد الله بن محمد بن عبد الله بن سويلم وحمد بن عيسى بن سويلم من أهل الدرعية ، ومحمد بن ابراهيم بن سدحان صاحب بلد شقرا ، وغيرهم ..

وكان الشيخ العالم القاضي أحمد آل عفالق ، الحنبلي ، صاحب المدينة ، عند

عبد الله في الدرعية فأمر عليه البـــاشا فعزر بالضرب والعذاب وقلعوا جميع أضراسه ..) — ابن بشر —

رواية « آثار الأدهار » :

ويزعم مؤلفا آثار الأدهار أن ابراهيم باشا أمر عساكره ، بعـــد الصلح ، بالكف عن النهب ، (وعفـا عن السكان .. إلا أئمة الوهابية فإنه قبض عليهم وكانوا نحو خمسمائة رجل ، ابتغاء استئصال شأفتهم ... وجمع الشيوخ في مسجد هناك — فيالدرعية — وجاءهم بشيوخ السنة للمناظرة والجدال فتحاوروا أربعة أيام ، وطال على ابراهيم باشا « مجاءرتهم » — كذا — فأمر بهم فقتلهم الجنود ..

.. وكان قد أرسل اليه والده أن يهدم الدرعية وغيرهـا من المدن الحصينة ويرسل أهل الأمير عبد الله ورهائن من وجوه البلاد إلى مصر ، ففعل وانطمست معالم الدرعية ..)

وفي آثار الأدهار أيضاًأنابراهيمشاد قلاعاً في نجد،وخصوصاً فيمدخل وادي حنيفة ، وحفر آباراً .. وأنه أراد تجديد بناء (العيينة) لحسن موضعها ولكن العرب كرهوا توطنها ، فرجع عن عزمه ..

أفراح محمد علي ومصر بسقوط الدرعية :

يقول الرافعي :

(كان للأنباء التي جاءت بفتح الدرعية وانتهاء الحرب الوهـابية أثر ابتهاج عظيم في مصر ، وقوبلت باحتفالات بالغـة ، وصفها الجبرتي بقوله : « في سابع ذي الحجة ١٢٣٣ هـ . (اكتوبر ١٨١٨ م .) وردت بشائر من شرق الحجاز .. بأن ابراهيم باشا استولى على الدرعية والوهابية ، فانسرّ الباشا لهذا الخبر سروراً عظيماً ، وانجلى عنه الضجر والقلق ، وأنعم على المبشر .. وضربوا مدافع كثيرة من القلعة والجيزة وبولاق والأزبكية ، وانتشر المبشرون على بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش !..

وفي ثاني عشر وصل المرسوم بمكاتبات من السويس والينبـع ، فأكثروا من

ضرب المدافع من كل جهة، واستمر الضرب إلى المغرب، بحيث ضرب من القلعة خاصة ألف مدفع، وصادف ذلك شنك أيام العيد وعند ذلك أمر بعمل مهرجان وزينة داخل المدينة وخارجها وفي بولاق ومصر القديمة والجيزة، وشنك على بحر النيل تجاه الترسانة ببولاق .

وتجددت الحفلات في شهر محرم سنة ١٢٣٤ لمناسبة ورود تفاصيل الانتصارات التي نالها ابراهيم باشا ، وأسهب (الجبرتي) في وصف تلك الحفلات ، مما يدل على فخامتها وبهائها .. فقد نودي بزينة المدينة سبعة أيام ، ونصبت السرادقات خارج باب النصر ، ومن بينها سرادق محمد علي وباقي الأمراء لمشاهدة الحفلات، وهي مناورات حربية تتخللها حركات فروسية قام بها الخيالة والمشاة، واقترنت بإطلاق المدافع بكثرة هائلة[1] بحيث يتخيل الإنسان أصواتها مع أصوات بنادق الخيالة الرماحين رعوداً هائلة .

وفي الليل كانت توقد المصابيح والمشاعل ، وتطلق الصواريخ والحراقات ، وتضرب المدافع .

وبعد انقضاء السبعة أيام أُعدّت حفلات أخرى بحرية ، لأن الحفلات الاولى كانت برية ، أما حفلات بولاق فكان ميدانها النيل وشاطئيه ، ولعلها لذلك كانت أبدع وأروع ، فقد استؤجرت الأماكن المطلة على النيل بأجور مرتفعة لتزاحم الناس على مشاهدتها واستجلاء مناظرها ، وكان قوام الحفلات مناورات بحرية تقوم بها السفن والمراكب تمثل فيها المعارك البحرية، ولبست بولاق حلة من الرونق والبهاء ، وأقبل الناس في كل صوب لمشاهدة معالم الزينة ، وزيّن أهالي

---

(١) مما قاله الجبرتي ، ولم ينقله الرافعي ، أن المدفع الواحد كان يضرب اثنتي عشرة مرة في الدقيقة فكانوا يطلقون خلال ساعات قلائل ما يقرب من ثمانين ألف طلقة .. وانهم صنعوا « الدونانمة » على بحر النيل فصنعوا صورة قلعة بأبراج وقباب وزوايا وأنصاف دوائر وخورنقات وطيقان للمدافع .. وصورة بستان على سفائن وصورة عربة يجرها أفراس ، وبها تماثيل وصور ، جالسين وقائمين .. وكانت تتقابل القلاع المصنوعة على وجه الماء .. ويخرج منها حراقات وصواريخ .. وغالب هذه الأعمال من صناعة الافرنج .

بولاق أسواقهم وحوانيتهم وأبواب دورهم ، ودقت الطبول والمزامير والنقرازانات في السفائن وغيرها ، وطبلخانة « موسيقى » الباشا تضرب في كل وقت ، والمدافع الكثيرة تضرب في ضحوة كل يوم وبعد العشاء ، وتوقد المشاعل وتعمل أصناف الحراقات والصواريخ والنفوط ، وتتقابل القلاع المصنوعة على وجه الماء ، ويرمون منها المدافع على هيئة المتحاربين » .

ولعلك تلحظ من التأمل في وصف الجبرتي لهذه الحفلات أنها فاقت في جلالها وفخامتها كلما تقدم من الحفلات في مختلف المناسبات، ولم نجد فيما وصفه بعد ذلك من الحفلات لغاية انتهاء كتابه ما يدانيها في الروعة والبهاء .

وهذا يدلك على عظم تقدير الشعب للانتصارات الحربية وما تستثيره في النفوس من روح الفخر والعزة ، ولا جرم ان الحفلات الحربية هي مظهر من مظاهر تقدم الشعوب وتقديرها لمفاخرها القومية وتكريم الفضائل والأخلاق الحربية ، فالحفلات التي وصفها الجبرتي تنطوي على هذه المعاني السامية ، وليس عجباً أن تحتفل مصر بفتح الدرعية ، فإن فتحها هو أعظم انتصار نالته في أول حرب خارجية خاضت غمارها في تاريخها الحديث ، فالدرعية هي عاصمة النجديين ، وبفتحها توجت حرب شاقة دامت سبع سنوات وكللت بالنصر والظفر .)

ذلك ما قاله الرافعي ! ومن المحزن حقاً أن ترد تلك الكلمات في كتاب مسلم عربي، يجهل – أو يتجاهل – أن الدولة السعودية كانت يومئذ، وحدها ، الدولة العربية المسلمة القوية الحرة ، المستقلة عن « التسلط » العثماني ، والتي كان يرجى لها أن تحرر بقية البلاد العربية أو تساعدها على التحرر.. فالتغلب عليها ،تنفيذاً لأوامر السلطان التركي ، ليس مفخرة لصاحبه، وإنما هو عار، وخزي وجريمة !

عبد الله بن سعود في مصر

رواية الجبرتي :

(في ١٧ محرم سنة ١٢٣٤ هـ . وصل القاهرة عبد الله بن سعود ، ودخل من باب النصر – وهو راكب على هجين ، وأمامه طائفة من الدلاة ، وبجانبه عبد الله بكتاش ، قبطان السويس ، فضربوا عند دخوله مدافع كثيرة من القلعة وبولاق ، ورفعوا الزينة ، وركب الباشا « محمد علي » إلى قصر شبرا في تلك السفينة وانفضّ الجمع وذهبوا إلى دورهم .

وقد ذهبوا بعبد الله إلى بيت اسماعيل باشا ، ابن الباشا ، فأقام يومه ، وذهبوا به في صبحها عند الباشا بشبرا ، فلما دخل عليه قام له وحيّاه ببشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه ، وقال له :

ما هذه المطاولة ؟

فقال : الحرب سجال !

قال : وكيف رأيت ابني ابراهيم باشا ؟

قال : ما قصر ، وبذل همته ، ونحن كذلك ، حتى كان ما قدّر الله .

فقال : أنا ، إن شاء الله تعالى ، أترجى فيك عند مولانا السلطان ..

فقال : المقدر يكون ..

ثم ألبسه خلعة ، وانصرف عنه إلى بيت اسماعيل باشا ببولاق .

ونزل الباشا في ذلك اليوم السفينة وسافر إلى جهة دمياط .

وفي مقابلة ثانية ، كان عبد الله يحمل معه صندوقاً صغيراً من صفيح ، فقال له الباشا :

– ما هذا ؟

فقال : هذا ما أخذه أبي من الحجرة ، أصحبه معي إلى السلطان .

وفتحه ، فوجد فيه ثلاثة مصاحف مكللة ، ونحو ثلاثمائة حبة لؤلؤ كبار ، وحبة زمرد كبيرة وبها شريط ذهب .

فقال الباشا : الذي أخذه من الحجرة أشياء كثيرة غير هذا ..

فقال : هذا الذي وجدته عند أبي ، فإنه لم يستأصل كل ما كان في الحجرة لنفسه ،بل أخذ كذلك كبار العرب وأهل المدينة وأغوات الحرم وشريف مكة.

فقال له الباشا : صحيح ، وجدنا عند الشريف أشياء من ذلك !

وفي يوم الاربعاء سافر عبد الله إلى جهة الإسكندرية ، وصحبته جماعة من التتر ، إلى دار السلطنة ، في استانبول ، ومعه خدم لزومه) .

روايتا غوان وأنكيري :

لا تختلف روايتا أنكيري وغوان للقاء محمد علي وعبد الله عما كتبه الجبرتي ، ويزيد أنكيري أن محمد علي ختم بخاتمه صندوق الجوهرات وقال لعبد الله : ستقدم هذا الصندوق بنفسك إلى السلطان !

ويقول أنكيري إن جواب عبدالله علىسؤال محمد عليله عن ابنه ابراهيم هو: (قام ابنك بواجبه ، وقمت أنا بواجبي ، والله يحكم فيما بيننا !)

فسُرَّ محمد علي من هذا الجواب ..

ويقول (غوان) إن محمد علي قال لعبد الله : ما رأيك في حوادث نجد التي أصبحت الآن من التاريخ ؟

فأجاب عبد الله : قبل أن يقرأها البشر تاريخاً ، كانت مكتوبة في اللوح المحفوظ !..

عبد الله بن سعود في استانبول

رواية جودت باشا :

يقول جودت باشا ، المؤرخ التركي المشهور ، ان عبد الله بن سعود وصل الى خليج استانبول في اليوم الخامس عشر من صفر سنة ١٢٣٤ هـ. وانهم قيدوه هو ورفقاؤه بالسلاسل وساقوهم الى سجن (بوستانجي باشي) ، بعد أن مروا بهم في طرق كثيرة ، وبالقرب من الباب العالي ، ليراهم النـاس قبل إيداعهم السجن ، حيث مكثوا ثلاثة أيام أجريت خلالها التحقيقات معهم عما فعلوه !..

وبعد انتهاء التحقيق ، تقرر إعدام عبد الله بن سعود وجماعته، فأرسلوا أولاً الى السراي الهمايونية القديمة، حيث كان السلطان وحاشيته يتفرجون على ألعاب الفروسية و (الجريد) فألقى عليهم نظرة من بعيد ، ثم أخذوهم الى ساحة (بالي كوشك) حيث جرى إعدامهم .

كلمة أنكيري ومانجان :

ويقول (أنكيري) إن محمد علي أرسل مع القائد الموكل بمرافقة عبد الله بن سعود الى استانبول كتاباً الى السلطان يلتمس فيه منه العفو عن عبدالله.. ولكن رجال الديوان السلطاني كانوا ممتلئين حقداً وغيظاً على أمراء نجـد الذين تحدوا الخلافة العثمانية وحقـروا سمعتها في العـالم فلم يعيروا كتاب محمد علي أي اهتمام ، وكان همهم الوحيد منصرفاً الى الانتقام .. ولذلك طافوا بعبد الله في شوارع

استانبول أياماً للتشهير ، ثم شنقوه ووضعوا قرار الحكم على جسده وثبتوه بخنجر .

ويقول مانجان : لقد ضحوا عبد الله ليرضوا حقد الشعب التركي المتعصب فطافوا به شوارع استانبول ثلاثة أيام ثم قطعوا رأسه في ساحة أيا صوفيا .

رواية أيوب صبري :

ويقول أيوب صبري مؤلف (مرآة الحرمين) و (تاريخ وهابية) وهو شديد العداوة لأهل نجد ، ان عبد الله بعد التحقيق معه والحكم عليه بالاعدام، لم يقتل فوراً ، لأن تنفيذ حكم الإعدام ، او اعتباره قابلاً للتنفيذ ، يستوجب موافقة السلطان وإذنه ، فانتظروا حتى حضر السلطان الى السراي القديمة (أسكي سراي) ، وأوقفوا عبد الله بين يدي السلطان، وكان الى جانب السلطان رئيس الوزراء درويش باشا وشيخ الاسلام (مكي زاده مصطفى عاصم) ، ثم تلي قرار الحكم الذي أجازه السلطان وصدرت به الفتوى بإعدام عبد الله ورفاقه لارتكابهم جرائم .. عدّدها الحكم .. منها اغلاق طريق الحج .. وتحريض القبائل على العصيان ... الخ . وبعد ذلك نفذ الحكم .

وقد استقبل عبد الله بن سعود الموت بشجاعة نادرة .

وأعدم كل من طامي القحطاني ، وعثمان المضايفي ، والقلعجي ، وغيرهم في أماكن مختلفة .

رواية روتير Le Colonel Rottiers :

نقل ويندر عن الكولونيل روتير في كتابه :(رحلة من تفليس الى استانبول) قوله : لقد رأيت بأم عيني إعدام عبد الله بن سعود ، رئيس الوهابيين ، الذي قتلوه عند باب حدائق السراي في شهر نوفمبر ١٨١٨ م .

لقد حاول بعض العلماء الترك حمله على نبذ معتقداته واعتناق مذهبهم فرفض، وهكذا مات شهيد العقيدة .

ويقول ويندر إن الترك وضعوا رأس عبد الله ، بعد إعدامه ، في فوهة

مدفع ورموها .. وأما جسده فعلقوه على عامود ، وبسطوا عليه قطعة بيضاء من القماش كتب عليها الحكم الصادر عليه ، ليقرأه الناس .

كلمة الجبرتي :

وقال الجبرتي : وصلت الأخبار عن عبد الله بن سعود أنه لما وصل استانبول طافوا به البلدة وقتلوه عند باب همايون، وقتلوا أتباعه أيضاً في نواحي متفرقة، فذهبوا مع الشهداء .

وثيقـة التحقيق مع عبد الله بن سعود وكاتبه وخازنه

حول كنوز الضريح النبوي ومشهد الحسين

وجدنا في دار الوثائق باستانبول – التـابعة لرئاسة مجلس الوزراء – صك التحقيق الذي جرى في سجن (بوستانجي باشي) مع الإمـام عبد الله بن سعود وكاتبه عبد العزيز وخازنه عبد الله السري ، وهـذه ترجمة الصك في شيء يسير من التصرف والاختصار :

رقم الوثيقة (١٩٦٢٧ – ١ / ٢) :

أُخرج عبد الله بن سعود وحده ، ووُجّه اليه السؤال الأول بهذه الصيغة :

سنسألك الآن عن عدد من الأشياء، فإذا أجبت أجوبة صادقة صريحة تدعو إلى الاطمئنان والثقـة فإن ذلك يجعلك موضع التفات كريم ، وإذا أنكرت وتمسكت بالدعاوى الباطلة فستواجه عقاباً شديداً . هذا سؤالنا نطرحه عليك:

لمـا استولى أبوك (سعود) على المدينة المنورة كنت أنت معه وملازماً له ، وقـد دخلتم الروضة المطهرة وانتزعتم منها ... أشياء كثيرة قيّمة وأموالاً وقطعاً نفيسة وضعت هناك للبركة وأحجاراً كريمة،وما حملته معك في الصندوق الصغير لا يمثل إلا جزءاً يسيراً جداً من تلك الأشياء النفيسة الكثيرة ، فقل لنا أين توجد الأشياء الباقية التي لم تحضرها معك ؟ إنك لا تستطيع أن تدعي أنها

تلفت .. لأنها ليست من الأشياء القابلة للتلف ، فعند من بقيت تلك الأشياء ؟ أجبنا على وجه الصحة وبيّن لنا الحقيقة ، فالحقيقة ترسم لك طريق النجاة !

فأجاب عبد الله بن سعود :

لقد كنت مع والدي سعود حين دخل المدينة المنورة ، ولكنني لم أكن معه حين دخل الروضة الشريفة .

وأنا لم أكن راضياً عن أخذ أي شيء من ضريح النبي (ص) ولم آخذ شيئاً لا كثيراً ولا قليلاً ولم أشاهد ما أخذه والدي لأنني لم أكن معه حين أخذ ما اخذه ، وإنما كان معه بعض رجاله ، الذين يصحبونه عادة أمثال (غصاب) و (حباب) و (عبد الله بن مطلق) و (أحمد الحنبلي) و (ابراهيم بن سعيد) وغيرهم ، وقد توفي من هؤلاء ابراهيم بن سعيد ، ولا يزال الآخرون في الدرعية عند ابراهيم باشا فتستطيعون سؤالهم عما تريدون، ولعل أعرف إنسان بالحقيقة هو (جبر) الذي كان كاتباً خاصاً لأبي .

قلنا لعبد الله ، بعد هذا الجواب :

أنت أكبر أبناء ابيك سعود والرجل المؤتمن منه وموضع الثقة وكنت تتصرف في كثير من اموره ، فقولك إنك لا تعرف، وإحالتك الجواب على فلان وفلان لتبرئة ذمتك ، جواب لا نقبله منك ، وأنت تعرف حتماً مصير ما أُخِذ من الروضة ، فلا تتذرع بالإنكار !.

فقال عبد الله ، وأيّد أقواله بالإيمان المغلّظة ، إنه لم يرَ الأشياء التي أخذها والده ولا يعرف أشكالها ولا أنواعها ، ولا يعرفها إلا الأشخاص الذين رافقوا والده وهم موجودون في الدرعية !

وأضاف : إنه بعد هذه الحوادث ابتعد عن ابيه ، وبقيت الصلات بينهما فاترة حتى وفاة أبيه سعود !

وهنا أعيد عبد الله الى مكانه ، وأحضر رفيقه عبيد الله السري منفرداً وسئل نفس السؤال الذي وجه الى عبد الله ، فأنكر معرفته بالأشياء المأخوذة

من الضريح النبوي وذكر أسماء الأشخاص الذين يعرفون ذلك وهم الأشخاص الذين سماهم عبد الله بن بن سعود ، ثم قال :

لما كان عبد الله بن سعود في الدرعية يتجهز للسفر الى مصر فاستانبول ، جاءت اليه شقيقة عبد الرحمن بن سعود وسلمته الصندوق الذي حمله عبد الله معه وذهب به الى ابراهيم باشا ثم الى محمد علي وأخيراً الى استانبول ، وهـذا كل ما أعرفه ..

استدعى المحقق اليه عبدالله بن سعود مرة اخرى وكرّر عليه السؤال بصيغة جديدة قائلاً له : هل سمعت شيئاً ، عن تلك الكنوز ومصيرها ، من النـاس ؟ فأجابه أن بعضها بيع الى الشريف غالب ، بواسطة محمد العطاس ، وقد أرسل الشريف شيئاً ممـا اشتراه الى الهند فبيـع هناك ، ووزع والده سعود بعضها على بعض الأعيان ، وما بقي من تلك النفائس سلمه سعود الى أخته (موضي) بعد أن كتب أسماء الأشياء الباقية على ورقة وضعها داخل الصندوق .

وبعد وفاة سعود ورجوع عبد الله الى الدرعية ، حدثته أخته عن الصندوق ، وقبل سفره جاءت اليه بالصندوق ، فسلمه الى ابراهيم باشا — وهـذا طلب منه أخذه معه الى استانبول .

وهنا يقول المحقق : ان اقوال عبد الله مطابقة للتحقيقات التي قـام بها ابراهيم باشا .

ويضيف المحقق انه عـاد فسأل عبد الله عن الأشياء التي لم تبـع ولم توزع ولم تتلف .. لأنه لا يعقل أن يكون ما في الصندوق هو كل ما كان يحتفظ به سعود .. ثم سأله أيضاً عن النفائس التي أخذت من مشهد الحسين ومن أماكن أخرى .

فأقسم عبد الله أنه لا يعرف إلا ما قاله ، وأنـه لا يعرف شيئاً إطلاقاً عن قصة مشهد الحسين .. وأنه يرجو ان تقوم الدولة بتحقيقات دقيقة حول هـذه الأمور فتتبين لها براءته منها ..

ثم أعيد عبد الله الى مكانه ، وأحضر عبد العزيز ، كاتبه ، فقال :

لقد كنت في خدمة عبد الله وكنت أكتب له ، ولمـا امر بالسفر الى مصر

فاستانبول أحبَّ أن يصحبه اثنا عشر رجلاً من رجاله ولكن محمــد علي ، عند وصولنا الى مصر ، استكثر هذا العدد وسمح لعبد الله أن يختار منهم اثنين فقط يصحبانه الى استانبول فاختارني أنا ورفيقي الآخر ، ولم نكن نعرف بأننــــا سنتعرض لما نتعرض له الآن !..

أنا لم أكن حاضراً لا في دخول المدينــة المنورة ولا في مشهد الإمام الحسين ، ولا علم لي بمــا أخذ منها ، وأعرف أن عبد الله لم يكن راضياً عن اقتحام أبيه للحجرة الطاهرة وأخذه ما فيها ، وقد افترق عن أبيه بعد هــذه الحادثة وبقي بعيداً عنه حتى وفاته .

وأعتقد أن سعود لم يطلع أحداً على ما أخذه ، اللهم إلا عدداً قليلاً جداً من خواصه كحباب وغصاب .. وقــد سمعت أن سعود أهدى بعض ما أخذه الى جماعة من الأعيان وباع شيئاً منه الى شريف مكة ولم يبق عند عبد الله إلا هــذا الصندوق الذي استلمه بعد وفاة والده .

قال المحقق : وبذلك أيَّدَ عبد العزيز أقوال عبد الله .

تهـــديم الدرعية

كيف كانت الدرعية ؟

قال ابن بشر ، يصف الدرعية :

(كانت قوة هذه البلدة وعظم مبانيها وقوة أهلهـا وكثرة رجالها وأموالها لا يقدر الواصف صفتها ولا يحيط العارف بمعرفتها ، فلو ذهبت أعدّ رجالهـــا وإقبالهم فيها وإدبارهم في كتائب الخيل والنجائب العمانيات ، ومـا يدخل على أهلها من أحمال الأموال من سائر الأجناس التي لهم مع المسافرين من أهلهـا ومن أهل الأقطار لم يسعه كتاب ، ولرأيت العجب العجاب .

كان الداخل في موسمها لا يفقد أحداً من أهل الآفاق من اليمن وتهـــامة والحجاز وعمان والبحرين وبادية الشام ومصر وأناس من حاضرتهم إلى غير ذلك من أهل الآفاق ممن يطول عدُّهم ، هـــذا داخل فيها وهذا خارج منها وهذا مستوطن فيها .

وكانت الدور لا تباع فيها إلا نادراً، وأثمانها سبعة آلاف ريال وخمسة آلاف ريال والداني بألف ريال وأقل وأكثر، وكل شيء يقدر على هذا التقدير ، وكروة الدكان في الشهر خمسة وأربعون ريالاً وسائر الدكاكين الواحـــد بريال في اليوم وشيء نصف ريال .

وذكر لي أن القافلة من الهدم إذا أتت اليها بلغت كروة الدكان في اليوم الواحد

أربعة أريل، وأراد رجل منهم أن يوسع بيته ويعمره فاشترى نخيلات تحت هذا البيت يريد قطعها وتعمير موضعها كل نخـلة بأربعين ريالاً وخمسين ريالاً ، فقطع النخل وعمر البيت ، ولكنه وقع عليه الهدم قبل تمامه .

وذكر لي من أثق به أن رجلاً من أهل الدرعية قـال له إني أردت ميزاناً في بيتي فاشتريت خشبة وطولها ثلاثة أذرع بأربعة أريل وأجرة نجره وبناه ريال . وكان غلا الحطب والخشب فيها الى حد الغـــاية حتى قيل إن حمل الحطب بلغ خمسة أريل وستة ، والذراع من الخشبة الغليظة بريال .

وكل بيوتها مقاصير وقصور ... فإذا وقفت في مكان مرتفع ونظرت موسمها وكثرة مـــا فيها من الخلائق ونزايلهم فيه وإقبالهم وإدبارهم ثم سمعت رنتهم ونجناجهم فيه فكأنه دوي السيل القوي إذا صُبَّ من عـالي جبل ، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يُضام سلطانه ولا يُرام عزه .)

.. وكيف صارت ؟

ثم قال ابن بشر ، يصف هدم الدرعية :

(.. فلمـا كان في شعبان – سنة ١٢٣٤ هـ . – وقدمت الرسل والمكاتبات من محمد علي صاحب مصر على ابراهيم باشا ، وهو في الدرعية ، أمر بهدم الدرعية وتدميرها ، وأمر على أهلها أن يرحلوا عنها .

ثم أمر على العساكر أن يهدموا دورهـــا وقصورها ، وأن يقطعوا نخيلها وأشجارها ، ولا يرحموا صغيرهـــا ولا كبيرها .. فابتدر العساكر مسرعين وهدموها ، وبعض أهلهـا فيها مقيمين ، فقطعوا الحدائق منها وهدموا الدور والقصور .. وأشعلوا في بيوتهـا النيران ، وأخرجوا جميع من كان فيها من السكان ، فتركوها خالية المساكن ، كأن لم يكن بها من قديم ساكن ..

وتفرق أهلها في النواحي والبلدان، وذلك بتقدير الذي كل يوم هو في شأن.)

نفي وإبعاد آل سعود وآل الشيخ الى مصر :

قال ابن بشر : (ثم إن الباشا أقام في الدرعية ، وطال مقامه فيها نحو تسعة

أشهر بعد المصالحة، وأمر على جميع آل سعود، وأبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأبنـائهم أن يرحلوا من الدرعية إلى مصر، فارتحلوا منها بحريمهم وذراريهم، وسار كثير من العساكر معهم إلى مصر، ولم يبقَ منهم إلا من اختفى أو هرب.)

ويقول مؤلف « خلاصة الكلام » إن عدد الذين أرسلهم ابراهيم باشا إلى مصر كان أربعمائة، يدخل في هذا العدد الحريم والأولاد، وقد أسكنهم في القشلة التي في الازبكية، وأما أولاد عبد الله بن سعود وخواصه فأسكنهم بدار عند جامع مسكه، (وطفقوا يروحون ويجيئون من غير حرج عليهم، وكانوا يترددون على المشايخ وغـيرهم ويمشون في الأسواق ويشترون البضائع والاحتياجات)[1].

---

(١) في حاشية المحقق علي ابن بشر ان آل الشيخ الذين أبعدوا الى مصر (محدودو العـدد ومشهورو الأسماء، بل هم قادة الدعوة وزعماء الاصلاح في ذلك الوقت ... وهم: الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وصحبته حرمه، وابنه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله، والشيخ عبدالرحمن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وصحبته حرمه، وابنه الشيخ عبداللطيف...

.. فأما الشيخ عبد الرحمن بن حسن فمكث في مصر ثمان سنوات ثم رجع الى الرياض بعد ما تولى الامـام تركي بن عبد الله الحكم بسنة واحدة (أي سنة ١٢٤١ هـ.)، وأمـا ابنه الشيخ عبد اللطيف فبقي بمصر واحداً وثلاثين عاماً ثم رجع الى الرياض في ولاية الامام فيصل بن تركي سنة ١٢٦٤ هـ.

وأما الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وابنه الشيخ عبدالرحمن فإنهما أقاما بمصر وتوفيا بها...

... وكان الشيخ عبد الله – إلى جانب قيامه بتعليم العلم وبثه ونشر مذهب السلف الصالح ودعوة التوحيد – مرجع قضاة البلاد السعودية في عهد الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود ثم عهد ابنه الامام سعود وابنه الامام عبد الله بن سعود، فكان الشيخ عبد الله في ذلك الوقت بمثابة رئيس قضاة ومفتي، وقد ألف مؤلفات كثيرة ... وقد صحب الشيخ عبد الله الامام سعود في دخوله مكة سنة ١٢١٨ هـ.

وكان الشيخ عبد الله شجاعاً مقداماً وقف في باب سمحان بالدرعية وشهر سيفه وقاتل قتـال الأبطال قائلاً كلمته الخالدة المشهورة: « بطن الأرض على عز خير من ظاهرها على ذل ».

بقي الشيخ عبد الله محدود الاقامة بمصر حتى توفي بها سنة ١٢٤٣ هـ. وله ذرية موجودون بمصر من سلالة ابنه عبد الرحمن، وذرية بنجد من سلالة ابنه عبد الرحمن ومن سلالة ابنه علي..).

ابراهيم نهب السكان ثم دمر البلد :

ويقول الكابتن (سدلر) إن ابراهيم باشا لم يعلن الأوامر التي أرسلها اليه أبوه بتدمير الدرعية وإبعاد زعمائها إلا بعد أن أخذ من الأهالي أموالاً كثيرة ليبقي على حياتهم ، وهكذا فعل رجاله في سائر بلدان نجـد .. ولما تمّ له ذلك أمر بتخريب بيوت الدرعية وإحراقها وقطع أشجارها ، وبدأ بتهديم قصر عبد الله ابن سعود ثم المساجد .. وكانوا يجبرون السكان على تخريب البيوت بأيديهم ..

ويقول (سدلر) أيضاً إنه زار الدرعية فوجد أسوارها متهدمة تماماً ، فقد ساواها ابراهيم باشا بالأرض ، وكذلك النخيل والبساتين أصبحت أثراً بعد عين، ولم يشهد رجلاً واحداً يمر بأطلال الدرعية .

وكانت بساتين الدرعية تنتج المشمش والتين والأعناب والرمان والحمضيات الممتازة ، الى جانب تمورها الشهيرة الرائعة . ولم يبق من كل تلك الأشجار إلا بقايا قليلة من الجذوع الميتة ..

ولقد هرب بعض اهالي الدرعية ونجد من مظالم ابراهيم باشا الى الخليج الفارسي ـ العربي ـ والعراق، وإلى أبعد من ذلك، بل وصل بعضهم الى طرابلس الغرب..

وزار سدلر (منفوحة) ، فرآه شيخ عربي عجوز ، فقال له :

(لقد أحياني الله حتى أرى ثلاث عجائب : التركي ، ثم الافرنجي ، في منفوحة .. وهذه المطر تنزل في أواسط الصيف !.)

باعوا الأسرى بيع الرقيق :

ومن أفظع ما ارتكبه عساكر ابراهيم باشا الآثام ما ذكره الجبرتي في أخبار سنة ١٢٣٥ هـ. قال :

(وصل جماعة من عساكر المغاربة والعرب الذين كانوا ببلاد الحجاز وصحبتهم أسرى من الوهابية نساء وبنات وغلماناً نزلوا عند الهمايل ، وطفقوا يبيعونهم على من يشتريهم ، مع أنهم مسلمون وأحرار !.)

يقتل العربان والامراء .. وينجو من طعنة خنجر :

ويقول ابن بشر ان ابراهيم باشا ، بعد فراغه من تدمير الدرعية ، رحل منها ونزل غدير (الأحور) قرب ضرماء ، ثم راح يتسلى بغزو العربان ونهب ما معهم ، فغزا قبيلة من عنزة وبوادي سبيع ، كما غزا العجمان ، وقتل بعضهم ، وقد طعنه احد العجمان بخنجر طعنة قوية ولكن ابراهيم باشا سلم منها .

ولما دنا موعد رحيل الباشا من نجـــد وثب عساكره الذين فرقهم في البلدان (على أناس من رؤساء نواحي اهل نجـد فقتلوهم .. فوثب الآغا الذي في الجبل ومن معه من العسكر وقتلوا محمد بن عبد المحسن بن علي ، أمير الجبل ، وأخاه علي ، وقتل معهما رجال .

ووثب الآغا الذي في القصيم فقتل عبد الله بن رشيد ، امير عنيزة .

ثم .. اقبل الآغا الذي في حوطة الجنوب المسمى حسين جوخدار ومن معه من العساكر ونزلوا الدلم ، المعروفة في الخرج ، وقتل آل عفيصان ، وهم : فهد ابن سليمان بن عفيصان وأخاه عبد الله ومتعب بن ابراهيم بن سليمان بن عفيصان ، واستأصل جميع خزائنهم وأموالهم .

وقتل ايضاً الشيخ علي بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، قتله الترك قرب الدرعية .

عودة ابراهيم باشا الى مصر :

وأخيراً .. رحل ابراهيم باشا من نجـد الى الحجاز فأقام فيها مدة وجيزة ثم عاد الى مصر فوصلها في ٩ ديسمبر سنة ١٨١٩ م. الموافق صفر سنة ١٢٣٥ هـ.

ويقول الرافعي ان الباشا انحدر في النيل حتى بلغ الجيزة فقابل (والده في قصر شبرا ، فضمه الى صدره مفتخراً بابنه العظيم ..

ثم دخل ابراهيم القاهرة من باب النصر في اليوم التـالي دخول الظافر وشقّ المدينة من باب النصر الى القلعة في موكب مهيب ، واحتشدت الجماهير لمشاهدته وتحيته ، وجاء محمد علي الى المسجد الغورى وشاهد موكب ابنه أثنـاء مسيره ،

ولما بلغ ابراهيم باشا القلعة استأنف سيره في موكبه الى مصر القديمة وقصد من هناك الى قصره ..

وزينت المدينة ابتهاجاً برجوع القائد الكبير ، وظلت في أفراح وزينات سبعة أيام متواليات، وفي ذلك يقول الجبرتي : « استمرت الزينة والوقود والسهر بالليل وعمل الحراقات وضرب المدافع في كل وقت من القلعة ، والمغاني والملاعب في مجامع النـــاس سبعة ايام بلياليها في مصر الجديدة والقديمة وبولاق وجميع الأخطاط ») .

عبد الله بن سعود
ـ كما يصفه ابن بشر ـ

قال ابن بشر :

(كان عبـــد الله ذا سيرة حسنة ، مقيماً للشرائع ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر .

كثير الصمت ، حسن السمت .

باذل العطاء .

ولكن لم يساعده القدر ، وهــذه سنة الله في عباده منذ خلق الخلق حتى لا يبقى إلا وجه ربك ذي الجلال والإكرام .

وكان صالح التدبير في مغازيه ، ثبتاً في مواطن اللقاء .

وهو أثبت من أبيه في مصابرة الأعداء ..

وكانت سيرته في مغــازيه وفي الدرعية في مجالس الدرس وفي قضاء حوائج الناس وغير ذلك على سيرة أبيه ، فأغنى عن إعادتها .) .

وقال عنه أيضاً : (.. قــاد الجيوش شرقاً وغرباً ، وكابد العساكر المصرية حرباً وضرباً ، فتتابعت عليه الحروب والكروب ، فصبر حتى تفرق النـــاس عليه « شعوب » وانتقض نظام الجماعة والائتلاف ، بعد ما قاتل قتــالاً ما قاتله أحد من الأسلاف) .

أمراؤه :

(وكان أمراؤه :

على الأحساء : فهد بن سليمان بن عفيصان .

وعلى القطيف : ابراهيم بن غانم .

وعلى عمان : حسن بن رحمة - وأمير الجيوش في عمان بتّال المطيري ، أخو مطلق .

وعلى وادي الدواسر : قاعد بن ربيع بن زيد الدوسري .

وعلى الوشم : حمد بن يحيى بن غيهب .

وعلى الخرج : عبد الله بن سليمان بن عفيصان .

وعلى المحمل : ساري بن يحيى بن سويلم .

وعلى سدير ومنيخ : عبد الله بن محمد بن معيقل - ثم عزله وجعل مكانه محمد ابن ابراهيم أبا الغنيم .

وعلى ناحية القصيم : حجيلان بن حمد .

وعلى بلد جبل شمر : محمد بن عبد المحسن بن علي .

وباقي النواحي عليها أمراء أبيه ..)

قضـــاته :

على الدرعية : الشيخ عبد الله بن الشيخ محمـد بن عبد الوهاب ، والشيخ علي ابن حسين ابن الشيخ محمـد بن عبد الوهاب ، والشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمـد بن عبد الوهاب ، والشيخ سليمان بن عبد الله ابن الشيخ محمـد بن عبد الوهاب ، والشيخ عبد الله ، ابن القاضي أحمد الوهيبي .

على الأحساء ونواحيها : عبـد الرحمن بن نامي . وعلى القطيف : محمود الفارسي . وعلى الخرج : علي بن حمد بن راشد العريني. وعلى الحوطة والحريق: رشيد السردي. وعلى سدير: ابراهيم بن سيف. وعلى منيخ : عثمان بن عبد الجبار ابن شبانة . وعلى الوشم : عبد العزيز بن عبد الله الحصين . وعلى المحمل : محمـد

ابن مقرن العوسجي . وعلى القصيم : عبد العزيز بن سويلم . وعلى شمر : عبدالله ابن سليمان بن عبيد . وعلى عمان : عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين .)

— ابن بشر —

ما كُتب عن عبد الله

قاموس الأعلام :

وفي قاموس الأعلام ، تأليف الشاعر الكبير الاستاذ خير الدين الزركلي :

(عبد الله بن سعود.. من أمراء نجد، وليها بعد وفاة أبيه (سنة ١٢٢٩هـ)، ونازعه اخوه فيصل بن سعود ، فضعفت شوكته ، فحاربته جيوش العثمانيين القادمة من مصر وتغلب عليه قائدها ابراهيم باشا ، فطلب الصلح وأجابه اليه ابراهيم ، واجتمعا فلاطفه ابراهيم وطلب اليه أن يتهيأ للسفر ، فرجع الى معسكره وتجهز في بضعة أيام، وأرسله ابراهيم الى مصر فأكرمه واليها محمد علي باشا ووعده بالتوسط له عند حكومة الاستانة ، فقال : « المقدّر يكون » .

وحُمل الى الاستانة ، ومعه اثنان من رجاله (سري ، وعبد العزيز بن سليمان) ، فطيف بهم في شوارعها ثلاثة ايام متتابعة، وأعدموا في ميدان مسجد أيا صوفيا ، وقطعت رؤوسهم وظلت جثثهم معروضهم بضعة أيام .

وكان عبد الله شجاعاً ، تقياً ، في رأيه ضعف) .

النقد — قول المؤلف ان عبد الله نازعه اخوه فضعفت شوكته فحاربته جيوش العثمانيين قد يوهم أن محاربة العثمانيين له كانت بسبب ضعفه،وهم إنما بدأوا حربهم في زمن ابيه .

وأما اسم (سري) ، فهو من الأخطاء الشائعة .. والعرب لا يسمون (سري) .. إنما اسمه عبد الله ، ولكنه من منطقة (السر) في نجد ، فنسب اليها فقيل : (السري) .

النهضات الحديثة في جزيرة العرب :

وفي كتاب المملكة العربية السعودية ، تأليف الدكتور محمد عبد الله ماضي ، وهو الجزء الاول من سلسلة (النهضات الحديثة في جزيرة العرب) :

(بويع لعبد الله بالإمارة بعد وفاة والده ، في الوقت الذي كان محمد علي باشا يحاربهم فيه بأمر حكومة الخلافة العثمانية ويحاول القضاء على دولتهم ، فكانت مهمة الحكم ليست بالسهلة، خصوصاً وعبد الله لم تكن له الشخصية ولا الدراية الحربية التي كانت لسعود الكبير ، الأمر الذي كان سبباً في طمع عمه عبد الله بن محمد بن سعود في الحكم ورفعه علم العصيان .. ثم في خروج بعض زعماء القبائل النجدية عليه ..

النقد – لم يذكر المؤلف المصدر الذي أخذ عنه قوله إن عبد الله بن محمد بن سعود رفع علم العصيان على عبد الله .. وأكبر الظن أن (عبد الله) المقصود هو شخص آخر غير عبد الله بن محمد بن سعود ، ولعله عبد الله بن ابراهيم بن حسن ابن مشاري بن سعود ، والله أعلم !

تاريخ نجد ، للألوسي :

وفي تاريخ نجد للألوسي :

(.. خلف سعود بن عبد العزيز : (عبد الله) ، وهو الذي استولى ابراهيم باشا عليه وحبسه ، وذهب به الى مصر ، ثم أرسله الى استانبول أيام السلطان محمود خان ، فأمر بضرب عنقه في ميدان جامع السلطان أبا يزيد بين ملأ من الناس .

وعبد الله هذا ، وان كان قد علم كأسلافه القبائل أحكام الدين وأمر بإقامة الجماعات في الأوقات الخمسة بحيث لا يتخلف احد منهم في بلاد نجد عنها الى عصرنا هذا ، إلا أنه أخطأ في تجاسره على بلاد السلطان ، ولو أنه اكتفى بنجد وما يليه من عمان وجزيرة البحرين وغيرهما لاستقام أمره ، وفاز بثواب تعليم أحكام الدين للقبائل الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا .) .

النقد – نقل الحيدري في تاريخه كلمات الألوسي حرفاً حرفاً .. من غير أن يشير الى قائلها ، وموطن الضعف في هذا الكلام أنه ينسب الى عبد الله محاربة

السلطان مع ان الحرب بدأت في زمن والده ، وكان هو مدافعاً ، وطلب السلم غير مرة ..

مجلة المشرق :

وفي مجلة المشرق ، التي يصدرها الآباء اليسوعيون في بيروت ، نشر لويس شيخو بحثاً تاريخياً بعنوان : « حول جزيرة العرب » جاء فيه :

(قام بأمر النجديين ، بعد سعود ، ابنه البكر عبد الله ، وعكف على مجاراة أبيه والاقتداء بآثاره ، إلا أن الأحوال لم توافقه ، ولا سيما ان إخوته ينازعونه الإمارة فتفرقت كلمتهم وانقسمت القبائل بينهم ، وارتد بعضها عنهم فلحقت بالمصريين ..

أحسّ الأمير عبد الله بحرج مقامه فطلب عقد الصلح مع الدولة العثمانية ، مقراً لدى محمد علي باشا بحكمها عليه ، وكان بين شروط المعاهدة أن تخرج الجيوش المصرية من نجد وأن يذهب الأمير عبد الله الى الآستانة ليقدم خضوعه للسلطان ..

ولما أخلى المصريون جزيرة العرب أخلف الأمير عبد الله وعده بالرحلة الى عاصمة الدولة العثمانية ، وإذ ألحّ عليه محمد علي باشا ليقوم بوعوده وتهدّده باستئناف الحرب أصرّ عبد الله على الإباء وشرع يحصن الدرعية .. فكان نكث الأمير لعهده داعياً لعودة المصريين الى جزيرة العرب) .

النقد – لم يخلِ المصريون جزيرة العرب في زمن عبد الله ، ولم يكن محمد علي مخلصاً بادعائه أنه يستأنف الحرب لأن عبد الله أخلّ بشروط الصلح ، وقد بَيّنّا ذلك في الصفحات السابقة ..

آثار الأدهار :

وفي آثار الأدهار : (عبد الله بن سعود : خلف أباه سنة ١٨١٤ وكان شهماً شجاعاً ، اعتمده أبوه في أيامه وعوّل عليه في صعاب الامور ، وقد فاق أباه في علو الهمة وشدة البأس ، إلا أنه كان أقل عزماً ونظراً منه ..)

نبذة تاريخية عن نجد :

وفي كتاب « نبذة تاريخية عن نجد » :

(.. توفي سعود ، وتولى الأمر بعـده ابنه عبد الله ، وكان رجلاً شجاعاً ، قليل السياسة) .

وصف غوان :

كان عبد الله بن سعود يتفوق على العلماء أنفسهم في الفقه .

كان بليغاً ، وكانت كلماته تقع في القلوب .

كان ذكياً جداً ، ومتواضعاً .

وكان سعود يستشيره وحده ، من بين أولاده .

أعطى سعود كل واحد من أولاده مئة وخمسين فارساً، ولكنه جعل لعبدالله ثلاثمائة ..

وكان عبد الله جميلاً ، لا يقل جمـالاً عن أخيه فيصل – وكان فيصل يُعدّ أجمل رجل في الدرعية .

كان عبد الله شجاعاً ، ولكن آراءه في الحروب و (استراتيجيتها) كانت آراء ضعيفة ..

وكان ينقصه الحزم في قراراته وتدابيره ..

ومن أخطائه أو عيوبه : انه استكثر من الضرائب ، وأنقص من العطاء ، وفي مصر مثل معروف : (حبيب ماله ، حبيب ما له) ..

لقد كان عند عبد الله عدد من الجنود أكثر ممـــا عند ابراهيم باشا ، ولكن ابراهيم باشا كان اعظم منه موهبة في الحروب ، فغلبه ..

وصف دريو :

امتطى عبد الله وهو في الخامسة من عمره ظهر مهر جموح ، واستطاع أن يروضه ..

وكان ، الى قوته ، شاعراً وفقيهاً .

وكان يأكل على مائدته خمسمائة رجل ..

وكان عنده ألفا جواد عربي أصيل ..
وجمع ثلاثين ألف مقاتل لمحاربة المصريين دفاعاً عن الدين والوطن ..
ولكنه خسر الحرب .. بأخطاء فنية ..) .

وصف مانجان :

(لم يرث عبد الله عن أبيه شيئاً من مزاياه .
لم يكن حليماً ، وكان يعاقب بطيش .
وكان بخيلاً ، لا يعطي من يقوم بخدمات له ما يؤمله ..
كان عبد الله شجاعاً ، ولكن الشجاعة لا تكفي .. وكان تفكيره محدوداً ، وما كان يستمع إلى نصائح أصدقائه المخلصين .
لقد خلف له والده جيشاً قوياً يحتاج إلى قائد ماهر ،ولكنه لم يحسن القيادة.
.. جاء الجيش العثماني إلى بلاد صحراوية محرقة وتكاثرت عليه المتاعب .. وكان عبد الله مطالباً بأن يوحد الناس حوله حتى لا يفيد العدو من الذين يبتعدون عنه فلم يفعل .. وكان مطالباً بأن يهاجم مؤخرة الجيش المصري ويقطع خطوط مواصلاته ويمنع عنه الإمدادات والمؤن ويهاجمه في كل فرصة سانحة – مثلاً خلال حصار الرس ، أو انفجار مستودع البـــارود الخ .. – ولكنه ترك كل ذلك ليحصر نفسه في الدرعية ..) .

الدرعيــة

– كما يصفها المؤرخ الافرنسي كورانسيز –

قال المؤرخ الإفرنسي كورانسيز ، في كتابه (تاريخ الوهابيين) المطبوع في مطلع القرن التاسع عشر :

« الدرعية ، مدينة بناؤها من حجر ، عرضها نصف فرسخ ، وطولها ثلاثة أضعاف عرضها ، تمتد بين حيين : أحدهما إلى اليسار ، وهو (الطريف) مقر آل سعود ، والثاني إلى الشرق ، وهو : (البجيري) مقر آل الشيخ ، وفيها ثمانية وعشرون مسجداً ، وثلاثون مدرسة ، ولا توجد في الدرعية حمامات ولا (مقاهي) عامة . وفي أسواقها (حوانيت) من القصب ، يمكن نقلها من مكان إلى مكان ..

ويقدرون عدد منازل الدرعية بألفين وخمسمائة دار مبنية بالحجارة والآجر.

ليست الدرعية محصنة ، ولكنها تقع في سفح سلسلة من الجبال العالية ، تمتد من الشمال إلى الجنوب ، وتدعى (طويق) ، والناس يجتازون وادياً في جنوبها ليصلوا منه إلى مناطق نجد الغربية .

يخترق الدرعية واد يدعى (وادي حنيفة) ، وهو جاف في الصيف ، وفي الشتاء يمتلىء بمياه السيول المتحدرة من الجبال المجاورة . وحول الدرعية بساتين تنمو فيها أشجار مثمرة ، كالبلح والمشمش والدراق ، وفيها أيضاً بطيخ (حبحب) وقمح وشعير وذرة الخ ..) .



الإمام عبد الله بن سعود، بين مرافقيه، وهو يقدم صندوق المجوهرات إلى محمد علي

– عن أنكيري –

ما بقي من الدرعية بعد تدميرها !

الملحق

الوثـــــــائق

كتاب سعود الكبير الى باباخان

فاتنا نشر هـذه الرسالة للإمام سعود الكبير في موضعها من كتابنا (عهد الإمام سعود الكبير) ، فأثبتناها هنا استكمالاً للفائدة ، معتذرين عن ذلك ..

وجدنا هـذه الرسالة في مكتبة المتحف البريطاني في لندن ، وهي غير (ممهورة) بخاتم الإمام سعود مما يدل على أن أحد النجديين قد نقلها عن الأصل، ولا تخلو الرسالة من أخطاء لغوية يسيرة ، ونحن نعترف بأن (هوية) الشخص الذي وجهت اليه الرسالة لم تتبيَّن لنا أول الأمر..وقد رجعنا إلى المعاجم و كتب التاريخ التي بين يدينا فلم نجد فيها ذكراً لباباخان .. ثم شاءت (المصادفة) .. أن نجد حلاً لهذا اللغز.. في نبذة تاريخية كتبها مسيو لانغلس Langlés ونشرت في ذيل تاريخ (مانجان) ، فقد ذكر هذا المؤرخ الإفرنسي أن (باباخان) هو اسم شاه إيران (فتح علي شاه) ، قبل توليه الملك في بلاد فارس !

هذا مكتوب الذي ارسله امير المسلمين سعود بن عبد العزيز

الى بابا خان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا

ومن سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا

هادي له ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له

واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بين يدي

الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا

صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم تسليما كثيرا من سعود

بن عبد العزيز الى جناب بابا خان سلمه الله تعالى من النار

واستعمله في اعمال الصالحين الابرار اما بعد فان الله تعالى

صورة فوتوغرافية للصفحة الاولى

من رسالة الإمام سعود إلى بابا خان

الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت

فعليك إثم الأريسيين، (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء

بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا

بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)

وصلى الله على محمد وآله وصحبه الطاهرين وسلم آمين

تمت وبالخير عمت

صورة فوتوغرافية للصفحة الأخيرة
من رسالة الإمام سعود إلى بابا خان

نص رسالة الامام سعود الى باباخان

الذي تولى الملك في بلاد الفرس باسم

(فتح علي شاه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدِ الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

من سعود بن عبد العزيز إلى جناب بابا خان سلمه الله تعالى من النار واستعمله في أعمال الصالحين الأبرار ، أما بعد فإن الله تعالى قال في كتابه المبين : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾. وأمر النبي ﷺ أن يدعو الخلق إلى دين بيَّنه وأنزله كتاباً وشرعة على لسان رسول الله ﷺ ، وأخبر أن دعوته إلى ذلك هي طريقة رسول الله ﷺ ومن اتبعه إلى يوم القيامة فقال تعالى:

﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ .

والباعث لنا على إرسال هذا الكتاب اليك أن نعرّفك بالحق الذي نحن عليه وما ندعو الناس اليه وما نقاتلهم عليه . فأما حقيقة مـا نحن عليه فكنا ، قبل أن يمنّ الله علينـــا بدين الإسلام ، في جاهلية عظيمة ، أهل أوطاننا يعبدون الأوثان والبنايا التي على القبور وغير ذلك من الحجر والشجر وتركوا الفرايض .. مثل الصلاة والزكاة ، فلا يقيم الصلاة ولا يؤتي الزكاة منهم إلا قليل ، هذا مع ما هم عليه من المنكرات الظاهرة والظلم من القوي للضعيف، ثم بعد هذه الحالة بيّن الله لنا دين الإسلام على يد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، رحمه الله ، فبيّن لنا أن هذا الذي يُفعل عندنا من دعوة غير الله والذبح لغير الله والنذر وغير ذلك من أنواع العبــادات التي لا تصلح إلا لله لا يجوز صرف شيء من ذلك لغير الله ، وأن من صرف شيئاً من ذلك لغير الله فقد أشرك والله تعالى لا يغفر أن يشرك به ، فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النـار وما للظالمين من أنصار ، فلا يدعى إلا الله وحده ، قال الله تعالى : ﴿ وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ ، وقال تعـالى : ﴿ فلا تدعُ مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذَّبين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ﴾ إلى غـير ذلك من الآيات الدالـّة على أنه لا يدعى إلا الله وحده لا شريك له وأنه لا يصلح شيء من ذلك لأحد ، لا لملك مقرّب ولا لنبي مُرسَل ، ولا لغيرهما ، وكذلك ذبح القربان إلا لله ، قال تعـــالى : ﴿ فصلّ لربك وانحر ﴾ إلى آخرها ، وقال تعالى : ﴿ إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ﴾ ،فمن ذبح القربان لغير الله فقد أشرك مع الله في عبادته وصار من جملة المشركين. وكذلك النذر لا ينذر إلا لله، فلا يجوز النذر للأوثان،

والبنايا التي على القبور . وكذلك الخوف ، والرجـــاء ، والتوكل ، والسجود ، فكل هذه العبادات لا تصلح إلا لله، بل لا بد أن تكون العبادات كلها لله وحده لا شريك له ، قال تعالى : ﴿ فاعبدِ الله مخلصاً له الدين، ألا لله الدين الخالص ﴾ ، وقال تعـالى : ﴿ هو الحيُّ لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين ﴾ .

والتوحيد هو الذي خلق الله الخلق لأجله ، وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب للأمر به ، والدعوة اليه ، قال الله تعـــالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ، وقال تعـالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أُمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ ، وهذا التوحيد هو معنى قول الإنسان لا إله إلا الله ، فإن الإله هو المعبود ، فمن صرف شيئاً من العبادة لغير الله فقـد جعل ذلك الغير إلهاً مع الله ، وإن قال إنما أردت بدعاء النبي أو العبد الصالح ليقربني إلى الله ويشفع لي عنده ، فإن هـــذا هو الذي أراده كفار قريش من آلهتهم ، سواء بسواء ، قال الله تعالى، حاكياً عنهم : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء، ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى.. ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرُّهم ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عنـد الله ﴾ ، فهذا هو الشرك الذي يفعله المشركون ، وإلا فهم يقرُّون أن الله هو الخالق الرزاق المحيي المميت المدبّر، كما حكى الله عنهم ذلك في آيات كثيرة من القرآن كقوله تعالى: ﴿ قل مَنْ يرزقكم من السماء والأرض أمّنْ يملك السمع والأبصار ومَنْ يخرج الحيَّ من الميت ويخرج الميت من الحيّ ومَنْ يدبّر الأمر ؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون ﴾ ، وقوله تعـــالى : ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ – إلى قوله – فأنـى تُسحرون ﴾ .

فهذا إقرارهم بأن الرب تبارك وتعالى ، هو الفاعل لهذه الأمور وانه رب كل شيء ومليكه ، ومع هذا لم يدخلهم في الإسلام بل كفرهم الرسول ﷺ وأحلَّ دماءهم وأموالهم لأنهم أشركوا في التوحيد الإلهي الذي هو توحيد العبادة ،وهو

معنى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فنعتقد أن الله تعالى أرسله إلى العالمين جميعاً ، كما قال تعالى : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً ﴾ ، فيجب على الخلق أن يطيعوه فيما أمر ، وينتهوا عما عنه زجر ، كما قال تعالى : ﴿ وما أتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾، فنحن، نحمد الله، نستن بسنته ، ونهتدي بهدايته ، ونجتهد في اتباعه حسب استطاعتنا ، فنأمر بعبادة الله وحده لا شريك له،وذلك هو التوحيد الذي هو أعظم ما دعا اليه رسول الله ﷺ وننتهي عن الإشراك بالله الذي هو أقبح القبائح وأنكر المنكرات وهو أول ما نهى عنه رسول الله ﷺ ، ونقيم الصلوات في مواقيتها بأركانها وواجباتها وشروطها ، ونغصب جميع رعايانا على ذلك من الذكور والأناث ، ونؤدي الزكاة كما أمر الله ، ونصرفها في مصارفها الشرعية إلى الأصناف الثمانية التي صرفها الله اليها في كتابه ،فقال تعالى: ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾، إلى قوله: ﴿ عليم حكيم ﴾ ، ونصوم رمضان ونغصب جميع رعايانا على ذلك من كل حاضر وباد ، ونحج البيت الحرام ونأمر رعايانا به ــ من كان يستطيع السبيل إلى ذلك ــ ونأمر بالمعروف الذي أمر الله به ورسوله،وننهى عن المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله مثل الزنا والسرقة وشرب الخمر وكل مسكر ، ونقيم الحدود على من ارتكب محرماً فيه حدّ من حدود الله ، ونقيم على حسب ما شرع الله ورسوله ، وننهى عن الظلم والبغي والاستطالة على الناس ، وننصف الضعيف من القوي ، فنأخذ الحق ممن اعتدى عليه ، فهذا حقيقة ما نحن عليه من الدين وهو دين الإسلام الذي لا يقبل الله من عباده ديناً سواه، كما قال تعالى : ﴿ ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة لمن الخاسرين ﴾ ، وهو الذي ندعو الناس اليه ومن أبى عن الدخول فيه والتزام أحكامه قاتلناه على ذلك كما أمرنا الله بذلك في كتابه قال الله تعالى : ﴿ قاتلوهم حتى لا تكون فتنه ويكون الدين كله لله ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصدٍ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ﴾ .

وقد ثبت في الصحاح وغيرها من دواوين الإسلام أن رسول الله ﷺ قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله ». وثبت في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم » .

فهذا الذي ذكرنا لك هو الذي نعتقده وندين الله به ، وأما ما ينسبه الينا أعداؤنا من الكذب والبهتان ، مثل قولهم إنا نكفّر الناس بالعموم أو نبغض أهل بيت رسول الله ﷺ ، ونستصغر الأولياء والصالحين ونهتك حرماتهم ، فنقول : سبحانك ، هذا بهتان عظيم ! وإنما قصد أعداؤنا بذلك صدّ الناس عن التوحيد واتباع دين الله ورسوله ، بل لا نكفّر من عمل بدين الإسلام ولا نقاتل إلا من امتنع عن العمل به والتزام شرائعه ، ونحب أهل بيت رسول الله ﷺ ، ونترضى عنهم ونتولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ، ونبغض قاتله ومن أعان على قتله ، ونبغض قاتل الحسنين وأهل البيت ، ونترضى عن جميع أهل البيت ، وإننا ننكر ما أحدثه الناس بعدهم من الامور التي نهى عنها رسول الله ﷺ ، مثل البنايا على القبور وإسراجها والصلاة عندها ودعوة أربابها وصرف العبادة لها من دون الله .

وأنا أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلِمْ تسْلَمْ ، وأسلِمْ يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن تولّيت فعليك إثم الإريسيين . ﴿ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون ﴾ ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه الطاهرين وسلم ، آمين .

وثائق

عهـــد عبد الله بن سعود

ونهـــاية الدولة السعودية الاولى

19593-4

[illegible]

— صورة الصفحة الأولى من رسالة — محمد علي —

مقداری عربان اوردماه ومادیت عساکر لازم کلمکله حق بیلت اجرا اولنه رق یکرمی کون مقداری حوالی مذکوره ده مکث نظامنه
اشتغال اولنمشکره قری شیخ زاده اولمسکنده بجدر ۲۰ شیخلق الباس واطفالنیله یانبوقاری ایکی قطعه سفینه قلعه تخریب وهدم ولایتی
احتیاطا مقادیر جبخانه ومقدار پیاده وتفنگ سواری ابقا ایدرکنده افندم قیام وطی منازل ومراحل ایدرک اقلیم
یمنده معدود شهرلرندن قرارینه دخول بیورلمشدر حوالی مذکوره شیخی اولان مشیط نام شیخ العربان مؤمنلی شجیعان واسداء
کلفندسنده انقیاد حضرت سلطانیه یه کندو سمت سلامت اتخاذ ایتمکله کندو یه امر وامان ویریلوب افندم حرکت وقلعهٔ زهران
امیری اولان بحروش نام لعین برقاچ بیلو نفر عشرتیله کندی قلعه سنه تحصن ایلمکله عقیب محاصره وبرهه قدر تسخیر اقدام
ومحاربه ده اشقیای عربان اوغره تدبیرنده ایکن نجلنده اولان عشیرتلر کندودن ابا وعاقبت الامر کندو یی ودیر حضرتیه ترک تسلیم
راغب اولمغله امان ویریلرک قلعه دن اخراج واوده کوز جیسنده کبی سحب ومحوسنه باجمع عربان امان وقلعه مذکوره
خالی ایکان اولنوب بوحوالیلو دخی ترکیبی نظامی ویرلدکنده افندم قیام وشواهق جبالدن مرور وبیرلطیف اولان عسیر
عربانی قبیله سنلو امیری اولان طامی نام ملعون تحصنکاهی اولان طبب قلعه سنه تقربنده لعین مرقوم مقابله قدرتی اولمدیغی بلنمشدر اوندن
وارلوب جدید وقدیم ایکی قطعه قلعه مستحکمسی واز امداد محاصره اولندیغی ملعون مرقوم لدی الشاهده درون قلعه لرینه دخول واکتساب
اولنوب برتقریب بیرمکانده حدیده وطبه وابوعریش حاکمی اولان شریف حمود طرفه طوغری فرار ایتمکله قلعه مذکوره تینده قلاع
قصور حونسی سیلرینه عقره طاقوب امان سنه ملدیه الصنو زکوة الللفر مرالوالاوزده بونلره دخی امان حضرت پاشامز ویرلوب
وقلعه سنده بشکاه طوبلر وخمبره طوبلری وسایر مهمات حربیه اخذ اولنه رق نفکره بوقلعه لر دخی کلیا ترتیب واعدام المحقرع الحصون
قاری مزبورلو ورلسنده برقاچ یوز آتلو ایله شرفای مکه دن شریف راجح ایله توجیه ایدرک اوز قولاری تعیینلرده والیلریت
ثالثیه اولان صبیه عربانه کاغد اشرفیه ملعون مرقومی بهر حال استرداده اقدام اولنمقده لعین مرقوم شعبه قبیله سنده نجمه ملحوقکره
حاقبله مرقوم ملعون شریف حمود معروف جلب واودخی آدملری مقاومت قادرینه تسلیما صوب سرکاره ارسال ایتمکله قصور امرای
وعابی هرنه ایسه وکذا شرطای ملعون بولدیر ملعونه ابن ملعون دکن تجلنده محتشم اولان قبائل یکرمی بیکدن زیاده وجرالیدکی
تعلو اتراز وحرب ادبانی اولنوب شویله که ساحل بحریه اولنمقده هند ویمندن جده اسکله سنه کلوب کچلو وارد ایدن تجار
سفینه لریله مال ومنال لرینی غارت ایدرکنده سفینه لری ایجنده اولان ذوی الارواحله بحره تغریق ایتمکله بجمله برکافر ایدکلری اولنمقدن
بونلو شرندن سفینه حدیده دنبرو هندویه سفینه لرندن اولور اولماز تجار سفینه سی کلوب بکامزدی اشته سالمه بورفعه
بیتالیه الدوروب عباد اسه شرورندن خلاص اولشمه سالف الذکر امان ایله اخراج وحبس اولنه بحروش ملعون برکیمه بغته بر
عسکرلو بلدن سلاح کابوب بالجمله بجوم ایتمکله یار اولنوب فقط سرقطعی اخذ ومرقوم طامی حیا بو ملعون سرحانیز المالک
بکراغانه لرینه تسلیما بیحکاه سلطنت سنیه یه تقدیم قلنمشدر اشته سالم موالمه توجیه شام حاجت تمالیه ... ودهیلت
ماعدا اولاکافه قبائل وعشائر ملت سیف سالیالید حضرت پاشا از اوق اطغوا بوطلیع برصورت صبیه جنارنده موجب عبرت
وبکا اولاد اولدلرینه دخی بادی سرایت اولنمقده تملکشی باجمعهم تحت رعیت سرفرو ... نام مکامارب خاطرلرینه کتوردکلری
کیم ... ومساجد ومنارلرنده تامسکنه ولایته منتی اوتجه ده اسم جلیل ارسم حضرت حضرت پاشامز خطبه لرده قرائت ومذاکره
معابلیوم وهابیله الاقلرینلو لغه بیل ودخت ایتاملو ولمرلرینه تسلط مرادلرا ایدرایسه جلامسی تحمیم ومقابلا ایتلو کندلری
بری بری بینده برضاحت ایتیو اهل سبیلی وسایری نهب ایتاملو ومعرض وابطرندن اولنق شروط قریسی بالتوفیق بجره ۲۰
قیاس اولنمه مشایخ جدیده ویه وصیت وتنبیه اولنه رقنکره آندن دخی قیام برله تونفنه اسکله سنه کلوب آندن برقطعه عالی اوفه کله
ملقلزا اعاده عطلوت ومقدارکفایه عسکر بیرقدره نکره منتام ملکله افندم قیام ومکه دن قیلمرکه تیرش ... مخ کوفی تیملکوی

– الجزء الأخير من رسالة – محمد علي –

الوثيقة الاولى

رسالة طويلة من محمد علي الى السلطان العثماني

وفيها يذكر :

١ – عدوله عن المطالبة بولاية الشام
٢ – انتصاراته في عسير
٣ – عودته الى مصر لاتمام الاستعداد لغزو الدرعية

ــ ترجمة الرسالة ــ

حضرة صاحب الدولة والعناية والأبهة والرحمة الزائدة والشفقة ولي النعم علي الهمم ورحيم الشيم أفندينا أدامه الله بالعز والإقبال وحفظه وأبقاه .

يعرض العبد المفروضة صداقته والمؤكد اخلاصه ان انتهاء وانجاز قضية مصلحة الحجاز كلياً وعلى صورة جازمة يحتاج إلى توجيه شؤون إيالة الشام مدة سنة واحدة إلى عهدة هـذا العاجز . وفيما عدا ما جرى عرضه وتبيانه لمقام السلطنة السنية موئل العدالة خلال هذه السنوات العديدة فإنني لدى ذهابي إلى مكة المكرمة وإقامتي فيها فترة من الزمن لتدارك الأمور ، وبعد المذاكرة مع

نفر من أشراف مكة وعقلائها بخصوص إنهاء هذه المصلحة الحجازية تبيّن ، (أفندينا) ،أن أساس ظهور قضية «الوهابيين» هذه ترجع إلى تسعين سنة مضت ، وهي ... مادة وقضية عظيمة جسيمة وقــد أفاد هؤلاء الأشراف والعقلاء .. خطاباً لعبدكم هذا العاجز : « إن حلّ هــذا الأمر متوقف على اناطة أمر إيالة الشام بذمتكم على كل حال ،وذلك لأن أعظم أسباب انهاء هــذه المشكلة تنحصر أولاً بالوسائط النقلية كالجمــال مثلاً ، والكثير منها لا يوجد إلا في جوار الشام لدى عربان عنزة المخيمين هناك وانه بالإمكان تدارك العدد اللازم من الجمال من هذه القبيلة ،إما شراء أو كراء (أي بالأجرة) ،وهذا متوقف على أن يناط أمر إيالة الشام بكم فتتصرفون على ضوء اقتضاء الحال والمصلحة » . هذا ما أفاده هؤلاء مؤيّدين ما ذهبت اليه ومصدّقين اعتقادي المتواضع ، وإن واقع الحال ، وهو على ما ذكر ، يُظهر بأنني لم أكن قادراً على التعبير بجلاء ووضوح فيما سبق من كتاباتي وعرائضي المرفوعة إلى باب السلطنة العلية وانني لم أوفق إلى حسن التقرير ولذلك فإن افاداتي المتعددة إلى الذات العلية لم تلقَ التفسير والإيضاح اللائقين ، كما أن عبيدكم رجال التتار ، الذين كانوا أوفدوا سابقاً وأُفهموا لساناً وشفاهاً هذه الأمور تبعاً لاقتضاءات المصلحة ، لم يكن لافاداتهم الأثر المرجو مما أدّى بي إلى أن أفسر بأن كلام وايضاح التتار كانا غير كافيين للدلالة على أهمية الأمر ، وهذا ما تأكّد لدى شرف ورود الأمر والفرمان العالي السامي إلى يد هذا العاجز من قبل حضرة ولي النعم (أفندينا) وحصول الاطلاع على ما احتواه من النقاط والتوجيهات ذات المزايا الجليلة التي اخترقت ذهني وجرى تفهمها كلياً كما هو اللائق بها ..

إن ما لاقاه هذا العبد العاجز فيما مضى ولدى تشرفه بالحضور وكان لا يزال بصفة الوزير الحقير ، وما ناله من أنواع العناية الشاهانية بفضل وانعام حضرة الذات العلية السلطانية لا يبرح مخيلتي . وإني لو بذلت أقصى ما في وسعي من جهد وسجدت شكراً لأقل نبذة من هذه العناية والتوجه الملوكي العالي لما تمكنت من أداء واجبي أو رفع رأسي «لتمتمة» كلمات تنم عن الامتنان الخالص. ولو حاولت

ذلك طيلة أيام حياتي حتى ولو منحت البقاء إلى يوم القيامة ، كما أنه لو حاول أولادي السبعة المتحدرون من صلبي وأولادهم أن يحصروا بجمل أوقاتهم في هذا السبيل ، لا يتمكنون أيضاً من اداء ما وجب بل يظلون عاجزين ومقصرين عن ذلك ، وإن هذه العناية العالية والنعم المثلى التي بذلت بحقي أنا هذا العبد الحقير العاجز وهي تتجاوز الحد الذي استحقه حسب اعتقـــادي الشخصي ليست لتكوّن بنفسي عدم قناعة أو طموحاً أو رغبة أو محاولة للحصول على توسع أكبر في المعيشة ،والتماس منصب أكبر وأعلى، من جانب حضرة ذي المقام الأعلى والعدالة السنية وهذا ما أرجو أن يتحقق لدى الذات الشاهانية ذات المراحم السنية ، والله شاهد على ما أقول بأنني راغب من صميم القلب القيام بإيفاء هـذه المصلحة والواجبات حقها كما هو مفروض ومستلزم. . وإني لأرجو أن أوفق في ذلك لعلي أكون قـد قمت بعون الله بأداء قسط جزئي مما عليّ من حقوق ، ويجزء ولو ضئيل من مظاهر الشكر لقـــاء العنايات العلية الجليلة المذكورة فأحصل هكذا على رضاء وقبول حضرة ولي نعمتي وولي نعم العالم صاحب الشوكة والقدرة والكرامة والعدالة ظل الله على الأرض وفي العالم أفندينا. ومع أن هذا ما رجوته ورميت اليه من هذا المسعى وما أقصد ايصاله إلى افهام صاحب الدولة أفندينا المعظم ، وبمـــا أنني لم أتمكن من الحصول على ما قصدته في حينه فإنه كان من الضروري الاستقرار – والانتظار – في الحجاز طول السنة الماضية بالنظر لقلة وجود الجمال ، وقد حصلنا هذه السنة على بضعة آلاف منها .

ثانياً ـ معارك عسير والاستعداد للهجوم على الدرعية :

إن أمر مهاجمـة هؤلاء « المتمردين » كثيري العدد ... والمعتصمين بالجبال الشاهقة المنيعـة ومطاردتهم على هذه الصورة غير منسجم مع القواعد الحربية ومغاير لمقتضيات الأحوال، ومع ذلك فإنني مجاراة للاعتقاد بالحظ وبعد التوكل على الله ، أقدمت على جمع جيش المشاة والخيّالة وتحركت مستصحباً إياهم وقمت بالهجوم ، وقد وافانا النصر الرباني ، وهذا ما كنت تشرفت بعرضه سابقاً على

اقدام حضرة صاحب الشوكة الذات الهمايونية بتقرير رفعته وسلمته إلى عبدكم حاجبنا أحمد ومن صحبه من عبيدكم التتار ، ولدى وصولنا ، عقب هذا النصر الذي تلطّف علينا وأكرمنا به نعم الرفيق سبحانه وتعالى ، وبفضل حضرة باني الهمم ، إلى اقليم (بيشة) بادرنا بإعطاء الأمان إلى العربان الموجودين في تلك البقاع الذين يقدّر عددهم بعشرة آلاف، كما أمّنا الحدود حسب الاقتضاء سياسياً بإعدام وتأديب من يلزم ، وبعد أن بقينا مدة عشرين يوماً في تلك الجهات منهمكين في أمر تأمين استتباب النظام عملنا على تنصيب الشيوخ القدامى مجدداً وألبسناهم ثوب المشيخة وهدمنا القلعتين المتينتين اللتين كان أقامها أسلافهم ، وبعد أن تركنا احتياطاً في تلك الجهات خمسمائة من الجنود المشاة وخمسمائة من الخيّالة جمعنا منازلنا وخيامنا للرحيل وبوصولنا إلى مجموعة قرى اليمن الكبيرة المعروفة باسم (شهران) أعطينا الأمان إلى شيخ تلك الجهات المعروف باسم (مشيط) الذي عاهدنا على الانقياد لحضرة الذات العليـة الشاهانية وبذل الخدمات للغزاة الجنود المؤمنين الشجعان .

وبعد أن أجرينا ما اقتضته الحال من هذه الشؤون وتوطيد الأوضاع تحركنا صوب قبيلة زهران ، وكان عليها أمير يدعى « بخروش » كان قد استعد ومعه بضعة آلاف من أتبـاعه واعتصم بقلعة كانت أعدّت لهذا الغرض ، ولما بادرنا بإلقاء الحصار عليها وكنا على وشك الاندفاع اليها وإذ بعدد من «الحشرات» .. وهم رجال الأمير ومقـدّمو عشيرته يحضرون طالبين الأمان ويفيدون بأنهم أبوا مجاراة الأمير وحذّروه من عاقبـة عدم استسلامه . وكنا شرعنا قبل اسبوع بالاستعداد للمهـاجمة وكانت القلعـة وشيكة التسخير والاحتلال ، وحين وصول المشـايخ المذكورين وطلبهم الاستسـلام بودر بدخول القلعـة وإخراج من كان فيها ووُضعوا تحت الحراسة الشكلية في الجيش بعـد إعطائهم الأمان وقد نُظمت الشؤون في هذه البقاع بعد الاستيلاء على القلعة وجلونا عنها متجهين صوب إقليم (عسير) في أراضي اليمن ومررنا بجبال شاهقـة حتى بلغنا حصون وقرى الأمير المدعو «طامي» المعروفة باسم (طيبة)، ولدى اقترابنا من

القرى المذكورة وجدنا أن الأمير المذكور ... متهيىء المقابلة ، ولذلك بادرنا حالاً بالهجوم وحاصرنا قلعتين محكتين: الواحدة قديمة والاخرى حديثة. وحين شاهد (المذكور) ذلك لم يبقَ في القلعة بل أسرع وحاشيته بالفرار متجهاً صوب أحد حكام اليمن القريب على ما يبدو من ذلك المكان وهو حاكم حديدة وطيبة وأبو عريش المدعو الشريف «حمود». وضعنا الوثاق في أعناق من بقي من أعوانه في القلعتين المذكورتين فبادروا بطلب الأمان . ولما كان العفو من مدلولات زكاة الفطر منحنا أمان حضرة الذات العلية السلطانية ، وضبطنا واستولينا على ما هو موجود في القلعتين من مدافع الهاون والذخيرة والقذائف وسائر المهات الحربية وأخذت بكاملها ، ثم بوشر كذلك بهدم وتخريب القلعتين وأرسل بضع مئات من الخيّالة لتعقيب الفار المذكور وعلى رأسهم رجل من أشراف مكة «الشريف راجح» وعبدكم الكتخدا رئيس حجّابنا ، وأمروا بأن يوزّعوا المناشير على جموع العربان القاطنين في تلك الأماكن وأن يفتشوا كافة البقاع وأن لا يعودوا إلا ومعهم « ... » المذكور حياً أو ميتاً . وكان هذا ... أثناء فراره ماراً بقبيلة شعبه ، وحين كان مسرعاً بالاتجاه قبض عليه أفراد القبيلة المذكورة وأحضروه أمام الشريف حمود الذي سلّمه بدوره إلى عبيدكم رجالي الذين كانوا أُرسلوا لتعقيبه وإحضاره إلى طرفنا [١] .

أما من بقي من أمراء الوهابيين فإنه مهما كان شأنهم سيُصار إلى عمل اللازم بشأنهم ، إلا ان هـذا ... ابن ... « طامي » ، الذي لم يسبق له مثيل بالإجرام ، جمع حوله ما يزيد عن خمسة وعشرين ألفاً من أفراد القبائل كلهم من حمَلة السلاح ورجال الحرب وانتشروا على شاطىء وسواحل بحار اليمن بقصد التعرض إلى التجار الوافدين من الهند واليمن إلى ميناء جدة وسلب سفنهم ونهب أموالهم وإلقاء من بقي من الأشخاص وذوي الأرواح في البحر وإغراقهم ،

---

(١) الكلمات الموضوعة بين هلالين أو المبدلة بأصفار .. كانت تحتوي على ألقاب وكلمات بذيئة كماعون وكافر ونحو ذلك ...

وهذا العمل يبرهن على انه ... ابن ... ، ولذلك انقطع مرور السفن منذ سنين عديدة من اليمن والهند إلى هذه الجهات ، والآن بإلقاء القبض عليه أنقـذ عباد الله من شروره ولله الحمد . وبعـد أن جرى ذلك وإذ بالمدعو « بخروش » ... الذي كان أُخرج من السجن وأُعطي الأمان ووضع تحت الحراسة ، يغتنم إحدى الليالي فرصة عدم انتباه أحد الجنود فيختطف السلاح من وسطه ويجرح نفرين فيسقط هو الآخر جريحاً . وجرى بعـــد ذلك إحكام وثاق ... « طامي » وُسلّم حياً إلى رئيس حجّابنا عبدكم الحاج بكر آغا وُقدّم محفوظاً هذه المرة إلى مقر السلطنة السنية السياسي .

وهكذا الحمد لله ثم الحمد لله لم تعد هنالك حاجة للتوجه إلى الشام وجهاتها بعـــد أن تذوّق كافة أمراء الوهابيين وقبائلهم وعشائرهم فيما عدا الموجودين بالدرعية طعم حسام حضرة الذات الشاهانية سالب الحياة،وقد كان هذا الحسام منذ مدة مديدة جالباً العبرة لهم وقد ينتقل ويسري ذلك إلى أولادهم أيضاً الذين سيظلون بعـد اليوم مع الجميـع من وهابيين وغيرهم حتى ولاية مسقط يذكرون اسم حضرة صاحب الشوكة الخليفة الأعظم في محافلهم ومساجدهم وعلى منابرهم ويقرأون اللوائح المتضمنة عدم جنوحهم بعـد الآن إلى السلب والنهب والتعدي على حقوق الغير وعـدم انحيازهم وميلهم إلى جهة الوهابية ، وسيعرفون أن واجبهم متى هوجموا أو اعتـُدِيَ عليهم من قبل الوهابيين أن يهبّوا دفعة واحدة إلى مقاتلة الوهابين وردهم. وقد أُوصي بذلك شيوخ العربان والقبائل الذين جرى توشيحهم بلباس المشيخة مجدداً وتعهدوا بالقيام به. وقد استحضروا جميعاً لهذه الغاية إلى ميناء القنفذة. وبما أنه وجد من الضروري تشييد قلعة هناك بوشر بذلك، وبعد ابقاء فصائل كافية من الجند وتنظيم الأمور ، وبناء على ختام هذه المصلحة تحركنا من هـذا المكان أيضاً وعدنا إلى مكة فبلغناها في اليوم التاسع والسبعين من مبارحتنا لها . إن هذه الفتوحات الجديدة الجليلة قد جرت بعناية ربانية محضة وهي من آثار قوة طالع حضرة سني المطالع باني الكيان . وأنا أقسم بالله العظيم ان تدابير حركتنا المتخذة هذه المرة لم تكن مستندة إلى قاعدة حربية بل كان

يشوبها الضعف وقـــد نجحت بفضل قوة سعد واقبال حضرة أفندينا صاحب الشوكة وآر حكته وهذا مما لا شك أو شبهة فيه ، وإننا نسأل الله العلي المتعال القادر ، كل يوم، أن يطيل عمر ويزيد اقبال الذات الشاهانية وأن يديم حياته بحيث يشملنا فيض كراماته وإحسانه فأكون مظهراً لهذه النعمة الكريمة التي أرجو أن تكون ثابتة دائمة بالنسبة إلى هذا العبد العاجز . آمين استجب يا رب العالمين،بالنبي الأمين. إن«الخوارج»– كذا – الذين يعتمدون الوهابية أصبحوا وقد شملهم الخوف لدقة الحراسة ، ولذلك فإنهم يقيمون الآن داخل الدرعية ساكتين صامتين وكانت أحاديثهموحوارهم مع أهاليالقرية أو فيما بين بعضهمبعضاًكزملاء ورفاق يدور على لوم الواحد للآخر ، فيقول الواحد هذا سببه أنت ويجيب الآخر كلا بل السبب هو أنت . وبعون الله الحق لو أننا الآن حصلنا على مجموعة من الجمال ووصلنا فريقجديد من عساكرنا كنا سارعنا خلال هذا الموسم بالزحف مباشرة علىالدرعية ،وفيهذهالحالة،ولو أننا متأكدون بأنهم سوف لا يتجاسرون على مقابلتنا ولا بخرطوشة واحدة يرموننا بها ولكن ما الفائدة إذ أنه لم يعـد هناك أي تحمل أو طاقة للعساكر كما أنه لم يبقَ لدينا جمال أو حيوانات ولذلك من الأوفق عدم السير نحو الدرعية الآن والترخيص بالاتجاه نحو مصر لتبديل الهواء والماء على أن يظل الميرميران عبدكم حسن باشا في مكة ومعه المقدار الكافي من الجنود وإبقاء عدد كاف من الجنود أيضاً بالطائف مشاة وخيالة ويترك أيضاً فصيل كافٍ في جدة . وبعد أن تم تأمين ذلك اتجهت عبدكم للسير نحو المدينة المنورة بمنه تعالى . وبوصولي إلى ذلك المحل المبارك بعد أن أجريت التنبيهات اللازمة والتوجيهات المقتضية للعربان المقيمين في جبل شمر وفي جبل القصيم ولسائر قبائل العربان ، سأضع داخل المدينة المنورة وفي المحلات الأخرى اللازمة عدداً كافياً من العساكر وبعد ذلك سآخذ معي ابني عبدكم الحاج طوسون أحمد باشا الذي ما برح منذ سنوات عديدة يعمل في صحارى الحجاز وحرّها اللاذع لتبديل الهواء في مصر .

هـــذا وبقي أن نعرض بأن أفراد الفئة الوهابية ولو انهم حالياً مقيمون في

الدرعية ينتابهم الخوف على حياتهم ولا يحركون ساكناً إلا انهم، كما هو ملحوظ، إذا ظل مسكوتاً عنهم سوف يزيدون كثرة وأتباعاً خـــلال سنوات قليلة فلا يظلون قانعين بالركود ولذلك فإن الحاجة ماسّة لإجراء ترتيب خاص من أجل الدرعية نفسها ، وبناءً عليه فإنني فور وصول عبدكم إلى مصر إن شاء الله تعالى سأهتم جدياً بفتح وتسخير الدرعية أيضاً، ورغبةً في بيان ذلك وإظهار وإثبات عبوديتي إلى المقـــام الأسنى جرى تسطير هذه العريضة الموضحة واقع الحال ورفعها إلى عتبـة أقدام ولي النعم راجياً أن تكون مشمولة بإحاطة علم حضرة الذات العلية ،وعلى كلٍّ فإن الأمر والفرمان لحضرة صاحب الدولة والعناية والعاطفة والأبهة والرحمة الزائدة والشفقة ولي النعم عالي الهمم رحيم الشيم أفندينا .

٢١ ٢٣٠ **خاتم محمد علي**

حـــاشية :

حضرة ولي النعم أفندينا :

إن ُسبل وقساطل الماء الذي يجري إلى مكة المكرمة والذي يعبّر عنه بماء عين زبيدة لم يجرِ ترميمها وإصلاحها وتعميرها منذ أمد طويل، وبالنظر إلى كثرة الأمطار التي هطلت منــذ شهرين ولشدة اندفاع السيول الحادثة فقد تهدّمت وخربت . وقد جرى الكشف عليها فور عودي من الغزو وتخمين مـا يلزم من نفقات ، وقدّرنا جازمين بأنه يمكن إصلاحها وتسييرها بسبعمائة او ثمانمائة كيس من النقود، ولذلك فإنني استحضرت ذلك المبلغ وهو المتجمع من قيمة محصولات المزارع التي أملكها بفضل حضرة الذات العلية السلطانية ، وانه لمن المال الحلال الطيب ليجري إنفاقه على الأعمال المذكورة .

وبما أن سقف مسجد البيت الحرام الشريف قد تخللت جدرانه الشريفة بعض مياه الأمطار أيضاً فإن هذه الجدران المحلاّة بالخطوط والنقوش التزيينية وبعض

الحجارة المماثلة ستكون معرَّضة للتفتت والانهدام إذا لم يبـادَر لإجراء المقتضى وإصلاحها ، ولذلك فقد سارعتُ بتأمين أخذ مقاييسها وتكليف معلمي وعمال البناء والحجارة للإسراع بالمباشرة بالإصلاح وذلك بواسطة كتخدا عبـدكم الذي كتبتُ له وأوصيته بذلك ؛ فإذا صدرت الرخصة السنية يكون إنفـاذ ذلك موجباً لتوجيه الدعوات الخيرية إلى الذات السامية الشاهانية لما يبـدو منها من أعمال البِـرّ والخير ، وقد بادرت بعرض هذه الامور أيضاً ليحاط بها علم حضرة ولي النعم. وعلى كل فإن الأمر والفرمان لحضرة صاحب الدولة والعناية والعاطفة ولي النعم أفندينا .

الوثيقة الثانية

كتاب طوسون الى محمد علي

يذكر فيه عجزه عن الاستيلاء على بلدان القصيم ، ويطلب من والده «التظاهر» بقبول مصالحة الامام عبدالله بن سعود.. حتى يتم الاستعداد للحرب !

ـــ ترجمة الرسالة ـــ

حضرة صاحب الدولة والعناية والعطوفة والرأفة وفي الهمم والدي أفندم .

لقد سبق أن عرضنا لدولتكم وأوضحنا بأن أهالي القرى الواقعة بوادي القصيم التي تبعد عن الدرعية مسافة تقدّر بثمانية قوناقات (مراحل) ، والتي تعرف بأسماء الرس ، الخبراء ، البكيرية ، حبلان ، وشبيبية ، قد دخلوا في حظيرة الطاعة للدولة العلية ، وبينما كنا نستعد للتحرك إلى قرى (عنيزة) و (بريدة) وبقية القرى الصغيرة الواقعة في الوادي المذكور والتي تبعد مقدار اثنتي عشرة ساعة عن الرس لأخذهـا « وتسخيرها » ، وإذ بالمدعو عبد الله بن سعود يحضر من الدرعية ومعه العدد الوفير من الخيالة والهجانة لإمداد القرى المذكورة وإعانتها وتعزيز أسوارها فأصبحت أكثر متانة وقدرة على المقاومة ، وقد « تجاسر » بعد ذلك على « التعرض » لقبائل العربان التي تجمّعت حول عبدكم المخلص مظهرة

جده رئیسی طوسون اغا ... پاشا قولکزک ... [illegible]

19630

1/2

دولتلو عنایتلو عطوفتلو ذاتلو ولی نعم بیدریغم افندم حضرتلری

بوندن اقدم طرف دولتلرینه بسط وبیان اولندیغی اوزره درجه بر سکز قوناق قسیم وانیسی قرالرینک واصل وجها
وبکیه وجبوره کی نجیبیه اهالیلری تحت طاعت دولتعلیه یه کلکدن اول بنه وارد مرقومده دسیسه اولان ایکی قبیله
عنیزه وحربیه وسائر متفقه قبیله لرینک نجرانده وسعودیلرله حرکت تصمیمنه مبنی عبدالله ابن سعود رئیسلرین
سواری وهجانه وغیره ایله ورود ایدوب قراهای مذکورانه امداد واعانت وصدورلرینه کمال متانت ویردیکندن
عسکر معیت مخلصیه تجمیع وتجهیزلرینه کلوب اظهار مصافتلرینه قبائل عربانک جبال [illegible] نسبت [illegible]
دوز بیابان سرقت طریقیله اولسون مضطرب ایتکله حضار اولمش ایسه ده مدافعه لرینه رفتار اولنه رق جاه مضرارک
ظهور ایدوکی طرفلرده جابجا کونا [illegible] منقطع اولمیوب اکرچه ورود امدادلرینه انتظار ایتکده ایدوک
قبیله لرک [illegible] سببیه اولمیه رق ادعای باطله [illegible] نتیجه پذیر اولمیوب نهایت الامرده شیخلرینه
[illegible] اوله جنابک دولت وجرم ایتکده سالک اولدقلری راه بغاوت وعنادک خطا [illegible]
اولدیغینک فهم وادراک ایله جرم کذشته لرینک عفوینه بونلر بو وجهله [illegible] مسعود الحالی
[illegible] بالاستیذان اردوی مخلصلرینه اوچ ساعت مسافه ده نام برکوجک [illegible]
نزول وبوخصوصک تحقیق ایچون چند نفر رسوللری طرف احقر عاکارییه ورود ایتکله بالاجتماع تحریرک
اولنان مکاتیباته [illegible] نظر رسوللرینک تقریرلری اطلاعکز موروده اولدقده واقعا [illegible] بونلرک
ارتکاب ایدوکی بعض شناعت وحرکات ناهمواره دن کلیا متجنب اولوب بعد ازین [illegible]
عربانلرک غیره [illegible] دخل وتعرض ایتمیوب [illegible] ورعایا [illegible]

الوثيقة ١٩٦٣٠

تا جدّه‌یه متشکل اولوب نام بنام محمد و اینارک محافظ شابرده قرائت و سرمو طریق صلح و اطاعتدن

انحراف کوسترمیوب محرمه نجد شیخ شریف کلمات و تلفظ و صاحبت کلیّا السنه عربانده شیوع بولمش

هرنکه امر پادشاهی صدور ونه خدمته مأمور اولور ایسه تجویز قصور ایتمیوب بذل وسع مقدور ایده‌جکی

شعور و بو وجهله عهد و میثاق ایتملک اوزره ایکی هزینه‌دار ولی النعمای سعادتلو اعلاغابنرلری تکرمیت

مخصوصه‌لری مأمور دیکر اردوی مشیر بریله اشبو ماه رجب شریفک یکرمی ایکنجی کونی طرف مخلصی‌یه کلمکی

اولمشیدی انجق شیخ مرقوم عبدالله ابن سعود و جمیع قرنداشلری و وجوه تبعه‌لری بوصورتله طاعت رقبه عبودیت

تمنی ایله معموریتی بحر زخار مرحمت شاهانه‌دن نیاز ایتمشلر ایکن تا دریاله تکرار مخاربه‌یه مبادرت اولنمق لوازم حکمیه

نهایت برهفته اداره ایده‌جک موجود ذخیره‌مز اولمدیغی جهتله دورمیوب برطرفه فرار ایتدیکده ...

اله کچوب ... محافظه ... تعبیر اولنمق ممکن اولمدیغی ملاحظه‌سیله فرصت فوت اولنمق

ایچون نیازلرینه روی مساعده کوسترلرک معتبر عبارتلرنده عبدالعزیز ابن محمد و عبدالله ابن ... نام کیمسنه‌لری

رهین ... مخلصی جانب ... برسنه اقامت و ... تکمیل برلرینه ... اوزره

بونلره رخصت ویرلمک اوزره ... ذکر اولنان شروط و ایجاباتی تأکید ایله طرف دولت علیه‌دن

عفو اولنمقلری خصوصنی نیاز ایتدکلرینه بناءً علیه ... ذخائرمز ... اولدقده بو طرفدن

حرکت و مدینه منوره‌یه واصل اولدقده ذکر اولنان ... موجب ... ارسال قلنه‌جغی و بعضا

رعیه مصلحتی بو وجهله سهولت کسب ایلدیکندن فیما بعد هر نه زمان مراد اولنسه قهر و تدمیری الله کیدلمسی

جناب مسهل الامور دن مأمول و مستدعای خالصانم ایدوکی بیانیله عریضه خالصانم ایصاله مبادرت

قلندی بنه ... منظور کرامیلری بیورلدقده خصوص مذکوره ... لوازم ... همت

ابقا و اسعاده همت عنایتلری تمنیسی ثنا و ادعیه مأمول خالصانه‌در افندم

19630

الصداقة والولاء ، فكان يغتصب جمــالهم وأغنامهم تارة ليلاً وأخرى نهاراً ...
وقد بذلنا كثيراً من الجهد والعنــاية في الدفاع عن هؤلاء ، وبقيت المناوشات مستمرة بيننا لهذه الغــاية مدة تتجاوز الشهر ولا تزال حتى الآن غير منقطعة .
وإذا كنـــا لم نتمكن حتى اليوم من الاستيلاء على تلك القرى ، بانتظار ورود الإمدادات فإن مزاعمه ودعاواه (يعني الإمام عبدالله) سوف تظل مجرد أوهام، وسيكون آخر الأمر طعماً للحسام « الشاهنشاهي » هو وجماعته (!!..)

ومهما يكن الأمر ، فقد عرف (عبد الله) أن سلوك طريق العناد .. خطأ وغلط ، فندم على ما فات وطلب العفو عن « أعماله » وأن يصبح بعد الآن معدوداً من رعايا الحضرة السلطانية ، ولذلك استأذن عبدكم في النزول مع بعض الأفراد في مزرعة صغيرة تبعـــد مقدار ثلاث ساعات من مخيمات جيش عبدكم ، وأرسل نفراً من أتباعه الينا يلتمس « المصالحة »، وبعد إنعام النظر في مراسلاته التحريرية ومكاتباته والاطلاع على ما كان يقرره مبعوثوه رأينا ، في الواقع ، انه (أي الإمام عبد الله) عزم – بعد وفاة والده – على اتخاذ موقف الحياد وعدم التعرض بوجه من الوجوه لأية قبائل او عربان ، ما عدا عربان الدرعية، وأعلن قبوله بأن تصبح البلاد كلها مستظلة بظل الدولة العلية وتحت جناح عدالتها، رافعةً لواء الطاعة والخضوع ، وأن يذكر دوماً اسم الذات العلية الشاهانية في كافة المحافل والمنابر والقراءات والأدعية ، وأن يتمسك بهذه الطريقة في المستقبل فلا ينحرف عنها وإنما يلتزم جادة الصلاح والطاعة فلا تدور على الألسنة أية كلمات خلاف تلك التي نصّ عليها الشرع الشريف والقرآن الحكيم وأن تترك تماماً تلك الألفاظ والعبارات التي يتلفظ بهــا بعض العربان متحدّين بها المخالفين لهم ...
وقد تعهّد ببذل مساعيه الجدّية في سبيل تنفيذ الأوامر العلية السلطانية والقيام بما تأمر به من خدمات دون أي إهمال أو تقصير .

وبينما كان (عبد الله بن سعود) على وشك إبرام هذا العهد والميثاق (خلال وجود صاحب السعادة خزندار ولي النعم خادمكم أحمد أفندي بمعيتنا ومعه بقية مشيري الجيش وذلك في اليوم الثــالث والعشرين من شهر رجب الشريف) وفي

حين كنا بانتظار حضوره ورفاقه لطرفنا من أجل الغاية المذكورة والتماس العفو من بحر مراحم الذات العلية الشاهانية الزاخر ، وإذ بنـا نسمع انه سيعود إلى حركاته التمردية .. فإذا حدث هذا ولزم « قتاله » ، فان مـا هو موجود لدينا من ذخيرة لا يكفي في حالة استئناف الحرب لأكثر من اسبوع على الأكثر ، وفي حالة هربه إلى جهات اخرى فانه سوف لا يكون بالإمكان القبض عليه وأخذه باليد أو الاحتفاظ بالقرى البعيدة بالنظر إلى وضعنا الحاضر ، ولذلك نرى ونلتمس الموافقة على استمرارنا في إظهار رغبتنا في مصالحته استجابة لطلبه ، وأن يبقى الشخصان الموجودان لدينا وهما المدعوان عبد العزيز بن حمد وعبد الله بن بنيـان وهما من العلمـاء المعتبرين ، رهينة لدى دولتكم ومأمورين بالإقامة لمدة سنة واحدة ، ومتى انقضت السنة يحل محلهما آخرون كرهـائن ويرخص لهما بالعودة إلى موطنهما . ولما يتأكد أمر التزامهم بالشروط السالفة الذكر ويتوطد إيمانهم الحق ويؤكدون طاعتهم للذات العلية الهمايونية يطلق سراحهم ويتم العفو عنهم .

وجملة القول إننا مصممون ، بعد الحصول على ذخيرة كافية لمدة عشرة أيام ، على مبارحة هذا المكان متجهين إلى المدينة المنورة وفور وصولنا نبادر بإرسال الشخصين المذكورين إلى دولتكم ليبقيـا كرهينة وبعناية الله ستصبح مصلحة الدرعية أكثر سهولة ، وتدبير أمر أخذهم والقبض عليهم أكثر يسراً على هـذه الصورة ، وإننا لندعو حضرة الباري مسهل الأمور ونلتمس عنايته لمساعدتنا على إحكام التدابير اللازمة لقهر المتمردين إذ أن هذا هو غاية الأمل والقصد ! وإننا نرجو أن تحظى عريضتنا هذه بأنظار دولتكم الكريمة ، وأن تتفضلوا بإصدار أوامركم العالية وما ترونه بهذا الصدد ليقوم خادمكم بتنفيذ مقتضيات رغبات دولتكم السامية ونحن لا زلنا على الدوام مفتقرين لفيض توجهاتكم وملتمسين دوام رعايتكم وعنايتكم أفندم .

خاتم طوسون أحمد باشا ٢٣٠ ٢٧

الوثيقة الثالثة

حصار الرس .. وسبب التراجع عنه

كما يروي ابراهيم باشا وقائعه
في رسالة إلى والده محمد علي

(كتب هـــذه الرسالة ابراهيم باشا الى والده ، فأرسلها والده الى السلطان العثماني في استانبول للاطلاع عليها)

— ترجمة الرسالة —

حضرة صاحب الدولة والعناية والمرحمة سبب فيض الوجود ولي نعمتي أفندم.

إن عبد الله بن سعود موجود في قرية تدعى عنيزة من قرى وادي القصيم [1] وهو ساعٍ لتقوية تلك الأطراف ولجمع العربان حول شخصه ، ولما كان الأمر كذلك فإن إقامتنا بهذه الأطراف لم تعد واردة ، بل يقتضي دخولنا إلى قرى وأراضي القصيم وقد حوّلنا بعد الإتكال على الله مركز الجيش، الذي كنا شيدناه

---

(١) جاء اسم القصيم في الأصل هكذا : وادي قسيم ... واسم عنيزة هكذا : عنزة !!

[illegible]

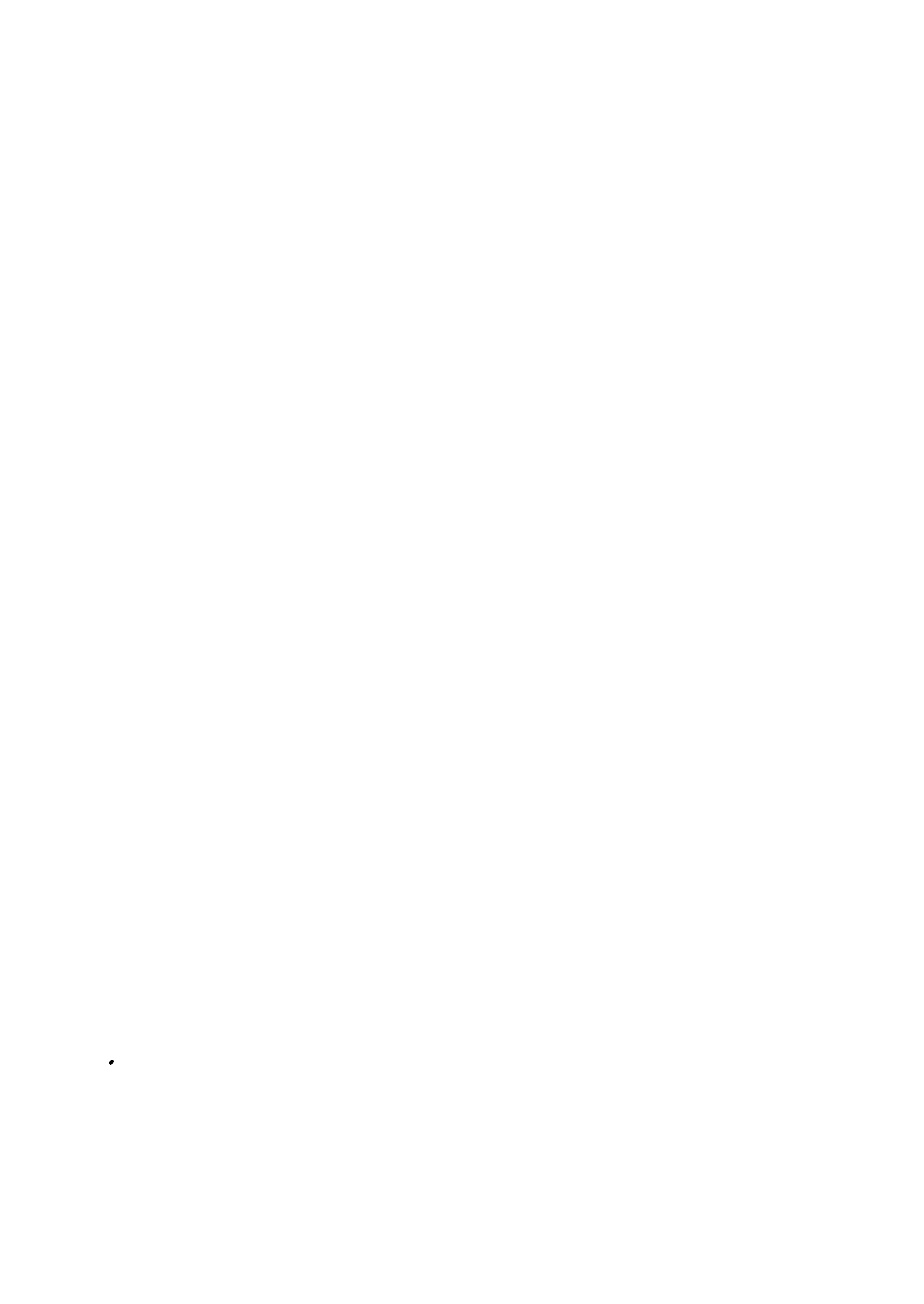
— أصل الوثيقة الثالثة التركي —

على بعد ثلاث مراحل (قوناقات) ، من الحناكية في اليوم الخامس عشر من شهر شعبان الشريف وتحركنا صوب قلعة الرس الكائنة في الوادي المذكور وقد قُدر لنا أن نصل إلى مقربة من تلك القلعة وجعلناها هدفاً للمدافع مدة خمسة أيام ، وضربنا حصاراً على القلعة المذكورة وهدمنا ثلاثة من أبراجهـــا ، وقسماً من جدرانها ، وأمرنا فصائل المشاة بالهجوم عند الصباح ، وضبطنا أحد الأبراج التي جرى هدمها إلا أن (المقاتلين) الموجودين داخل القلعة كانوا قد جمعوا تحت البرج المذكور أغصان النخيل وأحرقوها ، مما أدّى إلى مضايقة العساكر المشاة الذين احتلوا البرج فحولناهم حالاً إلى الخندق الخارجي وأدخلناهم فيه وهكذا أنقذناهم من هــذا الكرب . وأما المائة والخمسون جندياً الذين كانوا داخل الخندق فلم يخرجوا منه ، بل عادوا إلى المتاريس ، واستمرت المعركة .. فاستشهد أثناء هذه المحاربة نحو أربعين نفراً وجرح ستون أيضاً .

وإذا كنا لحكمة الله تعالى لم نوّفق هذه المرة لاحتلال القلعة وجعلها بأيدينا فإننا بعد ذلك ركزنا المتاريس على خندق القلعة المذكورة عن طريق (قات) ، وبعد أن جرى تنبيه مجموع العساكر المشاة وإخلاء الخندق المذكور رتبنا أمر الزحف والهجوم مرة أخرى وبينما كنا نؤمل دخول القلعة وإذا بابن سعود المدعو (عبد الله) يخرج من عنيزة محل إقامته الواقع على بعد يوم ونصف من قلعة الرس ومعه عدد كبير من الخيالة والهجانة والمشاة والعربان ... فيرسل قسماً كبيراً من هؤلاء ... إلى قرية تدعى حابرة . وبما أنه يوجد في قرية خربة بالقرب من حابرة كمية زائدة من التبن والقش كنت أرسل يومياً أربعين نفراً من الخيالة لحراسة الجمال ولجلب التبن غير أن (النجديين) المذكورين الذين حضروا إلى قرية حابرة كانوا يقصدون الإغارة على قواتنا ونهب جمالنا وبوصول تلك القوة المؤلفة من أربعين نفراً ترافق الجمال شرعوا بالهجوم عليهم . وحالما علمنا بما وقع تركنا أمر الزحف على القلعة ، وبعد أخذ عدد من الخيالة وصلت لامدادهم .. وبوصولي كان قسم من النجديين المنهزمين يستعدون للهرب فقطعنا عليهم الطريق لمنعهم من الخلاص وحملنا عليهم فقتل مائة وخمسون من أفراد مشاتهم وجرح

عدد من خيالتهم أيضاً . وبقية السيوف ارتدوا إلى الوراء وانهزموا . واستشهد منا أيضاً بعض الخيالة وجرح بعضهم ، وعدنا في اليوم المذكور نفسه دون تتبع (النجديين) ووصلنا إلى مراكز الجيش الكائنة بالقرب من القلعة وشرعنا حالاً بالحصار . وبما أن هذه القلعة مبنية بالحجارة الصغيرة والتراب وهي على درجة عاليـة من المتانة والتركيز وكل من جدران أبراجها ذو ثلاث طبقات ولذلك فانه ما لم تضرب كل طبقة منها بخمسين أو ستين قذيفة مدفع لا يمكن هدمها ، وقد تجمع داخلها عدد كبير من العربان ، إلا أنني بفضل عناية وعون الله القدير وبحسن توجه حضرة صاحب الشوكة والقدرة والمهابة مليكنا وأفندينا وببركات دعائكم الأبوي آمل أن أُوفق لفتحها وتسخيرها وسأوافيكم إن شاء الله ببشائر عودتي مظفراً منصوراً بحمد الله تعالى من المحاربة المذكورة . وللتشرف بعرض ما تقدم حررت هذه العريضة ورفعتها إلى مقامكم العالي مع عبدكم عثمان آغا أحد الأغوات الذي تسلمها باليد . وقد سبق شريف علمكم بالأحوال السائرة وما بقي من الأمور وذلك من كتاب هذا العاجز ومن تقارير خدامكم رجالي الذين عرضوا على دولتكم التفصيلات الواضحة ، وإنني بحاجة دوماً إلى حسن توجه الحضرة الأبوية وإلى دعوات ولي النعم الخيرية ، وعلى كل حال فإن الأمر لمن له الأمر أفندم .

خاتم ابراهيم باشا ٢٣٢ ٢٠



الوثيقة الرابعة

رسالة ابراهيم باشا الى أبيه محمد علي باشا عن بدء معارك الدرعية

نشر هذه الرسالة الاستاذ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، في كتابه : « الدولة السعودية الاولى » ، وهو يقول إنها (ترجمة مكاتبة واردة بتاريخ ٢٥ جمادى الاولى ١٢٣٣ هـ. — ٢ ابريل ١٨١٨ م. ومختومة بخاتم ابراهيم باشا ، ومحفوظة في المحفظة الخامسة (بحربرا) تحت رقم ١٨٧) في دار الوثائق القومية التاريخية بعابدين — القاهرة .

.. ومن المعروف أن أسرة محمد علي كان يتخاطب أفرادها باللسان التركي .. مع دعوتهم .. إلى الوحدة العربية ! ولم ينشر المؤلف أصل الرسالة التركي .. ويلاحظ ضعف الترجمة ..

— ترجمة الرسالة —

حضرة صاحب الدولة والرحمة والمروءة مولاي ولي نعمتي وسلطاني .

إن معروض عبدكم المستديم أنه قد تيسر لنا الوصول بمشيئة الله تعالى إلى الدرعية بتاريخ غرة شهر جمادى الأولى هذا ، ونصبنا الخيام في مسافة ساعة ونصف ساعة من الدرعية ، وتحركنا من المحل المذكور أيضاً في اليوم الرابع من

الشهر المذكور وفي أثناء وصولنا وحفر المتاريس (الخنادق) في موضع مقابل لمتاريس عبد الله بن سعود الواقعة بمسافة نصف ساعة من الدرعية ، إذ ابتدر (عبدالله...) بإطلاق مدافعه الثمانية أو العشرة بدون توقف وانقطاع ، ولكن مع دوام الحرب بالمدافع في اليوم المذكور جرى اللازم أيضاً من جهة أخرى نحو إقامة المتاريس وتقوية الجبال يميناً ويساراً ، وبمـا أن الدرعية كائنة بين جبلين فوزع وقسّم المذكور الوهابيين الذين يزيد عددهم على الثلاثة آلاف على الجبال وأطراف مضيق الدرعية وفي داخل الحدائق المختلفة ، وبقية أعونه في داخل الاسوار والأبراج ، وقوى متاريسه تقوية جدية على وجه لا تنفذ فيها القذائف (المرميات) .

فبعد إقامتنا خمسة أيام على هذه الحالة، وإعطاؤنا المتانة اللازمة إلى متاريسنا وطوابي مدافعنا نحن أيضاً ، قد هجمنا على متاريس الوهابيين الواقعة في جهة الشمال وأخذناها من يدهم، واضطررناهم إلى الفرار نحو متاريسهم الثانية، ومع الاستمرار في القتـــال في المحل الذي أخذناه مقدار ساعتين قد عملنا متاريس وطوابي للمدافع ومكثنا فيه بضعة أيام ، وبعد تقوية المحل المذكور أيضاً قـد هجم فرساننا من جهة وخدامكم عساكر المشاة من جهة أخرى على أتباعه الموجودين في جهة الجبل اليمنى وأُخرجوا من متاريسهم وقتل وأعدم مقـدار مائة وخمسين منهم وجرح ما فوق المائتين ، وحيث أن بقية السيوف التجأت إلى المتاريس التي ورائها القريبة من القلعة الأصلية المهدومة فوضع خدامكم جنود الموحدين في المحل المحتل وجرى إعمال الطوابي المتينة للمدافع أيضاً وأقمنا بضعة أيام أعطينا في بجرهـــا المتانة الى المحلات اللازمة ، وهدمنا أحد أبراج قلعته وجزءاً من اسواره بالمدافع وقد نبهت على عبدكم (بهرام) بالهجوم على الأبراج المهدومة ، ونحن على وشك الدخول في الأبراج المذكورة والإستيلاء عليها بعون الله وعنايته وبهمة مولاي والي النعم السامية ، إذ الوهابيون الموجودون في جهة شمالنا خرجوا من متاريسهم وهجموا على متاريسنا ، ولكن انهزموا بنصرة الله الملك المستعان ، وعندما رأيت ، عبدكم ، تشتتهم وانهزامهم ، أخرجت

جميع خدامكم الفرسان والمشاة من متاريسنا الكائنة في اليمين وفي الشمال وفي مضيق الدرعية ، وهجمنا على متاريسهم وطابية مدافعهم ودخلنا مع الأشقياء المقهورين في داخل الاسوار والأبراج مندمجاً لبعض ، واستولينا على المحلات الواقعة في مسافة مرمى مدفع إلى بلادهم الأصلية ، وغنمنا أربعة أعداد من المدافع الصفر (النحاس الأصفر) التي كانوا أخذوها في السنوات السابقة ، ومحونا أربعمائة نفر من الوهابيين ، وقويت أيضاً المحلات التي استوليت عليها ، وإنه صمم إرسال أحد خدامكم الى أعتاب ولي النعم ببشارة فتح وتسخير الدرعية هذه ، إلا أنه اكتفي الآن برجاء عدم انشغال أفكاركم في هذه المسألة حيث أنها ستنتهي بدون شك طبق رغباتكم .

وإن عدد الوهابيين الذين قُتلوا وفرُّوا في هذه الحروب يبلغ ألفين .

وحيث ان رجوع عبدكم إلى المدينة المنورة بعد ختام هذه المسألة أو إقامتي في هذه الجهات ليست معلومة عندي ، فألتمس التكرم بإشعار ذلك لاتباع إرادتكم السامية التي ستصدر بهذا الشأن ، وإني لا أحتاج الآن إلى الذخائر والمهمات من اللوازم الحربية ولا ضيق لدينا بخصوص النقود أيضاً ، ولكن لا بد من إرسالها للزومها بعد الآن ، على كلتا حالتي الإقامة والعودة .

وقد توفي إلى رحمة الله تعالى عبدكم (أحمد آغا أبو شنب) من قواد ولي النعم في أثناء الحروب ، قبل اثني عشر يوماً من تاريخ عريضة عبدكم هذه ، ليُطِل المولى عز وجل عمر مولانا ولي النعم .

وإنه حضر أيضاً عبدكم الحاج (علي آغا الدرملي) قبل ثلاثة أيام من التاريخ المذكور إلى طرف عبدكم وقد أطلعت عبدكم على مآل ومفهوم مكاتبتكم الكريمة السامية التي صار التكرم بارسالها ، وحيث ان سروري وحبوري الذي تولّد من حسن أنظار دولتكم ومحاسن آثار فخامتكم بلغ درجة الكمال فكررت أدعية دوام عمركم ودولتكم التي هي فريضة ذمة عبدكم وقد حررت عريضة عبدكم هذه ببيان أنه صار إرسال ثلاثين عدداً من أوراق المكاتبات

البيض التي أمر بإبعاثها في مثل أوامركم العلية وسياق الإفادات الاخرى وأرسلت وقدمت إلى أعتاب ولي النعم التي تقضي الحاجات بمعرفة عبدكم ابراهيم نجل شيخ (الهلالية) ، من قرى القصيم ، فإن شاء الله تعالى لدى شرف الحصول والتفضل باطلاع دولتكم على كيفية الأحوال والأخبار السارة فالأمر والفرمان من مولاي صاحب الدولة والرحمة ولي نعمتي .

٢٥ جمادى الاولى ١٢٣٣ هـ. — ٢ ابريل ١٨١٨ م.

ختم : سلام علي ابراهيم

الوثيقة الخامسة

كتاب ابراهيم باشا الى أبيه
عن معارك الدرعية وحريق مستودع الذخائر

ـ ترجمة الرسالة ـ

حضرة صاحب الدولة والعطوفة والجلادة والرأفـة الزائدة والدي المكرم ولي النعم أفندينا .

بفضل توجيهات الحضرة العلية السلطانية وهمـة ولي النعم الوزارية وكما سبق أن عرضنا تفصيلاً في حينه ، فإن الحالة العامة يمكن أن توضح كالآتي :

لقد جرى أخذ وضبط ما وجد بين بساتين نخيل الدرعية الواقعة في سهول الدرعية نفسها من ذخائر وغيرهـا عقب الاشتباكات الواقعة . وقد كان لحق بفريق الشهداء عدد من ضباطنا الكبار والصغار والرتباء وأفراد العساكر المشاة والخيالة خلال الحروب الأولية ،كما قتل وأعدم عدد كبير من طائفة (النجديين) .. وبقي عبد الله وجمـاعته ... محصورين ضمن الدرعية . وكما عرضنا سابقاً فإن النفقات كثيرة والموجود لدينا من النقود والذخيرة قليل ومعرَّض للنفاد . وقد أقمنا متاريس جديدة مقابل متاريس الدرعية القديمة وباشرنا بتعزيز الحصار الشديد عليها .

[illegible]

— صورة الوثيقة الخامسة التركية —

إن هـذه الحرب الجارية بصورة مستمرة في الدرعية هي كما شوهد وتحقق أصعب وأمرّ من أية حروب مضت وأمر تسهيلها منوط بإرادة الباري ، وقـد سبق عرض ذلك تفصيلاً لحضرتكم العلية .

وتبعاً لمقتضيات مأموريتي أنا خادمكم ، فإني لا أنظر الى قـلة الموجود من النقود ولكنني أجتهـــد بأن أبحث بأية جهة كانت عن وسائل الترفيه وحسن الإشراف على العساكر الشاهانية الموجودة بمعية خادمكم وتأمين كل مـا يقتضى لهم من نفقات ولوازم ، كما انني صرفت النظر عن تأمين راحتي وكل جهودي موجهة نحو تشديد الحصار ومحاربة جماعة (النجديين) الذين يخرجون بين وقت وآخر من وراء السور ، وإننـا نبذل مزيد الاهتمام لتنفيذ إرادة الحضرة العلية الشاهانية . ولقد مضى على ضرب الحصار أربعة وثمانون يوماً وظهر جلياً إمكان قرب دفع هذه الغائلة ، إلا أن هـذه الطائفة ... التي ما برحت منذ سبعين او ثمانين سنة مستمرة في ... ، قد لقيت الخراب في أصولها وفروعها . وإن أمر جعل كافة أفرادها ومن تبعها دفيناً في التراب ، وهـدم كل مأوى لهم واندثاره مرهون بالإرادة والجلوة الإلهية والحكم الصمدانية الخفية .

وتنفيذاً للخطة المرسومة فقد تقدم يوم الخامس عشر من شهر شعبان المكرم بيكباشي ولي النعم الحاج داود آغا ومعه دشوان آغا الدليل باشي وخلق كثير من دائرة خادمكم مستصحبين مقداراً معلوماً من الخيـــالة وأنا عبدكم معهم وهاجمنا قرية (ارجه)[1] الواقعة في سهل الدرعية لتأمين فتحها وتسخيرها ، وقد اغتنم ... عبـــد الله فرصة انفصالنا عن الجيش فبـادر هو ومعه نفر كبير من المشاة والخيـــالة بالخروج من السور والهجوم على متاريسنا ، غير انه بهذه الأثناء تدخّل وكيلنا الموجود هنـاك وهو سلحدارنا عبدكم اسماعيل آغا الموكل أثناء غيابي بالإضافة الى من في معيته من الخيـالة ، وعمل على صدّ الهجوم وردّ

---

(١) هكذا وردت في الأصل التركي ، والصواب : (عوقة) .

المهاجمين على أعقابهم ، وبقوة حسن طالع حضرة الذات العلية الملوكانية أُعيد عبد الله مغلوباً الى مكانه السابق ، وقد جرح في هذه المعركة من جانبنا التوتونجي باشي (أي رئيس حجاب الدخان) محمد آغا ورئيس حجاب القهوة أحمد آغا ومأمور الجبخانة (الذخيرة) خاصتنا علي آغا وجرح بيكباشية حضرة ولي النعم بازار جقلي اسماعيل آغا أيضاً مرة أخرى كما التحق بيكباشي ولي النعم الآخر بهرام آغا بزمرة الشهداء وقتل ودفن عدد وافر من (النجديين) في هذه الحرب وجرح عدد كبير آخر منهم .

وبما أنه في اليوم الثامن عشر من الشهر المذكور نفسه وقعت شرارة من النار على أدواتنا السفرية ومهماتنا الحربية وكل ما هو موجود وغير موجود منها فاشتعلت وتلفت جميعها ولحقت بنا خسارة فادحة وعدا عن ذلك فقد فُقدَ أو تلاشى مأمور الجبخانة ومأمور العربات وبعض أفرادنا وبعض المرضى الذين كانوا في حالتي النزاع والإستراحة .

إن هذه الكارثة قد يكون اتخذها العصاة وسيلة للتشفي وموجبة لرضا (النجديين) وسرورهم الوهمي. سارعنا عقب ذلك لتنظيم واستعراض الموجود من أفراد الخيالة والمشاة الذين ظلوا محتفظين بأسلحتهم وذخيرتهم سالمة ونبهناهم بالتزام الحذر والدقة في الحراسة والسهر ، ثم جمعنا عدداً من الجمال والهجانة وأوفدنا الجميع إلى قلعة عنيزة والى المدينة المنورة لنقل ما هو موجود بها من الذخيرة الاحتياطية والمهمات واللوازم وإحضارها بسرعة وكانت هذه الشؤون مدار اهتمامنا الزائد ومضاعفة الجهود زيادة عن السابق لدفع (الكارثة) والأخطار مؤملين بنصر من الله تعالى ومستعملين كافة ما لدينا من وسائل راجين الطاف وكرم الله العلي القدير .

هذا وبعد أن تحركت أنا خادمكم من المدينة المنورة ما برحت كافة الأدوات والذخائر والجبخانة وما يتبع ذلك من المهمات الحربية التي وصلتنا لتستعمل منذ مدة سنة سواء في حصار قلعة (الرس) أو في أكثر الحروب التي دارت منذ ذلك الحين وفي المسيرات التي حدثت على القلاع والاسوار وصرف المقدار الكبير

والشيء الكثير ، ولذلك ولمناسبة تلف مـا بقي لدينا من الذخائر على الوجه المشروح بأعلاه فإنه من الضروري أن ترسل لنا الكميات الوافرة من الجبخانة والبارود والفشك (الرصاص) واللوازم مع كافة أنواع المهمات الحربية بكميات وافرة وبسرعة وعجلة فائقة وأن يتقدم أمركم العالي واهتمام دولتكم الزائد بذلك.

ومع أنه كان قد وصلنا ما تفضلتم بإرساله مقدماً مع جوقدارنا (قـائد الجوقة) وهو مائتا ألف جندروز فرنسي (قد يكون الجندروز وحدة تمثل كمية عددية من الرصاص والذخيرة) ومع أنه حمل الينا نقوداً .. فإن كثرة النفقات والمصاريف قد عادت فأوقعتنا بحرج من جهة النقود،ولذلك فإن إرسال خزينة (نقود) أيضاً من شأنه أن ينقذنا من السكتة (يقصد الازمة) ، وإننا نلتمس الامداد والمعونة الدائمة من ذات ولي النعم .

ولما كانت بعض الأدوات ترد متفرقة على صورة لا تفي بالحاجـة الملحة الراهنة في حينها لأنها كانت مفردة (أي واحدة اثر واحدة) وبكمية غير كافية لمن هو موجود من المعية والعساكر،فإذا اقتضت الحال ولزم إجراء حصار او زحف فإنه بوجود ما يلزم من إمدادات يكون النجاح متيسراً وتحصل المنفعة العظيمة المنشودة. وبناء على ذلك فإننا أيضاً نرجو إرسال ثلاثة او أربعة من البيكباشية لتأمين حسن المظهر ، وإن ما بقي من امور وشؤون يمكن أن يقررها ويعرضها على دولة سيدي ولي النعم عبدكم حامل العريضة أحمد جاويش .

واننا لنلتمس بصورة خاصة دوام دعوات ولي النعم الخيرية سريعة التأثير ، ومع تمنياتنا المتواضعة بأن نكون مشمولين بالعناية العلية. وستكون الامور التي وردت بتقريرنا هذا الذي نرجو أن يحظى بشرف الوصول قرينـة علم ورضاء دولتكم إن شاء الله تعالى ، ويكون من وراء ذلك شمولنا بلطف وكرم حضرة أفندينا ولي النعم ، وله الأمر .

١٩ ... [١] ١٢٣٣ هـ . خاتم ابراهيم

---

(١) اسم الشهر غير واضح في الأصل ، ولعله شعبان .

الوثيقة السادسة

كتاب ابراهيم باشا الى أبيه
عن استئناف الهجوم على متاريس الدرعية

ـ والكتاب مؤرخ في ٩ ذي الحجة ١٢٣٣ هـ . ـ

ـ ترجمة الرسالة ـ

حضرة صاحب الدولة والعناية ومزيد العطوفة والدي ولي النعم أفندم .

كما سبق أن تشرفت فأوضحت لحضرة زاهر الشرف ولي النعمة بتحارير عديدة أرسلتها على دفعات فقد بوشر منذ اليوم الخامس والعشرين من جمادي الأولى بالعمل على التنكيل بأهل الضلال وضرب بمجموعة (الثائرين) .. وعلى رأسهم .. (عبد الله) ، المقيم بالدرعية وجماعته المناصرين له وانتزاع الدرعية وما جاورها من أيديهم وتسخيرها .

إن هذا كله من اقتضاء مأموريتي التي أعمل من أجل انفادها ليل نهار اطاعة وتنفيذاً للإرادة الملوكانية العالية باذلين الجهود والمقدرة من أجل ذلك . وانني منذ خمسة أشهر ونصف مضت على وجودي هنا ومن معيتي من العساكر المنصورة نجتهد بقوة لقطع عروق واجتثاث جذور (الثائرين)،وانه لا يمكن أن يحدث أي

19579

— أصل الوثيقة السادسة التركي —

قصور بهذا الصدد كما هو مؤكد ومعلوم لدى دولتكم . وفي الخامس من هـذا الشهر ذي القعدة شرعنا بالتطويق والهجوم على هؤلاء... الذين شيّدوا المتاريس والطابيات (التحصينات) ، وباشرنا اعتماداً على فضل وكرم الباري سبحانه وعلى مساندة حضرة النبي الأكرم وقوة بخت وحظوظ حضرة الذات العليـة الهمايونية وبادرنا جميعاً مع المشاة وعلى صورة خفية لتنظيم الهجوم وقبل أن ينبلج الصباح بساعتين حملنا عليهم من جميع الأطراف ومن الجهات الأربع ، وبنتيجة حسن اجتهاد وجهاد ومساعي الرؤساء والقادة الموجودين في معيتنا والذين أُمروا أن يفتحوا النار من الجناح الأيمن ، وأفراد الجيش الذين عملوا بغيرة ونشاط زائدين أمكن نوال النصر والظفر واستولوا على التحصينات واحتلوا وضبطوا كافة المتاريس التي هاجموهـا ، ولما شاهد ذلك من كان في الوسط من الجنود والعساكر حصل لديهم الشوق الزائد وهتفوا بشدة وحملوا دفعة واحدة من كل الأطراف وشمروا للحرب والقتال بغيرة وبأس والحمد لله ثم الحمد لله انتزعوا كافة المتاريس الأخرى والتحصينات الموجودة بأيـدي هؤلاء ... وقبض على كثيرين منهم .

وكان ابن ... عبد الله الذي اشتهر باسم « سعد » متحصناً في قلعـة متينة محكمة واقعة باتصال قرية تدعى باسم « علوي الباطن » ومعه خمسمائة من الثائرين متحصنين وعلى استعداد للتضحية والفداء مدفوعين بعامل الخوف والوجل .. قاموا جميعاً خلال أربع وعشرين ساعة بالحرب والقتـال واستمرّت المعركة بينما كانت نار الحرب مستعرة أيضاً ومشتدة في الجناح الشمالي إذ كان لا يزال في يـد (الثائرين) بعض التحصينات والمتاريس . وفي صباح اليوم التالي وقبل الفجر بساعة أمرنا بالتجمع وبالهجوم بقلب واحد ونفس متحمسة وعدنا للقتال بشدة ، وبعون وعناية الباري سبحانه وتعـالى وبقوة وكرامة حضرة أفندينا صاحب الشوكة انتصرنا أيضاً على هؤلاء جميعاً وتيسّر لنا الظفر وانتزاع حتى ما هو موجود بأيديهم في قلعـة الدرعية نفسها من متاريس وتحصينات وكافة ما بقي من أماكن ، وضبطنا خمساً وعشرين قطعـة من مدافع الطوج ذات

الدواليب العالية مع عدة قطع من المدافع الحديدية ، وجرى الاستيلاء على كافة مواقع الدرعية الباقية ما عدا المدعو (عبد الله) الذي بقي معتصماً ومختبئاً في احد الأماكن بمعونة من معه من (الأنصار)، ومع ذلك فقد حوصر ذلك المكان من الجوانب الأربعة وُشدّد بالتضييق عليه ، وبنصر من الله تعـــالى سيجري القبض على هــذا (...) أيضاً حياً أو ميتاً هذا اليوم او غداً إن شاء الله فتـُدفع غائلته ، وهذا هو المرجو والمؤمّل من الألطاف الإلهية .

وإننا لكي نزف هذه البشرى الجليلة المشرّفة فقد صمّمنا على أن نبعث كاتب خزينتنا عبدكم محمــد أفندي وأن نسلمه تقريراً يحتوي على تفصيل الحالة ونُحيل أمر التعرف على حقيقة ما جرى الى الاطلاع على ذلك التحرير إذ يتضح حينئذٍ ويستبين كل شيء ويظهر للعيان .

على اني ، بالإضافة الى ذلك ، ولما كنت أعلم ان الذات العلية الأبوية تنتظر بفارغ صبر هذه الفتوحات العظيمة وهذه النتيجة المشرفة وتتشوق لهذا الأمر ، سارعتُ فوراً لتحرير هـــذا المكتوب الموجز كمقدمة وسيّرناه مع أحد رتباء معيتنا عبدكم عمر جاويش الى الطرف العالي ، وأرجو أن ينــال شرف الوصول لیدکم الكريمة ويحظى بمنظوركم . وإني ، كما هو معلوم لدى سيدي الوالد صاحب الدولة ، راغب على الدوام بأن أكون مصحوباً بدعواتكم الخيرية ومحـــاسن توجهاتكم الأبوية كما كان وكالعادة مشمولاً بظاهر وكافة أنواع جود مكارمكم وهذا ما أبتغيه وأستدعيه .

٩ ٢٣٣ **خاتم ابراهيم باشا**

الوثيقة السابعة

– ثلاث رسائل –

١ – كتاب ابراهيم باشا الى أبيه

.. يقول فيه إنه تبلغ أمر السلطان بمغادرة نجـــد والعودة إلى المدينة المنورة

٢ – كتاب محمد علي باشا الى السلطان

وفيه يطلب السماح لابنه ابراهيم بمتـابعة الإشراف على نجد .. وربط إدارتها به أو بوالي بغـــداد .. خوفاً من عودة النجديين إلى القتال !

٣ – ملاحظات السلطان العثماني

— صورة القسم الأول من الوثيقة التركية السابعة —

[illegible]

[illegible]

19650

— صورة القسم الثاني من الوثيقة التركية السابعة —

دفع و ازاله‌سی اولنان محاربه‌نك برنجح رابطه‌یه اوغرامالری علت غائیهٔ مطلوبه اولوب
شمدیه دکین برنجه جان و انسان تضا اولنمش و نظام و درجهٔ مصلحه کلمشیکن بریده شوق ارقه
ترك اولنمسی مصلحت مستلزم اولمدیغی و مقصود چاکرانم ایسه شوکتلو قدرتلو مهابتلو عظمتلو جلالتلو
شهنشاه امم ولی نعمتم افندم حضرتلرینك قفور کیتی ستانیلری لوازمنی تکمیل و امور همایونلری ملکانه‌لرینی
ابراز سیجیه ایله رضای عالی اقتضای شاهانه‌لرینی تحصیل ایتمکدن عبارت اولمغله سایه همایون
خسروانه‌ده اولحوالینك دفع محاربه‌یه برحسن صورته ربط و نظمی اراده بیورلدیغی
چاکرلرینه اشعار بیورلمسی لازمهٔ مطلوبه ایسه‌ده و چاکرلرینك جانسپارانه خدمت ایله
تحصیل رضای عالیلرندن غیری برغرضم اولمدیغی جناب حقك معلومی ایدوکی و اولحوالینك
انتظامی صورتی بولدقده مکره اولدیغی مثلو بغداد والیسی عطوفتلو وزیر مکارم سیر
بنده‌لری حضرتلرینه ویاخود بشقه بر بنده‌لرینه احاله بیورلمسی ارادهٔ سنیهٔ شاهانه‌یه
منوط اولان موادن اولدیغی و بو بابده ارادهٔ سنیه صدور و ورود ایدنجیه دکین
معطل اولنوریسه‌ده اولحوالینك سهل الحصول اولمیوب برحسن صورته ربط و نظمی
وجههٔ مضرتك تسدیدی خصوصنه مبادرت ایچون مشارالیه ابراهیم پاشا بنده‌لرینه
طرف چاکرانه‌مدن تنبیه و اخطار اولندیغی افاده‌سیله عریضهٔ چاکری تقدیم حضور
ولی النعمی قلنمشدر ان شاء الله تعالی لدی الشرف الوصول محاط علم عالیلری
بیورلدقده نور اقتداء جیلهٔ ظهور اولان ارادهٔ لزمات افادهٔ شاهانه‌لرینك
صورت سنیه‌سی چاکرلرینه اشعار و حق بنده‌کانه‌ده حسن توجه ولی النعمیلری
سزاوار بیورلمق بابنده امر و فرمان دولتلو عنایتلو عطوفتلو رأفتلو ابهتلو ولی النعم
عالیهم کثیر الطف والکرم افندم سلطانم حضرتلرینکدر ٢٧

19650

— صورة القسم الثالث من الوثيقة التركية السابعة —

- ترجمة الوثيقة السابعة -

١ ـ كتاب ابراهيم باشا الى أبيه

ــ ترجمة الرسالة ــ

حضرة ولي النعم الوالد المكرم صاحب الدولة .

لقد أُضفي على نظام الدرعية بعد الفتح ما يقتضي من الصورة الحسنة وقد أخذت علماً بما قضت به الإرادة السنية بالعودة الى المدينة المنورة ، كما تفهمت مضامين القائمة العلية المفصلة والمشروحة الواردة قبل هذا التاريخ والصحيفة المشعرة بقرب صدور أمر حضرة مقام الصدارة العلية ، والتي بعث بها مظروفة ، كل هذا وما يتعلق به من أشغال وشؤون صار قرين فهم عبدكم . ولكن .. ينبغي تكوين فكرة صحيحة عن نجد .. فقد مضى على ظهور الدعوة ـ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ اثنتان وتسعون سنة وهي مدة طويلة..وقد تمكن رئيس نجد ـ الذي اشتهر بين العرب بلقب الامارة ـ أن يتسلط على بلد بعد بلد هذا الى أنه أصبح وجماعته ذوي علم وخبرة كاملة بالفن الحربي الذي اتقنوه لكثرة ما خاضوا من الحروب والمعارك ، إلا أن قوة الحضرة السلطانية العلية وسمو طالعها قد جعلت هذه الجماعات في حالة بؤس . ومع أنهم أصبحوا كالحفاة المتسكعين .. فإنه لا يزال من الضروري العمل على استئصالهم جملة ، وبتر أكتافهم وأطرافهم لأنها عروق فساد..وإذا لم يجر ذلك فإن غائلتهم تبقى كامنة

كما أنها لا تبقى منحصرة في طرف أو جهة واحدة . وإني بعد عودتي لاحظت أن عدداً من الذين يُدْعون « أمراء ».. يظهرون هنا وهناك، وينشرون الفساد في هذه الجهات، ويحرضون على الفتنة ، فإذا تم لهم ما أرادوا فإن ذلك سيكون باعثاً على تلف المقدار الكبير من الأموال والعساكر،ولن يستطاع التغلب عليهم بعد استفحال خطرهم ، ولا وضع حد لتحركاتهم ..

إن مشاق السفر في هـذه الصحارى والبوادي جعلتني مسلوب الراحة على صورة ظاهرة أكيدة ، ومع ذلك فإنني من أجل تأمين استتباب الأمن وحسن النظام في هذه المناطق اخترت تمديد مدة اقامتي ثلاثة أو أربعة أشهر أيضاً . وبما أنه واضح وجلي بأن تأمين النظام في مثل هـذه النواحي والجهات ذات الخطورة الظاهرة بالنسبة للدولة العلية ، هو من مقتضيات الاخلاص في العمل وتأدية الوظيفة على أكمل وجوهها ، لذلك بادرت بوصف الحالة وتبيانها ، وان شاء الله تعالى (حين تقفون على صورة الحـال والكيفية من النتائج التحقيقية المسرودة في تقرير هذا العاجز خادمكم وحين يكون ذلك موضع علمكم العالي ومشمولاً بالفكرة والرأي الرفيعين) تأمرون بتعيين يوم الحركة، وما دام هناك احتمال بتحديد فترة من الزمن للامعان بالتدبير والروية ، فإنني التمس توجيه الهمم العلية السنية لسرعة إفادتي وإشعاري ملتمساً أن يكون خادمكم العاجز موضع توجه وعناية دولتكم وأبوتكم ذات العطف والرأفة وكل شيء مرهون بإرادة سيدي ولي النعم ، أفندم[1] .

١٣ ٢٣٣ خاتم ابراهيم

---

(١) نشر أصل هذا الكتاب التركي على الصفحة ٢١٥ .

٢ ـ كتاب محمد علي الى السلطان

ـ ترجمة الرسالة ـ

حضرة صاحب الدولة والعنـــاية والعطوفة والرأفة والأبهة ولي النعم عالي الهمم كثير اللطف والكرم مليكي المعظم .

بناءً على الأمر العالي الذي تشرفت بأخذه أنا خادمكم في حينه، لقد جرى فوراً إرسال أمر «فرمان» حضرة ولي النعم ـ المتضمن الإرادة السنية الشاهانية بخصوص عـــدم التقاعس عن المحافظة على الحرمين الشريفين وملاحظة ضرورة تأمين حسن النظام في تلك الأطراف والجهات ـ إلى عبـدكم ابراهيم باشا والي جدة، كما أمر بموجب الإرادة الشريفة بأن لا يتقدم خطوة أخرى إلى أية جهة، بعد انتهاء « مصلحة » الدرعية، وأن يعود إلى المدينة المنورة، ولقد حررت له ورقة بهذا الصدد ورُبطت بذيل الأمر الكريم والفرمان الشاهاني المشار اليه .

وقد وضح من التحرير الوارد الآن من الموما اليه (يعني ابراهيم باشا) ومن التقرير الشفهي الذي سمعته من كاتب الخزينة عبدكم محمد أفندي الذي وصل حاملاً أخبـــار القبض على (عبد الله) .. أنه إذا لم يجرِ القضاء على حركات الأمراء « النجديين » المقيمين بتلك الأطراف (يقصد حوالي الدرعية) ... فإن القبض

على (عبد الله) وتدمير الدرعية فقط ، لا يكفيان لرد غائلة اولئك المتمردين . ولذلك يجب أن يعود (ابراهيم) ليؤمن استقرار العربان وربط أمراء نجد الموجودين بتلك الأطراف بالسلطة وتثبيت خضوعهم ، إذ بدون ذلك تبقى هذه الطائفة العنيفة التي اعتادت منذ مدة وفيرة على مناوأة الحكومة .. متحركة وعاملة على إحداث التشويش دون هوادة أو سكون .. وهذا ظاهر واضح لا يحتاج إلى تأكيد أو برهان . وإن دفع غائلتهم وضبط الأماكن التي بيدهم وإدخالها في حيز التبعية هي الغاية المنشودة والمصلحة تقتضي ذلك . وقد تلف حتى الآن هذا العدد الوافر من الأرواح .. وأصبح تنظيم الامور وشيك الحصول ، ولا يجوز تركهم على هذه الحالة لما يترتب على ذلك من الضرر العظيم.

وإن ما يرمي اليه هذا العبد العاجز هو توطيد نفوذ عالي الشأن حضرة الشاهنشاه ذي العظمة والمهابة ولي النعم أفندينا ومليكنا المعظم ، على الوجه الأتم والأكمل ، وأن أظل مشمولاً بالعناية الملوكانية ... وإذا صدرت الإرادة المطاعة بالعمل على ربط تلك الأماكن والمواقع بنظام وتدبير حسن ، وهو ما تقتضيه المصلحة ، ألتمس الأمر بإشعاري بذلك . وإن قصد هذا العاجز هو بذل الروح في خدمة المليك الأكرم ، والله يعلم أنه لا بغية لي سوى ذلك ، وبعد أن تتم عملية وضع النظام هذه في المواقع والجهات المذكورة إذا رأت الذات العلية السلطانية أن تجعل أمر إدارتها منوطاً بحضرة الوزير سمير المعالي وصاحب المطوفة خادمكم والي بغداد أو تولية شخص آخر من خدم الحضرة السلطانية فلها الأمر والإرادة .

وإلى حين ورود الإرادة السنية الكريمة بذلك ولكي لا يتوقف العمل ويتعطل فإني أنا خادمكم قد نبهت على خادمكم ابراهيم باشا المشار اليه أن لا ينقطع عن المبادرة لتأمين النظام في الأماكن المذكورة وما يمكن أن يحصل من ثغرات وربطها وضبطها على أحسن صورة، وقد سارعت بتقديم عريضتي هذه إلى المقام

العالي ، السلطاني ، ولي النعم ، ولدى شرف وصولها إن شاء الله تعالى وإحاطة العلم العالي بمـــا جاء بها وصدور التوجيه الكريم السامي الصادر عن النورانية السنية والكرامة الشاهنشاهية ، سيحظى خادمكم بالإفادة والأوامر العلية . والأمنية الغالية هي نوال مرضاة وحسن توجيه حضرة سيدي ولي النعم صاحب الدولة والعناية والعطوفة والرأفة والأبهة العالية ... أفندينا المعظم [١] .

٢٧ رجب ٢٣٣ خاتم محمد علي

---

(١) نشر أصل هذا الكتاب على الصفحتين ٢١٦ و ٢١٧ .

٣ ـ ملاحظات السلطان العثماني

وأمره بترك نجد والاحتفاظ بالحرمين فقط

رفع رئيس الوزراء كتابي محمد علي وولده ابراهيم إلى السلطان العثماني، وأخبره بما تم قبل ذلك من مخابرات بينه وبين محمد علي وخلاصتها : وجوب عودة ابراهيم باشا الى المدينة المنورة وعدم الاستمرار في التقدم داخل البلاد العربية ..

وقد كتب السلطان الملاحظات الآتية : وهي في الواقع توكيد لرغبته في ترك النجديين أحراراً في معتقداتهم ، والاحتفاظ بالحرمين ، قال السلطان :

ــ ترجمة الرسالة ــ

إن هذه المراسلات الواردة من والي مصر والتحارير المرسلة إلى المشار اليه من ابراهيم باشا حظيت جميعها باطلاع أنظاري الهمايونية السلطانية العلية . إن ما قلته آنفاً عن وجوب عودة المقدم ابراهيم باشا الى المدينة المنورة بعد أن يكون أتم إنجاز هذه المصلحة وبأن لا يتقدم الى الأمام،لا يعني أن يترك الدرعية

على ما هي عليه فوراً ، بعد تكبده تلك المشاق الكثيرة ، فلا ريب في أنها إما يجب أن تهدم أو اذا كانمن اللازم المحافظة عليها يجب ترك أحد الرجال (القادة) فيها وأخذ المدافع الموجودة أو تركها ، كما يجب ربط هذه القرية بنظام حسن على قدر الإمكان . لقد كان المشار اليه (يعني ابراهيم باشا) حاصر فيما سبق الدرعية وبتلك الاثناء كان استأذن بالرجوع بعد ختام (المصلحة) ! ان قضية المتابعة والذهاب الى سائر الأماكن بعد ضبط الدرعية والعمل على اخضاعها الذي يتطلب مدة طويلة الأمد ، وتوطيد النظام في كافة قطاع نجد هو بمثابة الأمل الطويل .. الا ان المطلوب الأساسي والأمنية الأصلية بهذا المجال هي المحافظة على الحرمين الشريفين وهما نصب أعين المؤمنين والعودة الى المدينة المنورة وهذا ما كنت أصدرت ارادتي بشأنه .

ان « المذهب » الذي اعتنقه عربان نجد ... انما جرى اعتناقهم له منذ عدد من السنين وفير ، وان رجوعهم عن هذه العقيدة التي اتخذوها أمر مشكل عسير .. والمصلحة العامة توجب العمل على تأمين حسن النظام في الدرعية على قدر الإمكان والعودة الى المدينة المنورة والتثبت بالمحافظة عليها ، كما أنه من الضروري والواجب أن تمنح العساكر الإسلامية التي تحملت مشقات عظيمة منذ زمن طويل فرصة للإستراحة وأن تؤمن راحتهم نوعاً ما . وقد صدرت ارادتنا الهمايونية (السلطانية) بكتابة جواب على هذا النحو لتفهم ارادتنا السنية [١] .

---

(١) نشرت ملاحظات السلطان وتقرير رئيس الوزراء – في أصلها التركي – في القسم الأعلى من الوثيقة التركية السابعة (انظر الصفحة ٢١٦) .

الوثيقة الثـامنة

– ثلاث رسائل –

١ – رسالة محمد علي الى السلطان العثماني

٢ – تعليق رئيس الوزراء على الرسالة قبل رفعها الى السلطان

٣ – ملاحظات السلطان على الرسالة

– ترجمة الوثيقة الثامنة –

١ ـ رسالة محمد علي الى السلطان العثماني

عن تحركات محمد بن مشاري واستعداده للهجوم على الأحساء !..

ـ ترجمة الرسالة ـ

حضرة صاحب السعادة والمروءة والرأفة الرفيق الأعز سلطاني أفندم .

إن المدعو محمد بن مشاري ... ، المتبقي من آل سعود،قد جمع حوله فئة من الضالين المتسكعين من متخلفي وادي الخفا ... وبقايا السيوف ... وجعل يُثيرهم ويحمسهم ويدفعهم إلى طرق البغي والشقاوة ، وقد أبلغنا ذلك بعض أهالي المدينة المنورة، كما ان ذا الشهامة أمير مكة المكرمة حضرة الشريف (يحيى)كان منذ وقت قصير قد أوصل الينا أمر وأخبار هذا (الشقي) وكيفية تحركاته وما يأتي به من مفاسد ووضعه أُسس بنيان الشقاوة في الدرعية . وقد خطر لنا آنئذ حين بلغتنا هذه الأنباء أن نرسل مفرزة من الجند لذلك المكان بغية قهر الشقي المذكور واستئصاله ، إلا انه لما ُعرض الأمر بواسطة سعادتكم على مقام الصدارة العظمى رأى المقام العالي المشار اليه أنه لما كان قد شاهد الأشقياء الباغون المذكورون سطوة الدولة العلية القاهرة وسلطانها وقدرتها

وأنهم وإن كانوا في الوقت الحاضر لا يسلكون المسلك اللائق فإنه من المستحسن الآن أن يترك هذا الأمر وان يصرف النظر عن إرسال الجنود وان هذا من قبيل أعمال الروية والتبصر . ولذلك فقد قمنا بتطبيق الأمر الكريم مع دوام توجيه نظر الدقة إلى الأماكن المذكورة . وكان أشار والي بغداد خلال تلك الأوقات إلى تصرف وتحركات الشقي المذكور التخريبية وكتب بهذا الشأن إلى دار السعادة وكنت تبلغت في حينه بأن أقوم بما يدفع هذا الشر ويبعده .

وتوقف هـــذا العاجز عن النشاط الواسع بهذا الصدد ريثما يصير التحقق والتأكد من الوضع الراهن . وأفاد محمد العريعر شيخ الأحساء بتحريره الذي بعث به الآن إلى والي جدة الحالي صاحب المطوفة ابراهيم باشا أن الشقي المذكور قد شرع ببناء القلاع في الدرعية وباثارة وجمع القبائل النجدية المنتشرة في جوانب وأطراف ذلك المكان وأنه أخذ البيعة منهم وثبّت العدد الوافر من الجموع حوله وأنه ينوي جرياً مع فكره الفاسد الاتجاه نحو الأحساء والهجوم والاستيلاء عليها وضبطها ، وبما أنه حتى الآن لم يظهر من جانب بغداد ما يدل على أنه في النية إرسال المساعدات والمعونة المحافظة على الأحساء ، فإن العشائر والأهالي جميعاً أصبحوا في وجل وخشية واضطراب . إذا كان الشقي المذكور مصمماً حقيقة على مهاجمة الأحساء فإن ما قام به من ترتيب ومن كيد وبغي بهذا الصدد سيكون موئل الخراب والدمار وما جمعه من جموع مصيرها الفناء ، إذ من البديهي أنه سيصير قطع دابرهم واستئصال نواة شقاوتهم . على أن تدارك هذا الأمر بالهجوم عليهم والقضاء على حركاتهم وافسادهم يستلزم اتخاذ التدابير الاحتياطية الكافية وهذا جلي واضح ، كما انه لا يجوز – كما لا يخفى – ترك وإهمال هذا مخافة أن يشتد ساعد هذا الشقي ..ويتوسع نفوذه.. ، وقبل أن تستقر نواة هذه الشجرة ... وتكثر بذورها أجد ان الواجب يحتم عليّ ان أبعث بشرذمة كافية من العساكر لكبح جماح هذا الشقي الفاجر ولاقتلاع جذور هذا الباغي وأتباعه من تلك الأراضي ، وان أقوم بالإضافة إلى ذلك بحسن تنظيم وتنسيق شؤونها وتثبيت دعائم النظام فيها ، وبما أن انفاذ هذه الأمور قد عُهد به إلي انا العبد العاجز من

قبل الدولة العلية أبدية الدوام فإني شرعت بالنظر بأمر تدارك العساكر اللازمة لارسالها إلى المواقع النجدية ، وإن هـذا كله سيجري على ما يرام بفضل حضرة الذات العلية الشاهانية. وإني أتشرف بعرض هذه القضايا على مقام ذات الصدارة العظمى الرفيـع ، كما أني أقدم في طية التحرير موضوع البحث ليصار إلى النظر فيه حسبما تقتضيه حكمة وروية الذات العلية ، وكما هو مؤمَّل من لدن هـذا العاجز ..

١٤ ٣٦ خاتم محمد علي

٢ ـ تعليقات رئيس الوزراء العثماني على الرسالة

ـ مترجمة عن التركية ـ

(هذا هو تحرير عبدكم محمد علي باشا والي مصر المرسل إلى الباب العالي .

لقد جاء في تحرير عربي العبارة أرسله محمد العريعر شيخ الأحساء إلى عبدكم ابراهيم باشا والي جدة ان ... المدعو محمد مشاري المتبقي من آل سعود قد شرع من جديد ببناء قلعة في الدرعية وبأخذ البيعة له من العشائر والقبائل النجدية المنتشرة في الجوار ، وانه قد جمع الجموع الغفيرة حوله ، وانه وقع فريسة توهمه الفاسد الذي تبلور بقصده الهجوم على الأحساء وضبطها والاستيلاء عليها ، وقد سيطر الخوف على الأحساء ، وانه إذا استقر رأي ... المذكور على مهاجمة الأحساء وضبطها مستمداً القوة من هذه الجموع التي حشدها فإن أمر قهره وتدميره يحتاج الى (تداركات) كلية كبيرة ،وأضاف بأنه لما كان أمر تأمين النظام والسكينة قد فُوِّض اليه فإنه أخذ هذه المرة أيضاً يسعى لتأمين إرسال عساكر الى نجد وبعث بتحرير شيخ الأحساء الوارد الذكر بأعلاه مع عريضته هذه، وقد قُرئت هذه العريضة وبُحث أمرها في لجنة الشورى المنعقدة كالمعتاد ، وبعد المذاكرة تقرّر أولاً العمل على قطع جذور الفساد واتخاذ التدابير من أجل تأمين ذلك وهو الأهم . وبما أن إحالة أمر حسن تأمين النظام الى عهدة ومقدرة المشار

اليه أمر واضح لا إبهـــام فيه فإن الواجب ، وفقاً لإشعاره ، إرسال العساكر اللازمة الى نجد وتوصيته بالتحرير الجوابي الذي سيرسل اليه أن يجدّ بالعمل على دفع مفاسد هـذا الشقي . وقد كان أُبلغ والي مصر المشار اليه مفاد تحرير والي بغداد بهذا الشأن وما اقترحه ، فوجد أيضاً من الموافق ومن مستلزمات المصلحة إبلاغ والي بغداد ما كتبه والي مصر بهذا الصدد ، ولذلك سأبادر بتحرير كتاب الى والي بغـداد المشار اليه بهذا الشأن حسب الاقتضاء لكي يحاط علماً بالكيفية حسبما ارتأته لجنة الشورى المشار اليها . وقد تُرجم التحرير العربي العبارة الوارد الذكر بأعلاه ورُفع الى مقام حضرة الذات الشاهانية ليحاط علمها السامي بمـا ورد به . ولعرض ما تقدَّم رفعتُ هذه المذكرة ، وعلى كلٍّ فإن الأمر والإرادة لحضرة من له الأمر أفندم .

(انتهى تعليق الصدر الأعظم – رئيس الوزراء –على الرسالة قبل رفعها الى السلطان .)

٣ ـ ملاحظات السلطان العثماني على الرسالة

ـ مترجمة عن التركية ـ

(لقد شوهد من قبلي :

لماذا أهمل المشار اليه في هذه الحالة هذا الأمر . إن القول بأن هؤلاء النـاس قـد شاهدوا سطوة الدولة العلية وإنهم لذلك سوف لا يعودون الى مثل ما سبق من تحركات تمردية ، وإن إهمال إرسال الجنود بناءً على هـذا الإفتراض ونفض اليد من هذه القضية هو أمر لم أتمكن من فهم مصدره وأسبابه !؟هل كانت الإفادة والمعلومات التي صدرت عن الباب العالي الى كتخدا الباب مغلوطة أم أن الموما اليه قـد أخطأ بصورة التبليغ الى الباشا ؟ يجب حالاً إفراز المقدار الكافي من العساكر وإرسالهم سريعاً . وانه ولو كان بناء على الالتماس الواقع سابقاً سُمح الى الباشا وإلى جـدّه (ابراهيم باشا) بأن يحضر الى مصر للإستراحة بالنظر الى المصاعب والمتاعب التي واجهها خلال مأموريته فإن استمرار وزير عُهـد اليه بولاية جده وبمشيخة الحرم ومحافظة المدينة المنورة وأنيطت به هـذه الشؤون الجسام والوظائف الخطيرة ، بالاقامة الدائمة في مصر لأمر غير جائز أبداً ولذلك يجب المبادرة بالكتابة بأن يرسل المشار اليه أيضاً الى المدينة المنورة وأن يكتب بذلك وأن تفهم إرادتي الهمايونية الى كتخدا الباب العالي كذلك وأن ترسل أيضاً

تحريرات المشار اليه بالإضافة الى التحرير العربي العبارة الوارد من الشيخ العريعر عيناً الى والي بغداد . إن الإهـــانة التي لحقت بالحرمين الشريفين اللذين نفتخر ونعتز بخدمتهما طوال هذه السنوات الكثيرة قد عُلم أمرها وعرفها الجميـع ، وإن إهمال وترك هـــذه الشؤون التي عُني خلال سنوات عديدة بتنظيمها وتطهيرها وتدبير حسن سيرها كلياً والفراغ منها على هذه الصورة أمر لا يُتصور ! وكيف يمكن تبرير ذلك لدى العلي القدير ؟! وما هو الجواب الذي يمكن إعطاؤه الى شفيعنا وأفندينا فخر الموجودات ؟!

خط همايون

الوثيقة التاسعة

رسالة ابراهيم باشا الى والده محمد علي باشا

ـــ ترجمة الرسالة ـــ

ولي النعمة والدي المكرم أفندم .

وفقاً لما كنت عرضته مقـدماً وتحريراً الى دولتكم ان ... (عبد الله) ومن بمعيته من الأفراد المتحصنين في بساتين الدرعية وعـددهم يربو على خمسه آلاف لا يزالون في أماكنهم . وقد وضح من التحقيقات التي أجريناها هـذه الأيام أن عبيد وخدم عبد الله ... بالإضافة الى القوى والإمكانيات المتجمعة من زمن أبيه وجده التحقت به لبذل الجهود وانضمت جميعها الى أفراده ماري الذكر والعدد الموجودين في الدرعية وهو يبني لهم في وادي وبساتين الدرعية المساكن والحصون البرجية بعـد أن حصل على ما أراد بالاستدراج والإقناع بالباطل وأنشأ سوراً داخل الدرعية وأحدث تحصينات متينـة للوقاية ولديه الكثير من الذخائر والمهمات وقـد شرع بتجهيزها وتنظيمها لاستعمالها حين الاقتضاء . وهكذا فإنه يسخر هـذه القوى والمعدات لإعداد حصون كثيرة وإنشاء أبراج في ملحقات الدرعية . وقد أقام على مقـدمة أحد الوديان في الدرعية نفسها محلتين متقابلتين سكن بالجانب الغربي منهـا عبد الله وأتباعه ، واستقر بالجهة الشرقية أفراد

19664

دولتلو برادر عالیکرم افندم

— صورة الوثيقة التركية التاسعة —

طائفة المرابطين وبقية الأهالي وقد أخذ يستقدم كل واحد من أهـــالي القرية ويزوده بالتعليمات اللازمة بعـد أن يأخذ عليه المواثيق والأيمان حسبما تقتضيه ظروفه الخاصة ويحضهم على الاتحاد القوي معززاً ذلك بالروابط القوية ، وبذلك أمن على نفسه وحركته كما أمنهم على طريقتــه الخاصة على أنفسهم ومكاسبهم وأثار فيهم النخوة والنعرة «الجاهلية» . . والحماسة والغيرة بحيث جعلهم يعتقدون بأن الموت في سبيله مرجح على بقائهم أحياء ، وقد قبلوا بأن يضحُّوا بأنفسهم .

ولذلك وبناءً على ما سبق بيـــانه فقد رأينا ان الزحف عليهم مباشرة دون التمهيد للأمر لا يأتي بفائدة تذكر فتقرر واستصوب أن يجري حصرهم والتضييق عليهم والإحاطة بهم تطويقاً ليصبح بالإمكان استئصالهم . وعلى هــذه الصورة وكما أوضحنا بعريضتنا السابقـة انه بوصول الإمدادات التي ستحضر بفضل الله تعالى وتلحق بجيشنا قريباً فإننا نبادر حينئذ جملة بالزحف الجماعي من كل صوب وطرف ونفتح هذه القرية ونضبطها . وبهذه الوسيلة نرجو من ألطاف البـــاري سبحانه وتقديراته أن نتمكن من دفع غوائل هؤلاء ... وأن تتيسر لنا إبادتهم بمنّه تعالى .

ولكي يكون هذا قرين علم ولي النعم العالي بادرنا بعرضه على حضرة الوالد المكرم ، وعلى كل حال فإن الأمر والإرادة لحضرة من له الأمر أفندم .

ختم ابراهيم باشا ٢٣٣ ١٩

الوثيقة العاشرة

الرسالة السلطانية « خط همايون » [1]

المرسلة من السلطان العثماني الى سليمان باشا والي صيدا

ـــ ترجمة الرسالة ـــ

أوجه اليك أنت سليمان باشا والي صيدا المعروفة والمؤكدة صداقتك الخالصة وأقول إننا كنا عهدنا إلى كنج يوسف باشا والي الشام وأمرناه بموجب الفرمان عالي الشأن الذي أصدرناه في حينه بأن يسارع بالتوجه لاخماد فتنة وتمرد النجديين وإخضاعهم ولكنه أخذ يتعلل بحجج واهية منها قوله بأنه ساعٍ لتوفير الأسباب المؤدية لتحقيق مثل هذا الأمر وتدارك المهمات اللازمة وكان يرمي بزعمه هذا إلى التخلف عن القيام بهذه المهمة وتأخير إنجازها وتمضية الوقت دون عمل وكان يكرِّر من وقت إلى آخر طلب المعونة والمدافع والذخائر ويتخذ ذلك ذريعة للتسويف والمماطلة ، كما انه أخذ يطيل محاوراته مع الولاة في مختلف الأقطار ستراً لمماطلته ، وأخذ يقول ، بعد ذلك مدفوعاً بأطماعه ، بأنه إذا جرى إحالة ميناء يافا ومقاطعة غزة إلى عهدة إدارته تملكاً أو التزاماً ، فإن ذلك يدعو إلى

---

(١) عبارة خط همايون تعني تحريرات السلطان المتضمنة ارادته السنية .

تسهيل مهمة الحجاز التي ُدعي إلى الاضطلاع بها ، وهو بذلك إنما كان يروّج لتنفيذ آرائه الفاسدة ، وقد تبين هذا الأمر في مخابراته مع ... كتخدا الباب العالي التي وصل جزء منها إلى يدنا واطّلعنا عليه مما دعانا إلى أن نتخذ ذلك سبباً كافياً لعزله وإبعاده إلى مراكز جيش « نيش » بمأمورية « مدير منزل » . وبما أن المشار اليه – (كنج يوسف) – يمكن أن يحس بهذا التدبير الذي يهدف إلى إبعاده فيعمل على تأخير سفره بشتى الوسائل ، وقد ظهرت فعلاً نيته ..فقد لزم أن يفرض بحقه الجزاء الرادع الصارم ، وبناء عليه ُحرر الفرمان السري بهذا الشأن ، وتضمن بأن يعهد بأيالة الشام وسائر ألويتها المختلفة اليكم وأن يوكل أيضاً اليكم أمر المبادرة لحرب« النجديين » وقد أمرنا بتسطير الفرمانات المقتضية لتأمين الذخائر والمهام والذمم وتسييرها جملة وأبلغناكم ذلك بأوامرنا التي سلمناها إلى عبدنا الآغا وكيلنا لإيصالها إلى طرفكم.واننا نأمل أن تبادروا حال وصولها بمنه تعالى بالقيام بإنجاز ما عهدنا به اليكم على وجه الدقة والكمال وموافاتنا بالأنباء عن هذه القضية مع الابتعاد عن فسح المجال لإضاعة الأموال والأشياء .. وأن يجري تحرير وضبط ذلك بموجب مفردات واضحة في دفتر وسجل نظامي يرسل في حينه إلى خزينة دولتنـــا . ونأمر أيضاً بأن يصير تأمين الاتصال بين كافة جهات الشام بحيث يجري الاهتمام بتسهيل طرق السير للعساكر والمهمات والاتجاه صوب الحرمين الشريفين وبالمخابرة والاتصال بوالي مصر ، وذلك بعد أن تكونوا اخترتم ووضعتم في كل مكان من صيدا وعكا والشام وسائر الأماكن الواقعة تحت اشرافكم رجلاً تعتمدون عليه لادارة المنطقة وأن توافونا إلى دارنا العلية بكافة تلك المعلومات عن الذخائر والذمم الأميرية والاهتمام بإرسال الذخيرة التي كانت سترتب وتهيأ أيضاً من قبل والي الشام بمنتهى الإستعجال وهـذا ما نطلبه من غيرتكم وهمتكم . انكم نشأتم على تربية الغازي أحمد باشا الجزار ، رحمة الله عليه ، ولذلك فإني آمل منكم كل صداقة وإخلاص من كل الوجوه ، وأن تكون أوضاعكم وحركتكم متفقة وهذا المؤمل فيكم .

إنني قد أحلت تنفيذ وتأمين هذه الأمور والمهام أولاً إلى الله سبحانه وتعالى

ومن ثم إلى حميتكم . أروني همتكم ودعوني أشاهد حزمكم وعزمكم وبهذا تكونون قد ملأتم الفراغ الكبير الذي حدث عقب وفاة غازي أحمد باشا وسددتم هذه الثغرة التي يجب أن لا تظل ظاهرة ، وأن تبادروا بعمل المقتضى ، وتسيير الذخائر على صورة تتجاوز حد اللزوم والواجب دون قصور وانكم بغيرتكم واهتمامكم بهذه الأمور توفرون لي أسباب السعادة. وأنتظر أن ترسلوا حالاً ما هو باق بذمته من الأموال الأميرية دون أن يكون هنالك اضطرار لإرسال أمر آخر من قبلنا وأن تعلمونا تفصيلاً كيفية « ونوعية » التدابير المتخذة بشأن حسن سير مصلحة الحجاز وبما أن أصل مطلوبي ومرادي منحصر بضبط إدارة الحرمين الشريفين على صورة جيدة، عليكم أن تعتبروا ذلك بمثابة الصلوات المفروضة ... فتبذلوا جهودكم على ضوء هذه الرغبات للعمل بمقتضى خطنا الهمايوني هذا [1] .

في ج سنة ١٢٢٥

---

(١) وجدنا أصل هذه الرسالة التركي في كتاب المؤرخ التركي جودت باشا ، وقد أدخلنا على الترجمة العربية « الحرفية » تعديلاً يسيراً جداً .

— صورة الوثيقة التركية الحادية عشرة —

الوثيقة الحادية عشرة

رسالة محمد خسرو قبودان درما
الى السلطان عن فتح تربة

الرسالة الآتية وردت الى السلطان العثماني من أحد الموظفين مبشرة باحتلال « تربة » ، فرفعها رئيس الوزراء الى السلطان فكتب السلطان تعليقاً عليها :

(لقد اطلعت على هذا

إن ظهور المسرة إثر هـذا الخبر هو إن شاء الله تعالى فأل خير ، جعله الله مقترناً بالصدق . لقد سررت !)

وأما رئيس الوزراء فرفعها الى السلطان بهذه العبارات :

(هذه هي المذكرة الواردة إليّ أنا خادمكم من قبودان باشا عبدكم . إن والي مصر عبدكم محمد علي باشا بعـد أن هجم على أشقياء العربان وانتصر عليهم حائزاً الظفر الكبير وبعـد أن أتم الاستيلاء على القلعتين المعروفتين باسم كيلاخ وتربة والقبض على رئيس الأشقياء المدعو (فادي) وأكثرية سائر الرؤساء واسترقاقهم أوفد الى الاستانة السعيدة أحمد آغا ونفراً من التاتار للتبشير بقهر العصاة ..).الخ.

ـ ترجمة الرسالة ـ

حضرة صاحب الدولة والعناية والرأفة والعطف ولي النعم المكرم أفندم .

لقد فهم من التحرير المهور الموجه من محصل قبرص خادمكم أمين أفندي والوارد الى يحيي بك عبدكم احد خدمة دائرة هـذا العاجز بأن خادمكم صاحب العطوفة محمد علي باشا والي مصر الموجود حالياً في جهة الحجاز هاجم (أشقياء) العرب ونال الظفر واستولى على حصني كيلاخ وتربة المتينين وأسر رئيس الأشقياء المعهود (فادي) والرؤساء الذين جرى استرقاق أكثرهم وأحرز الغنائم ، وإنه لإيصال هـذه البشائر السعيدة بالنصر أوفد الى الاستانة دار السعادة مساعد الدخان أحمد آغا ونفرين من التاتار في سفينة (طوسون قبودان) التي أقلعت من ميناء الاسكندرية ولما كانت الريح معاكسة لجأوا الى ميناء (ليماصول) وأقاموا في القصبة المذكورة وافادوا ما تقدم بيانه وهم بانتظار الريح المؤاتية الملائمة لمتابعة السفر . ان هذا الخبر وان يكن شفهياً نرجو أن يكون صحيحاً إن شاء الله . ان تأكيد تفاصيل وصحة هـذا الخبر موقوف على ورود تحريرات الوزير المشار اليه ، ولما كانت الشقة (التحرير) المذكورة تشتمل على الآثار والأخبار البهيجة فقد وضعت ضمن عريضة هـذا العبد العاجز وعرضت على تراب أقدام دولتكم ندعوه تعالى أن يجعل أعـداء الدولة العلية ومريدي الشر لهـا مقهورين أبدياً وعلى الدوام مدحورين ومصابين بالاضمحلال ان شاء الله تعالى بفضل أنظار الحضرة العلية الشاهانية وأن تحصل هـذه الرفيعة على شرف اطلاع المنظور السامي وعلى كل فإن الأمر والإرادة لحضرة صاحب الدولة والعناية والرأفة والعطوفة والمروءة كثير الكرم أفندينا السلطان المعظم .

عبدكم

محمد خسرو قبودان درما

الوثيقة الثانية عشرة

التحقيق مع الامام عبد الله بن سعود

(لخصنا في الصفحات ١٤٥ - ١٤٨ التحقيقات التي قام بها قاضي التحقيق في استانبول مع الامام عبد الله بن سعود ورفيقيه ، رحمهم الله ، وقد وجدنا في استانبول «محضر» التحقيق التاريخي.. فصورناه وأثبتنا صورته الفوتوغرافية على الصفحتين ٢٤٤ و ٢٤٥ ليرجع اليه من أراد .. وتختلف ترجمة الوثيقة هنا قليلاً عما جاء في الصفحات ١٤٥ - ١٤٨) .

[illegible]

233

19627

1/2

[illegible]

[illegible]

[illegible]

19627

/2

محاضر « التحقيق » !

مع الامام عبد الله بن سعود

ــ ترجمة الوثيقة ــ

هــــذا تقرير يشتمل على الإفادات المأخوذة من عبد الله بن سعود ورفيقيه الشخصين المعروف أحدهمـا باسم عبد العزيز والآخر باسم عبـد الله السري الموجودين جميعاً في سجن بوستانجي باشي آغا .

لقد بوشر قبل كل شيء بإخراج المرقوم (عبدالله بن سعود) منفرداً وبوضعه في غرفة اخرى ووُجّه اليه الحديث الآتي : « إننا سنسألك عن بعض الأشياء فإذا كنت ستجيب على أسئلتنا على صورة صحيحة وموجبـة للاعتماد وتُظهر هكذا صداقتك وإخلاصك فإنك ستنجو بلا شك من هــذه العقوبة وستكون موضع الالتفات الكريم ، أمـــا إذا كنت ستتذرّع بالإنكار وتقع فريسة الادعاءات الباطلة تصبح حينئذ معرّضاً لمواجهة عاقبة وخيمة . وسؤالنا هو :

« حين استولى والدك سعود فيما سبق على المدينة المنورة كنت أنت بالذات ، كما هو معـــلوم لدى العموم ، معه ومرافقاً له ، وفي ذلك الحين دخلتم الروضة المطهرة وسلبتم وانتزعتم منها ومن الخزانة السعيدة أشياء وأغراضاً وأموالاً كثيرة

و (تبرّكات) ذات قيمة، وإن ما هو موجود في الصندوق الذي أُحضر معك هذه المرة من الأشياء المباركة هو جزء تافه قليل ممـا سُلب وأُخذ . فأين بقيت تلك الكميات الوفيرة من التبركات والأشياء النفيسة ؟ وبما أن هذه الأشياء مما لا يمكن أن يُدّعى تلفه فهي والحالة هذه لا بد وأن تكون موجودة في محل ما بلا شك وشبهة، وبناء عليه فإننا نرغب أن تفيدنا عن محل وجود الأشياء الباقية وبأيدي مَن هي حالياً ؟ ولكي يتيسر لك الخلاص ويمتد أمامك طريق السلامة عليك أن تقول الحقيقة وتفيدنا على وجه الصحة عما سألنا عنه » .

ولما انتهينا من سؤالنا أجاب بقوله :

« إنه وإن كان في ذلك الوقت وفي الواقع بصحبة والده سعود لما دخـل المدينة المنورة ولكنه، على مـا يزعم، لم يدخل معه الحجرة السعيدة الشريفة لأنه لم يكن راضياً قطعاً عن ذلك وعن سلب تلك الأشياء المباركة ولم يتدخل قطعياً بهذا الأمر ولم يأخذ أي شيء منها قلّ او كثر حتى انه لم يشاهد الأشياء التي أُخذت لأن والده سعود هو الذي دخل وحده الى الحجرة المبـاركة ومعه من أعوانه وخواص أتباعه المدعوون عبدالله بن مطلق وغصّاب وحبّاب وأحمد الحنبلي وابراهيم بن سعيد وشخص يدعى جـبر كان يشغل وظيفة رأس كتاب سعود، فإذا كان هنالك أشياء أُخذت وأغراض سُلبت فيكون هؤلاء هم الذين أخذوها . وقد توفي من هؤلاء المدعو ابراهيم بن سعيد وباقي الأشخاص موجودون الآن في الدرعية عنـد والي جدة ابراهيم باشا، وإن رأس الكتاب المدعو جبر المذكور يعرف أكثر من غيره هذه الامور لأنه كان وحده مطّلعاً على خصائص وشؤون والده سعود » .

ولما انتهى من إجابته هـذه قلنا له « انه لمناسبة كونه أكبر أولاد والده سعود وهو المؤتمن الموثوق به من قبَـله أكثر من الغير ولأنه كان في ذلك الوقت مدير شؤونه فإن قوله انه لا يعرف وإنكاره حقيقة ما وقع وإسناده الامور الى أجانب مثل فلان وفلان واللجوء الى تبرئة ذمته على هـذه الصورة هو جواب لا يمكن أن يكون مقبولاً وانه في أية حال يجب أن يكون لديه العلم الكافي

بما جرى بالأشياء الثمينة المذكورة المأخوذة » . وكررنا عليه العبارات المؤثرة ، ولكنه كرّر ما قال وحلف الأيمان المغلظة منكراً تدخله فيما نسب اليه وسُئل عنه ، وأضاف انه لم يشاهد الأشياء التي أخرجت من الحجرة الشريفة وأُخذت ولا هو يدري ما هي وأشكالها وأنواعها وان حقيقة الحال والواقع لا يمكن ان يعرفها اليوم سوى الموجودين في الدرعية . وقال انه منذ وقوع هـذه الحوادث نفر من أبيه غاضباً واعتزله وعاش لوحده وبقي بعيداً عنه ولم يذهب الى جهته حتى وفاته . هذا ما جاء بإفادته .

● ● ●

ثم أحضر رفيقه المدعو عبدالله السري منفرداً وهو الذي، حسب زعمه، كان خادمه وحافظ أمتعته وثيابه وبوشر كذلك باستنطاقه بعـد المقدمات المؤثرة فأفاد انه عبارة عن خادم ، وانه بهذه الصفة لا يمكنه ان يطلع على هذه الأمور ولا أن يعلم شيئاً عن الأموال والأشياء المبحوث عنها . وعاد هو أيضاً فذكر أسماء الأشخاص الذين مر ذكرهم والموجودين في الدرعية وقال أن هؤلاء هم الذين يعرفون وحدهم ما جرى وحقيقة كل هذه المسائل ؛ ولكنه أضاف بأنه لما كان عبدالله بن سعود على وشك الحضور إلى هنا وبينما كان في مجلس والي جده ابراهيم باشا بالدرعية شاهد هـــذا الصندوق حين أتت به شقيقة عبد الرحمن بن سعود الموجود الآن في الدرعية وسلمته إلى عبد الله لكي يأخذه معه لافتراض ان الدولة العلية ستسأل عنه وأن هذا بدوره سلّمه إلى المشار اليه (يقصد ابراهيم باشا)، وان هذا كل ما يعرفه وقد أصرّ على ذلك دون اضافة شيء رغم التأكيد عليه ، وكرّر اجابته .

● ● ●

وبناء على ما سُمع بالتواتر ولدى الاستمرار باستجواب عبد الله مرة أخرى فُهم ان بعض الأشياء ذات القيمة الكبيرة التي كانت موجودة بالصندوق الذي أخذه أبوه سعود من الحجرة الشريفة قد بيعت إلى الشريف غالب المتوفى بمعرفة نسيبه

محمد عطاس وان الشريف المتوفى أرسلها أيضاً من قبله إلى الهند لكي تباع في تلك الجهات وإن ما بقي من المواد والأشياء وزّعه والده على هذا وذاك وأتلفه. وقد أودَع هذا الصندوق أثناء وجوده على قيد الحياة (اي سعود) وسلمه إلى شقيقته (موضى)،وذلك بعد أن سجل مفردات الأشياء الباقية وعددها وأنواعها بدفتر ممهور وضمه داخل الصندوق . وبعد ان توفي والده وعاد (اي عبد الله) إلى الدرعية أتت شقيقته بالصندوق وسلمته له كما هو ولم يصل إلى يده اي شيء آخر عدا ما ذكر وانه لما كان على وشك الحضور إلى دار السعادة أحضر الصندوق بدوره وسلمه إلى إبراهيم باشا والي جدة الموجوذ بالدرعية . وقد تبيّن ان هذه الأمور جميعها منطبقة على ما جاء بإفادته ومن فحوى التحقيقات الدقيقة التي كان أجراها ابراهيم باشا المشار اليه أيضاً . على ان عبد الله بعد أن تبين هـذه الأمور ُوجّه اليه سؤال آخر وهو : ان ما أفاده بأنه لم يكن بيد والده سوى هـذه الأشياء وان ما عداها قد ُوزع وأُتلف ، غير وارد او صحيح وانه من الملحوظ ان يكون عدد من هذه الأشياء التي لم تتلف ولم تبع لا يزال موجوداً وقلنا له : انه من البديهي ان تكون كافة تلك الأشياء قد انتقلت اليكم بعد وفاة الوالد إذ لا يعقل أن يتدخل الغير بذلك ، كما ان هنالك الكثير من الأشياء والموجودات الفنية والأغراض المباركة ذات القيمة ، أُخذت من مشهد حضرة الإمـــام الحسين ومن أماكن أخرى غير الحجرة الشريفة ، ولذا وجب اعطاء المعلومات أيضاً عن نوع هذه الأشياء وعن عددها وعن محل وجودها .

وقد كان ُيستعمل معه اللين أحياناً حسب الاقتضاء والشدة والتخويف تارة اخرى لأخذ جواب شاف ولكنه كان دائماً يعود فيحلف الايمان المغلظة ُمصراً على ما قاله سابقاً ومؤكداً بأنه وان يكن صحب والده إلى المدينة المنورة إلا انه لم يتدخل قط بقضية أخذ أشياء او أموال من الحجرة المباركة ولم يرَ شيئاً وان الحقيقة هي هذه لا غير وأفاد بأنه لم يكن مع والده حين ذهب إلى مشهد

حضرة الإمام الحسين ولا علم له بذلك وانه اذا كان جرى شيء فإن والده هو الذي قام به وإذا كان أخذ شيء فإن والده هو الذي أخذه وأتلفه وأضاعه ، وان الأشخاص الذين ذكرهم بإفادته آنفاً والذين كانوا بصحبته يعرفون ما جرى حين الذهاب إلى المشهد وانه بالذات ليس له أي دخل في كل هذه الأمور وهذا ما يعرفه الجميع فإذا أجرت الدولة العلية تحقيقاً بهذه الأمور يتضح ذلك وتبرأ ذمته . هذا ما أجاب به على الفور ولم يزد .

• • •

وبعد ذلك أعيد عبد الله الى الغرفة الاخرى واستُحضر أحد رفيقيه في السجن المدعو عبد العزيز ، وهو الذي يقال انه كان كاتبه الثاني ، منفرداً ، وبعد سرد المقدمات المناسبة بوشر باستجوابه وبعد ان أفصح عن اسمه وهويته قال : « انا كنت في خدمة عبد الله ، كاتبه الثاني ، ولما تقرّر الحضور الى دار السعادة ولدى خروجه من الدرعية استصحب معه اثني عشر نفراً ليقوموا على خدمته ، ولدى الوصول الى مصر لم يقبل والي مصر ان يستصحب معه هذا العدد من الأشخاص لأنه استكثره وسمح بنفرين فقط وكلّف عبد الله بأن ينتخبهما فرغب عبد الله بأن يستصحبني ورفيقي الموجود معي حالياً ، وبما اننا لم نكن نعرف بأننا سنكون معرّضين لهذه الحالة قبلنا باختيارنا ورضانا ان نصحبه وأتينا » .
وأضاف قائلاً : « انني لم أكن موجوداً حين الاستيلاء على المدينة المنورة ولا حين جرت وقعة مشهد حضرة الإمام الحسين ولذلك فإنه لا علم لي قطعاً بالاشياء المأخوذة وعبد الله لم يكن راضياً عن اقتحام ابيه الحجرة الشريفة والتصدي لها ولذلك ومنذ ذلك الوقت افترق عن معيته ولم يذهب اليه طيلة مدة حياته وحتى وفاته ، وان سعود لم يُظهر احداً على ما اخذه من اموال الى اولاده واقاربه ، بل اطلع من كان بمعيته فقط وهم المدعوون عبد الله بن مطلق وحبّاب وغصاب

الذين كانوا معه حين أخذ الاشياء والاموال المذكورة وان هؤلاء في الدرعية موجودون عند ابراهيم باشا . وقـد سمعت ان سعوداً حين اخذ تلك الاموال والاشياء وزع قسماً جزئياً على عساكره منها وباع البـاقي الى الشريف غالب المتوفى. وتصرّف الشريف غالب بقسم منها وباعه في الحرمين الشريفين الى هذا وذاك وبعث بما بقي الى الهند فبيع هناك ولم يصل ليد عبد الله سوى هـــذا الصندوق الذي سلمه » .

وبهذا ما يؤيد افادة عبد الله، ثم اكد بأنه لا علاقة له بهذه الاموال والاشياء وان ليس لديه معلومات اخرى وعزّز ذلك بأيمان مغلظة .

مصرع الامام الشهيد

عبد الله بن سعود في استانبول

إتماماً للفائدة ، نعرّب في شيء يسير من التصرف ما كتبه المؤرخ التركي جودت باشا عن وصول الإمام عبد الله بن سعود الى استانبول والتحقيق « الشكلي » معه ثم قتله بأمر السلطان العثماني وهو العمل الهمجي الذي أشرنا اليه في كتابنا .

قال المؤرخ التركي :

(وصل عبد الله بن سعود الى مصر خلال شهر محرم فأرفق بنفر من الحرس رأسهم آغا التاتار وأركب الباخرة الى استانبول ، فوصل الى خليج استانبول في ١٥ من شهر صفر هو وصحبه، ووجّهوا الى ميناء الدفتردار بالقرب من مسجد أبي أيوب الأنصاري .

ثم أرسل البـــاب العالي فرقة خاصة ذهبت الى مكان الأسرى وقيّدتهم بالسلاسل وجاءت بهم الى ديوان البـاب العالي ، يحيط بهم الحرس من جانبيهم ، فتفضل الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) بمنح الموظفين الكبار ورئيس التاتار ورؤساء الحرس الهدايا الثمينة وأعطى كلاً منهم جبة من فرو السمور وخصص لبعضهم رواتب سنوية، ثم أمر بأن يؤخذ الأسرى الى سجن (بوستانجي باشي).

وقد استغرق التحقيق معهم ثلاثة أيام، وعند انتهاء التحقيق أرسل الأسرى (أي الامام عبد الله بن سعود ورجاله الذين كانوا معه) الى السراي الهمايونية القديمة حيث كان السلطان « يتفرج » على ألعاب « الجريد » ورمي السهام والنبال .. وبعد أن جرى عرضهم عليه أمام الجماهير أخذوهم الى ساحة بالي (بالي كوشك) حيث جرى إعدامهم .

وبهذه المناسبة !.. تفضلت الذات العلية الشاهانية بالانعام على محمد علي باشا وابراهيم باشا بسيف و « قفطان » وأرسل اليهما الفرمان بذلك !.

ومما يحسن ذكره أن عدد (الوهابيين) الذين نفوا من بلادهم الى مصر بلغ أربعمائة رجل) .

الوثيقة الثالثة عشرة

فتح شـــقرا
كما يصفه ابراهيم باشا
في رسالة الى والده محمد علي باشا

ــ ترجمة الرسالة ــ

صاحب الدولة والرحمة مولاي ولي نعمتي .

أدعو الله الذي لا يُسأل عما يفعل أن يديم أيامكم ويطيل عمركم وإقبالكم وأن يجعل ظلكم فيئاً دائمـاً ، مؤيداً لمفرق عبدكم العديم الرياء موفقاً إياه الى ما فيه استدرار رضاكم المرتضى من موافق الأعمال . آمين .

وبعد .. فيعرض عبدكم الدائم الولاء أنـــه بتاريخ ١١ ربيـع الأول الجاري (١٢٣٣ هـ) قد حوصرت قلعة (الشقراء) وشرع في محاربة .. الوهابيين الذين في الأسوار، وفي نحو العشرين برجاً المبنية جميعها حول الجوانب الأربعة للحدائق التي بخارج القلعة المنحوسة .. واستمر القتال بالمدافع والبنادق يوماً وليلة، فهدم محل في السور، ولم يتنفس الصبح إلا وقد أمر عبيدكم عساكر الموحدين[١] فخرجوا

(١) الموحدون صفة للمقاتلين النجديين ، ولكن ابراهيم باشا أطلقها على جنوده هو !..

من متاريسهم منقضين على من كان في البروج وفي خلال الحدائق ... فمزقوهم وهزموهم بعناية الله تعالى ونفحات ولي النعم الطاهرة - كذا - واستولوا على أسوارهم وبروجهم قاتلين منهم عـدداً كبيراً ، ثم هجموا على المتحصنين .. في السور الآخر ، المُنشأ تجـاه نفس القلعة الأصلية التي بالمدينة المذكورة وفي أبراجها فتمّ أيضاً فتح هذا السور والاستيلاء على أبراجه ، كما وضع سيف القتل والعقاب في عـدد من الرقاب ، وعلى الفور قربت المدافع من جدار القلعة المنحوسة .. بحيث صارت منه قيد ذراع واستمر القذف والرمي ثلاثـة أيام وثلاث ليال حتى تهدم شطر من السور وأسفر عن البيوت نفسها ظاهرة متكشفة ، فلما تقوضت منازلهم.. وخربت وانصرم حبل رجائهم في النجاة ضجوا بالعويل والاستغاثة أن « الأمان يا إبراهيم ، إرحم عيالنا واعف عما بدا من تقصيرنا » ، هكذا التمسوا الأمان ، وجاء نفر من ذوي الكلمة المسموعة من شيوخهم الى الى مكان عبدكم فآمنتهم على شرط أن يقدموا مدافعهم الخمسة التي في القلعة وأن يسلموا كافـة الأسلحة التي يحملها أربعمائة مقاتل من أعوان (عبد الله) الذين جاؤوا لإمدادهم ، وعلى أن يعاهدوا أن يبيعوا الجنود ما هو عندهم من ميرة ، على هـذه الشروط مُنحوا الأمان ، فاخذ سلاحهم غنيمة لعبيدكم العساكر ، وأُطلق سبيل اولئك الأعوان المقهورين .

هذا وسيكون نهوضنا ومسيرنا على قلعة الدرعية بعد تاريخ عريضتي هـذه بعشرة أيام ، وإني قـد سطرت عريضتي الفائضة بفروض ثنائي ، مضمناً إياها البشارة بهذه الفتوح العظيمة ، وباعثاً بهـا مع عبدكم حسين آغا ، حاجبي ، الى قدمي ولي النعم ...

سيدي وولي نعمتي صاحب الدولة ،

إن على مسافة خمس عشرة ساعة من الدرعية ، إحدى عشرة قرية يطلق عليها اسم (وادي سدير) ، وإن جميع شيوخ هذه القرى قـد أوفدوا رجالهم الى عبدكم طالبين الأمان ، مبدين استعدادهم للخضوع لخادمكم والدخول في حوزة حكمه ، ومن ثم لا يكون القتال منظوراً في غير الدرعية .

غير أن فتح الدرعية وإحلال النظام فيها منوط بثلاثة أمور :

أولها : النقود .

ثانيها : مقذوفات المدافع (قبوذ بوارلفي) .

ثالثها : الجنود المشاة .

فمع أن لدى عبدكم مقذوفات كثيرة ومبالغ من النقود وافرة ، إلا أن استدامة ورودها وتواليه لمن مستحسن الامور وأجلها خطراً، لأن قاعدة الحرب معلومة حق العلم لدى مولاي صاحب الدولة ، فقد سمع عبدكم أن من كان ظهره وخلفه متيناً كان ختام مصلحته أدنى الى السهولة واليسر . وكذلك اصبحت المقذوفات والنقود والجنود المشاة بمثابة القلب والقوة من عبدكم إذ لولا التعويل على المدافع في معركة الشقراء المذكورة ايضاً لما كان شك في هلاك كثير الكثير من الجنود المشاة ، وللزم المشي لاقتحام القلعة نفسها ، وهكذا اضطلعت المدافع بهذا العبء وحملته ، فكان قتلانا وجرحانا في هجومنا الأول اربعين جندياً ، في حين قتل وأعدم من طائفة الوهابيين نحو مائة وخمسين .

هذا ولم يأت الى خادمكم لغاية تاريخ عريضته أي من عبديكم (احمد آغا ابو شنب) و (بهرام آغا) ، وهما رئيسا جنود المشاة اللذان أمرا بالسفر من مصر ، مع أن هذا أوان استخدام المشاة ..

فمتى أحاط شامل علمكم بهذه الحال فعسى أن تتفضلوا فتستجيبوا لمسؤول عبدكم العاجز بأن لا تقطعوا عنه النقود والمقذوفات وبأن توصوا رئيسي المشاة المندوبين للسفر بالاسراع في قدومهما إليّ .

وعلى كل حال الأمر أمركم والمشيئة مشيئتكم .

في ١٧ ربيع الأول ١٢٣٣ – ٢٥ يناير ١٨١٨

ختم : سلام على ابراهيم

الوثيقة العربية الاولى

– شكوى شريف مكة يحيى بن سرور –

من سوء معاملة محمد علي باشا

الذي حرمه الموارد المالية والسلطة والكرامة !

(ظفرنا في دار الوثائق باستانبول ، التابعة لرئاسة مجلس الوزراء ، بأصل الرسالة التي بعث بها شريف مكة ، عام ١٢٣٠ ، الى الوزير العثماني ، محمد عنبر ، وفيها يطلب منه ابلاغ السلطان أن محمد علي حرمه من الموارد والسلطة وجعله صفراً الى اليسار .. ويجد القارىء في مقدمتنا على هذا الكتاب اشارة الى هذه الرسالة الخطيرة .) :

هو

[illegible] من فوض امره اليه واملهِ ومن فرع من توكل عليه ونحو له نتوسل اليك باسمائك الحسنى في الافتقار
ونمد اليك ايدي متمسكة بحبل الجوار ونبتهل اليك بالادعية المرفوعة في ساحات الاجابة المسموعة في ساعات
الاجابة ان يديم دولة مولانا سلطان الاسلام واسطة عقد آل عثمان وناشر لواء العدل والامان وتقمع بسيف
عدالته دابر من عتى وتؤيد وزراءه الذين شهب آرائهم رجوم من اتبع غير سبيل الهدى ونتوسل اليك ان تديم
عنايتك الربانية ورعايتك الرحمانية لحضرة انجام القدام العالي فخر الوزراء الاعالي [illegible] الدولة العثمانية
كافل الدولة الخاقانية مدبر اعظم الممالك مقرر اوسع المسالك صاحب العز والسعادة وساحب ذيل
المجد والسيادة ذي الفضل والاحسان والخيرات الحسان الواثق بامر الكريم المنان [illegible] ادام الله تعالى
اجلاله واقباله وبلغه في الدارين آماله آمين وبعد فلما كانت [illegible] الارواح عند تعذر تواصل
الاشباح استنابة في اداء الواجب عنا من التسليم وابداع في الطرس من الثناء ما يتعطر بنشره النسيم
ثم الذي يحيط به علمكم الكريم وفهمكم السليم انا سكان الوادي الموصوف بانه غير ذي زرع وجيران البيت
المعروف بانه لا يدرى به ضرع وليس لنا من واجب المعاش ومكاسب الانتعاش الا ما ينعم به علينا
سلطان الاسلام ورتبه لنا آباؤه الكرام من معلوم جدا وسائر المبرات وما وظف على الروافض اعداء
الدين الواصلين الى مكة في كل حين الذين لا يختلف اثنان من العلماء ذوي الشان في اباحة دمائهم وحل
دمائهم واموالهم لاصرارهم على كثير من انواع الرفض المكفرة كما هو شائع عنهم وعليهم مقرره الزمن
القديم سب الشيخين الجليلين [illegible] الموجب للارتداد بلا نزاع المبيح للدم والمال باجماع
وحيث اخفوا ذلك واظهروا الاسلام مكنوا من الوصول الى بلد الله الحرام على ان يجعل كل واحد منهم شيئا
من الحطام بعد افتاء كثير من العلماء بحل ذلك واذن السلاطين المتقدمين بما هنالك فلما ان اقتضت
انظار الدولة العلية ان اكون اميرا على مكة البهية لا زالت آمنة محمية ووصل بذلك الفرمان العظيم
والمرسوم الكريم المقترن بالتبجيل والتعظيم وقرئ على رؤوس الاشهاد بين كل حاضر وباد ونطق بان
هو من مكارم الدولة الفاخرة وسماتهم العاطرة على ما كان عليه الآباء من قادة البلد الامين مع عطاء
الدولة من السلاطين طلبت ما هو المعتاد على طائفة الروافض الواصلين البغاة المعاندين لاستعين
به مع الواصل من حضرة الدولة العلية على نفقة الخدم والاتباع والعساكر المعدة لحماية الجهات الحربية حيث
انه لم يكن لي شيء سوى المذكور الا ستة وثلاثين التي على عدد الشهور منعت من ذلك اعظم الامتناع
ووقعت فيه اشد النزاع من بعض خدم حضرة والدنا المكرم محمد علي باشا والاتباع الذين القائم [illegible]
حين رجع الى مصر المحروسة وليست معارضته لي في خصوص هذه المادة بل في كل شيء [illegible] حتى لم ينفذ
لي في مكة شيء من الاحكام كما يعلم ذلك الخاص والعام وصرت فيها كاحاد الرعية لا استطيع دفع مظلمة عن احد
ولا رزيه وايضا ما يصل من الدولة الى هذه الجهات من معاليم اهالي مكة والصدقات يفرقونه وليس لي
به اطلاع ولا اعلم يصل مستحقيه او يحصل له لنزه الضياع مع ان فرمانات الدولة الواصلة في كل عام
تتضمن تفويض امر ذلك الامير القضاة الكرام فلا يلتفتون الى ما فيه ولا يعملون بما تضمنه ظاهرها
وخافيها فالمرجو من مكارم اخلاقكم السنية وشمائلكم المرضية رفع ذلك الى الدولة العلية بالحكم
من سعادة الدارين كل امنية وحصول فرمان خاص يتضمن اجراء ما كان عليه ما كان وعدم معارضتنا في الاحكام
الموافقة للشريعة سيد الانام لا سيما اخذ صفة جديدة من جماعة الروافض وكل عدو للصحابة وباغض
وللحقيقة على لسان [illegible] المكتوب ونحن ليس لنا من نرفع اليه الشكوى ونبث ما نجده من اللاوى
ونرجوه لدفع كل كربة وبلية الا الله تعالى وحضرتكم العلية والامر منوط بالاوامر العالية والاحكام النافذة
الماضية والدعاء لكم في بيت الله الحرام بين الركن والمقام والمشاعر العظام بدوام الدولة الى قيام الساعة
وساعة القيام وكذا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم [illegible] المكتوب الشريف مبارك الآثار
حرر يوم [illegible] ذي الحجة الحرام ختام شهور سنة [illegible]

19596 - A

— صورة رسالة الشريف يحيى بن سرور —

— نص الرسالة —

(الحمد لله

اللهم يا سامع من فوّض أمره اليه وأمّله ، ورافع بلاء من توكل عليه وأمّله ، نتوسل اليك باسطين أكف الافتقار ، ونتضرع اليك بأيدٍ متمسكة بحق الجوار ، ونبتهل اليك بالأدعية المرفوعة ، في ساعات الإجابة المسموعة ، أن تديم دولة مولانا سلطان الإسلام ، واسطة عقد آل عثمان ، وناشر لواء العدل والأمان ، وتقطع بسيف عدالته دابر من اعتدى ، وتؤيد وزراءه الذين شهب آرائهم رجوم من اتبع غير سبيل الهدى ، ونتوسل اليك أن تديم عنايتك الربانية ورعايتك الرحمانية لحضرة (القام القام) العالي ، فخر الوزراء الأعالي ، جمال الدولة العثمانية ، كمال الصولة الخاقانية ، مدبر أعظم الممالك ، مقرر أوسع المسالك صاحب العز والسعادة ، وساحب ذيل المجد والسيادة ، ذي الفضل والإحسان ، والخيرات الحسان ، الواثق بالله الكريم البر ، عزيزنا محمد عنبر ، أدام الله تعالى إجلاله وإقباله ، وبلغه في الدارين آماله ، آمين !

وبعد .. فلما كان القلم سفير الأرواح ، عند تعذر تواصل الأشباح ، استنبناه في أداء الواجب عنا من التسليم ، وإيداع طي الطرس من الثناء ما يتعطر بنشره النسيم ، ثم الذي يحيط به علمكم الكريم وفهمكم السليم أنا سكان الوادي الموصوف بأنه غير ذي زرع ، وجيران النادي المعروف بأنه لا يدرّ به ضرع ، وليس لنا من واجب المعاش ومكاسب الانتعاش إلا ما ينعم به علينا سلطان الإسلام ،

ورتبه لنا آباؤه الكرام ، من معلوم جدة ، وسائر المبرّات ، وما وظف على الروافض أعداء الدين الواصلين إلى مكة في كل حين ، الذين لا يختلف اثنان من العلماء ذوي الشان في إباحة دمائهم وحلّ رقابهم وأموالهم لاصرارهم على كثير من أنواع الرفض المكفرة ، كما هي شائعة عنهم وعليهم مقررة ، التي من أقبحها سب الشيخين الجليلين العظيمين الكريمين ، الموجب للارتداد بلا نزاع ، المبيح للدم والمال بالإجماع، وحيث أخفوا ذلك وأظهروا الإسلام، مُكنوا من الوصول الى بلد الله الحرام على أن يبذل كل واحد منهم شيئاً من الحطام بعد إفتاء كثير من العلماء بحلّ ذلك ، وإذن السلاطين المتقدمين بما هنالك ، فلما ان اقتضت أنظار الدولة العلية أن أكون أميراً على مكة البهية لا زالت آمنة محمية ، ووصل بذلك الفرمان العظيم والمرسوم الكريم ، المقابل بالتبجيل والتعظيم ، وقرىء على رؤوس الإشهاد ، بين كل حاضر وباد ، ونطق بأني مؤيَّد من مكارم الدولة الفاخرة وسماتهم العاطرة على ما كان عليه آبائي من قادة البلد الأمين مع عظماء الدولة من السلاطين طلبتُ ما هو المعتاد على طائفة الروافض الواصلين البغاة المعاندين ، لأستعين به مع الواصل من حضرة الدولة العلية على نفقة الخـــدم والأتباع والعساكر المعدّة لحماية الجهات الحرمية حيث أنه لم يكن لي شيء سوى المذكور إلا ستة وثلاثين ألفاً على عدد الشهور ، منعت من ذلك أعظم الامتناع ونوزعت فيه أشد النزاع ، مع بعض خدم حضرة والدنا المكرم محمد علي باشا والأتباع ، الذين أبقاهم بمكة المأنوسه ، حين رجع إلى مصر المحروسة ، وليست معارضته لي من خصوص هذه المادة ، بل في كل شاذة وفاذة ، حتى لم ينفذ لي في مكة شيء من الأحكام ، كما يعلم ذلك الخاص والعام، وصرت فيها كآحاد الرعية لا أستطيـع دفع مظلمة عن أحد .ولا رزية ، وأيضاً .. ما يصل من الدولة إلى هذه الجهات من معاليم أهالي مكة والصدقات يفرقونه ، وليس لي به اطلاع ، ولا أعلم يصل لمستحقيه أو يحصل لأكثرة الضيـــاع ، مع أن فرمانات الدولة الواصلة في كل عام تتضمن تفويض أمر ذلك إليّ مع القضاة الكرام، فلا يلتفتون إلى ما فيها ولا يعملون بما تضمنه ظاهرها وخافيها ، فالمرجو من مكارم أخلاقكم

السنية وشمائلكم المرضية رفع ذلك إلى الدولة العلية بلغكم الله من سعادة الدارين كل أمنية ، وحصول فرمان خاص يتضمن إجراء مـا كان على ما كان وعدم معارضتنا في الأحكام الموافقة لشريعة سيد الأنام ، لا سيما ناصفة جدة وجماعة الروافض وكل عدو للصحابة وباغض ، والحقيقـة على لسان خادمنا حامل المكتوب ونحن ليس لنا من نرفع اليه الشكوى ونثبت ما نجد له من اللأوى ونرجوه لدفع كل كربة وبلية إلا الله تعالى وحضرتكم العليـة ، والأمر منوط بالأوامر العالية والأحكام النافذة الماضية ، والدعاء لكم في بيت الله الحرام وبين الركن والمقام والمشاعر العظام بدوام الدولة إلى قيام الساعة وساعة القيام والسلام وصلى الله على خير خلقه وآله وصحبه وحزبه .

وحامل المكتوب الشريف مبارك الحارث

حرر يوم ٢٠ ذي الحجة الحرام ختام لشهور سنة ١٢٣٠

الراجي عفو ربه الغفور
يحيى بن سرور

الوثيقة العربية الثانية

رسالة ماجد عريعر الى والي بغداد
عن معركته مع حمود السعدون
ومسيره مع جموع بني خالد الى الأحساء
بينما كان ابراهيم باشا يحاصر الدرعية

(انتهز ماجد بن عريعر فرصة انشغال الامام عبد الله بقتال جنود ابراهيم باشا خلال حصار الدرعية ، ليعلن ولاءه للسلطان العثماني ويعود الى التسلط على الأحساء ، ولكن الرياح لم تجر على ما اشتهى ..)

حضرة افندينا والبلهم

[illegible]

اصدرنا سطرتنا اديمنا الكتاب على [illegible] النطروس وعلى حمو بمعرفة
ذوي الالباب عن عرايس الادكار الجارية بالنغوس حتى تسيمات فاقت
على ازهار الرياض بنو زهنات جليت الى القلوب بهجة وسرور صادرة
من خلوص الوداد باريا من صفو الاعتقاد الى مركز قطب الرياسة وكليل
تاج السياسة من ساد ابناء الزمان بعلو الهمة والمآثر وورث الرياسة
الكابر عن الاكابر ذو الشيم الوفية والاخلاق المرضية الرجل الاكرم المبجل
الاشيم لا زال بالطاف الله تعالى من طوارق الحدثان
محروسا ولا برح بعون الله تعالى بالنصر على من ناداه مانوسا بجاه محمد
الامين واله وصحبه الغر الميامين ثم ان يخفى جناب المشار اليه قد سبقت
منا كتب الى خدمتكم بعون الله الكريم وصلوا ولم نزل ان شاء الله تعالى
افندينا في حقنا متزايد ثم انه المرفوع الى حضرتكم العلية لما وصلنا
الى ديار سولنا الرجيع ... وعزم من العربان يدخلوا في طاعة
افندينا وتوجهنا بهم الى طرف افندينا المعظم لانها كثيرة المرعى
وكتب الله ان حمود السعدون ارقل علينا بجميع عربانه وثنا وخنا معه
على الصبيحة تسعة ايام وذكرنا الدخن وانتهوا وبين افندينا ولاد
عن قوم وابا ان يقبل منا ذلك الجواب فاستعنا الكريم عليه وثورناه

— صورة الوثيقة العربية الثانية —

— نص الرسالة —

حضرة أفندينا ولي النعم

(أحسن ما سطرته أيدي الكتّاب على جبهات الطروس، وأحلى ما جرت به (قرائح ؟) ذوي الألباب عن عرائس الأذكار الجارية بالنفوس، هي تسليمات فاقت على أزهار الرياض نور (!!) وتحيات جلبت الى القلوب بهجة وسرور ، صادرة من خلوص الوداد بارزة من صفو الاتحاد الى مركز قطب الرئاسة وإكليل تاج السياسة ، من ساد أبنـاء الزمان بعلو الهمة والمآثر ، وورث الرياسة أكابر من أكابر ، ذو الشيم الوفية والأخلاق المرضية الأجل الاكرم والمبجل الأشيم ، لا زال بألطاف الله تعالى من طوارىء الحدثان محروساً ولا برح بعون الله تعالى بالنصر على من ناداه مأنوساً ، بحرمة محمد الأمين وآله وصحبه الغر الميامين .

ثم لا يخفى جناب المشار اليه قـد سبقت منا كتب الى خدمتكم نرجو الله الكريم وصلوا ولم تزل إن شاء الله أنظار أفندينا في حقنا متزايدة .

ثم ان المرفوع الى حضرتكم العلية لما وصلنا الى ديار بني خالد ، جميع بني خالد وغيرهم من العربان دخلوا في طاعة أفندينا وتوجهنا الى أطراف أفندينا المعمورة لأنها كثيرة المرعى ، وكتب الله أن حمود السعدون (أرقل) علينا بجميع عربانه و (تناوخنا) معه على (الصبيحية) تسعة أيام وذكرنا له نحن وأنت « محسوبين » أفندينا ولا نحن (قوم) .. وأبى أن يقبل منا ذلك الجواب،

فاستعنا الكريم عليه ، و (ثوّرناه) من مناخه كرهاً ، وأدبر مذلولاً مخذولا ، وذلك من سعود أفندينا أيده الله بالنصر والعز ، وبعد ذلك توجهنا الى جهة (الأحساء) كفافاً عن (السو) بغير اطلاع أفندينا ، ومحسوبكم الشاكر لنعماكم محمد آل عرعر توجه الى ابراهيم باشا والى حال تاريخه ما أتتنا منه مكاتبة .

وأخبار نجد : ابراهيم باشا نزل على (الدرعية) و (خرجوا) له أهلها ثلاث مرار ، وينصره الله عليهم ، وقتل منهم أناس كثير ، وهذا (الثلاثاء ؟) جاءتنا من أخبارهم ، والمرجو من شيم المشار اليه أن لا ترفعوا أنظاركم عن محسوبكم على الدوام ، والدعاء والسلام ختام) .

١٢٣٣ داعيكم المحسوب

ماجد آل عريعر

٣ رسائل مشكوك في صحتها

.. زعموا إن الامام عبد الله بن سعود أرسلها الى السلطان ومحمد علي(١)

الرسالة الأولى

من الامام عبد الله بن سعود الى السلطان العثماني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل للداء العضال دواء ، وحسم .. وألفى نبات الأعــداء السيئة بالصلح والصلاح اللذين كانا أول مانع من الوقوع في المهالك المهلكة والصلاة والسلام على أشرف خلقه وأصفيائه محمــد خاتم أنبيائه الذي بلّغ أحسن أنبائه وعلى اصحابه والتابعين .

وبعد ..

فإني اطوف حول كعبة آمال العبيد ، التي هي أعتاب دولة مولانا قطب دائرة الوجود ، وروح جسد العــالم الموجود ، وملاذ الحاضر والبادي ، ومحط رحال آمال الرائح والغادي ، علم الأعلام ، إنسان عين الأنام ، من نام في ظل عدله كل خائف ، ولجأ الى حماه كل عاقل عارف ، ذي الأخلاق التي هي أرق من نسيم الصبا ، مع الهيبة التي تحل من أجلها الحبا ، سلطان البرين وخاقان البحرين ، الذي برز بطلعته طالع السعود ، السلطان بن السلطان سيدنا السلطان محمود الغازي .

---

(١) انظر ما قلناه عن هذه الرسائل في المقدمة .

استدراك .. وتنبيه

اكتفينا بهذا القدر اليسير من الرسالة المنسوبة إلى الإمام عبد الله بن سعود ، ليشاركنا القارىء شكنا في صحتها بل تثبتنا من وضعها ، والرسالة ، بعدُ ، تمضي طويلاً على هذا الأسلوب من الكلام المسجوع ، الممتلىء بألقاب التعظيم والتفخيم وصيغ التملق والتزلف التي تصل إلى حد العبودية .. وهو أسلوب كان شائعاً في مكاتبات العثمانيين في عصور الانحطاط ، ولكنه بعيد جداً عن النفسية العربية الأصيلة، وخصوصاً نفسية أهل نجد الذين وقاهم الله شر التسلط الأجنبي؛ ولو لم تنشر الرسالة المزعومة في كتاب صدر حديثاً في مصر باسم : « الدولة السعودية الاولى » لما أشرنا اليها ولا كلفنا أنفسنا عناء الردّ عليها ..

ملاحظة قيّمة :

وقد تلطف معالي الشيخ حسن آل الشيخ ، وزير المعارف في المملكة العربية السعودية ، بعد النظر في هذه الرسالة ، بكتابة الحاشية الآتية :

« إن هـذه الرسالة المزعوم صدورها عن الامام عبد الله بن سعود الى السلطان العثماني مكذوبة عليه ، وكلماتها لا يمكن أن تصدر عن الامام عبد الله ، لأن بعض ما جاء فيها يتنافى مع كال العقيدة وعزة المؤمن . »

استطراد ..

.. وأبدى معاليه مثل هذه الملاحظة في الكلام الذي نسبه المؤرخ (مانجان) إلى الأمير عبد الله بن عبد العزيز بن محمد في مجلس ابراهيم باشا ، حيث زُعِم أنه قال : (نحن خاضعون لأوامركم ... ولن نحاول التمرد) - انظر الصفحة ٥٩ من هذا الكتاب - .

والواقع ان المؤرخ الفرنسي مؤرخ منصف ، ولكن الذين ترجموا له كلام الأمير ربما تصرفوا فيه قليلاً ..

ولاحظ معاليه أيضاً أننا لم نفنّد روايات مانجان وغيره (انظر الصفحات ٦١ ، ٦٨ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦) عن النفائس التي رفعها الإمام سعود من الحجرة النبوية ، وبذلك يخيّل لمن يطالع هذه الروايات أن وضع النفائس في الحجرة كان عملاً دينياً مشكوراً ، وأن إخراجها لإنفاقها في حاجات الناس كان عملاً منكوراً ، بينما العكس هو الصحيح !

ونحن نعترف ، بكل بساطة ، أننا لم نناقش كل الروايات التي أوردناها ، ولا يعني ذلك قط قبولنا بها وموافقتنا عليها - مع تناقضها أحياناً ومخالفة بعضها لآرائنا !.

.. على أن قصة النفائس بُحثت في كتابنا عهد الإمام سعود الكبير بحثاً مستفيضاً ، فليرجع اليها مَن أراد الوقوف على أحكامها الشرعية وظروفها السياسية .

الرسالة الثانية

من عبد الله بن سعود الى محمد علي باشا

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد علي باشا !

نحمدك اللهم على ما منّيت به من الإصلاح ، بالصلح الحاقن لدماء المسلمين عن السفك بالسلاح ، وحميت به حمى الدولة الاسلامية عن الوقوع في أشراك البلية ، وكففت بـه أكف الأمة المحمدية ، عن بلوغ العدو فيها غاية الأمنية ، ونصلي ونسلم على أشرف الرسل الهادي لأحسن السبل ، محمـد أكرم أنبيائه وأفضل أصفيائه ، وعلى آله الكرام وأصحابه هداة الأنام .

ثم ينتهي لحضرة الجناب العـالي ، الدائم في طلب المعالي ، عزيز مصره ، وبدر دهره ، بلغه الله من المعالي ما شاء ، ذي الهمة العلية ، والأخلاق المرضية ، حرسه من طوارق البلا ، وبلغه ما أراد من الرتب العلا .

وبعد ..

غير خافٍ على جنابكم حقيقة ما نحن عليه وما ندعو الناس اليه . إننا جاهدنا الأعراب حتى أقاموا الصلاة وا توا الزكاة وألزمناهم صيام رمضان وحج بيت الله الحرام ، ومنعناهم عن ظلم العبـاد والسعي في الأرض بالفساد ، وعن قطع سبل

المسلمين والتعرض لحجاج بيت الله الحرام من الوافدين ، فعند ذلك شكوا الى والي مكة (غالب) ، ورمونا بالكذب والبهتان ، وخرّجونا وبدّعونا وقالوا فينا ما نحن منه براء ، فسيّر علينا بأجناد وعدد وعـدة فأعجزه الله وله الحمد والمنة ، فقاتلناهم دفعاً لشره، ومقابلة لفعله القبيح ومكره ، فردّه الله بغيظه ولم ينل خيراً ، واستولينا على الحرمين الشريفين وجـــدة وينبـع ، فلما تمكنا من أوطانه فعلنا معه كل جميل ، وأقرّيناه على ما كان تحت يـــده من البلدان ، ووجهنا مدخول البنادر اليه وأكرمناه غاية الإكرام ، توفيراً للنسب الشريف وتعظيماً للبلد الحرام ، ثم بعد ذلك قام وقعد ، وأكثر التقلب واجتهد ، وبالغ عند أبي ، رحمه الله ، في رد الحجاج القادمين من جهتكم ، وزعم إنهم إن قدموا (مكة) شرّفها الله ، سفكوا فيها الدماء واستحلـّوا حرمتها ، وأكثر القول فيهم حتى قال إنهم اهل غدر وخيانة ، فظن أبي ذلك نصيحة منه فمنع الحجاج خوف الفساد والفتن ، وكتب الى الدولة إذ ذاك كتباً مضمونها : إننا لم نمنع الحجاج القادمين يحجون البيت الحرام ويزورون المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، من غير أن يحدثوا حدثاً تستباح بـــه حرمة الحرمين الشريفين ، فنحن نحميهم عن جميـع من تحت يدنا من حاضر وباد ، حتى يحجوا ويرجعوا الى اوطانهم .

ثم ان الشريف طلب من أبي ، رحمه الله، أن يتولى إرسال تلك الكتب التي هذا مضمونها الى الدولة ، فأجابـــه ، لكونه أعرف منا بتلك الجهة ، ثم إننا تحققنا أن ذلك مكر منه بنا لأنه أظهر للدولة عنا غير ذلك وصار يكتب لهم على لسان أبي ما يورث العداوة والإحن بيننا وبين الدولة من الكذب والبهتان، ويمهر تلك الكتب التي زوّرها بمهر قد نقشه باسم (سعود) ، ويحبس ما كتبه أبي عنده، وقصده بذلك إثارة الفتن واضطرام نار الحرب، ونحن لا نشعر بشيء من مكره ، حتى ثار الحرب بيننا وبينكم وأحاط بـــه سوء فعله ، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ، فعلمنا أن مطلوب الدولة العلية صيانة الممالك الاسلامية لا سيما الأقطار الحجازية ومن اعظمها صيانة الحرمين الشريفين ، والذبّ عن

حماها الأحمى بلا ريب ولا مين ، والقيام للدولة على قدم السمع والطاعة والإقدام على إظهار المشعر بهما حسب الاستطاعة ، ومنها الدعاء بحضرة سلطان السلاطين نصره الله تعالى على المنابر وكفّ يـــد الأذى عن الوارد الى الممالك المحروسة والصادر ، فأطفأنا من الشر حريقاً ، وفتحنا الى الصلح طريقاً ، ولم نزل نجتهد في إبرامه حتى انعقد بين الفريقين ، وبذلنا الوسع في حقن الدماء من الجانبين ، وصورة ما وقـــع عليه انعقاد الصلح من الشروط محرر في الوثيقة مضبوط ، فبوصلها اليكم تشرفون على إجمالها وتفصيلها، ونرجو أنكم تستحسنون مواقع تأسيسها وتأصيلها وتشرفون على كتابنا المعروض على حضرة السلطان ، ولكم الأمر ، بعد الله ، في جميع هـــذا الشأن ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

عبد الله بن سعود

(ختم دائري : الواثق بالله المعبود ، عبد الله بن سعود)

الرسالة الثالثة

من الامام عبد الله بن سعود الى محمد علي

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن أحمى غراس المواصلة بوابل هتان من المكاتبة والمراسلة، وأحاط به مادة المقاطعة والمفاصلة والصلاة ، والسلام على سيدنا محمد أشرف من أرسله وعلى آله وصحبه الذين بلغوا من صحبته ومحبته غاية المنزلة .

إلى من شرفت به الدولة المرعية والرتب العليه حتى صار ملهج لسانها،فحل من عينها مكان إنسانها ، فريد مصره ووحيد قطره .

بعد التسليمات الوافرة والتحيات المتكاثرة ، ننهي اليكم أدام الله سبحانه سوابغ نعمه عليكم ، انه قد وصل الينا كتابكم وفهمنا ما تضمنه خطابكم ، فوقفنا على معانيه ، وعرفنا المصرح به والمشار اليه فيه ، وما ذكرتم من القبول لما انبرم من أمر الصلح إن كان ما قلنا حقاً وما حررناه محكماً وصدقاً ، فنحن بحمد الله للمكر والخديعة مجانبون ، وللصدق والوفاء بالعهد معاملون ، وليست الخديعة والمكر من شيم الكريم الحر ، والصدق قد تقرر من سيرتنا عند البعد ، والفضل مـــا شهدت به الأعداء وليس عندنا لكم إلا الصدق والوفاء ، فيما ظهر وخفي ، فلكم منا العهد والميثاق أننا لما جرى بيننا وبينكم ملتزمون ، ولأمر

المعاقدة محققون ، فالواجب منكم مراعاة العهد بالتزام أحكام الحق وإيثار أسباب الرفق لما في ذلك من الصلاح الشامل والخير العاجل والآجل ، ومثلك وفقك الله ممن يستغني بإشارة التذكرة ويكتفي بلمحة التبصرة لما تأوي اليه من السياسة والتجربة ، وما أشرتم اليه من حروبنا السابقة مع أهل الحجاز وغيرهم فلم نقاتل أحداً منهم ابتداءً ، بل هم بدأوا بالقتال بغياً وعدواناً فقاتلناهم دفعاً لشرهم ، فجعل الله لنا عليهم سلطاناً ولم نقابلهم بما جرى منهم إلا إحساناً ، فلما كانت لنا القدرة عليهم أمرناهم بإقامة شرائع الإسلام والتزام سائر الأحكام من عبادة الله وحده لا شريك له وإقامة الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان وحج بيت الله الحرام ،فانحسم بذلك مواد شرهم وفسادهم لأن أكثرهم مفسدون في الأرض مضيعون لما أمر الله من الواجب والفرض ،بل أكثرهم للطرق قاطعون وجملتهم للبعث منكرون يقولون ما قاله سلفهم الاولون ﴿ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ،وما لهم بذلك من علم ،إن هم إلا يظنون﴾ ، فلما كانت لنا القدرة عليهم وجب علينا أن نحملهم على الشرع الشريف عملاً بقوله سبحانه ﴿ الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور ﴾ ، وبقوله ﷺ فيما صح عنه وثبت : (من رأى منكراً فليغيره بيده فمن لم يستطع فبلسانه فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) ، ولأننا نعلم علماً قطعياً أن السلطان لا يرضى منهم بذلك ولا يأمر بدخولهم تلك المسالك وأما ما أشرتم اليه من اهتمامكم بالحرمين الشريفين وسعيكم في مصالحها فهذا أمر قد تحققناه من سيرتكم وعرفناه من طريقتكم ونحن إن شاء الله نلتزم لكم بذلك ، فنكف عنهم الأذى ما استطعنا ، ونوصل من الأقوات اليهم ما قدرنا ، ونمنع حجاجكم من أرادهم بسوء ومكروه أو حام حماهم بأمر لا (ترضوه) ، ولو كان الحرمان الشريفان من أعوانكم خالية ومن عسكركم صافية لم يأتهم منا ما تكرهون ، ولم يقع ما تحذرون ، فتم من طرفنا قرير العين والقلب طيب الخاطر واللب فنحن إن شاء الله في طاعة الله ورسوله يد واحدة على من سوانا معتصمون بحبل الله على من عادانا وفي الحقيقة ما تحت يدنا من الجيوش

والأعوان عسكر لكم وفي خدمتكم بلا ديوان ، نسأل الله العظيم أن يجمعنا وإياكم على طاعته ويدخلنا دار كرامته ويعمر بالسؤدد ربعك ويوسع لحمل أثقال المعالي ذرعك ، وصلى الله وملائكته وأنبياؤه ورسله على أشرف خلقه وخيرته من بريته محمد وعلى آله وصحبه تسليماً كثيراً .

حرر في اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر (بدون ذكر سنة) .

ختم دائري :

الواثق بالله المعبود عبد الله بن سعود

تحية عبد الله بن سعود

الوثيقة العربية الثالثة

رسالة السقاف عن معركة ماوية

– ومقتل عدد من الأمراء ومشاهير الدرعية –

ـــ نص رسالة الشيخ أحمد السقاف العلوي ـــ

مولانا السيد محمد أمين

الحمد لله تعالى

نهدي من التسليمات أشذاها وأعطرها ، ومن التحيات أعلاها وأفخرها ، هبت نفحاتها من بلد الرسول ، وحرمه الذي من أمّهُ نال كل سول ، إلى جناب السيد الجليل والسند المثيل ، محبنا العزيز حفظه الله تعالى من الست الجهات ، بجاه جده سيد السادات ، إن سألتم عنا ، لله الحمد والمنه ، بخير وعافية ، ولا نسأل إلا عن سلامتكم التي هي غاية القصد والمراد من رب العباد .

وبعد ، الذي يحيط به علمكم الكريم وفهمكم المستقيم أنه وصل الينا كتابكم المصون ، وأعربت ألفاظه عما انطوت عليه من المضمون ، وزاد فيما كان لكم عندنا وأكده ، من الود الذي هو مقتضى الأرواح جنود مجندة ، لا سيما أفصح بتأييد أفندينا طال بقاه ، والذي نرفعه إلى أسماعكم الشريفة أنه يوم الجمعة (١٦) في جمادي الأخير تلاقى عبد الله بن سعود مع عرضي أفندينا ابراهيم باشا ، على محل يسمى (الماوية) عن المدينة بستة أيام من جهة الشرق ، وصار بينهم قتال عظيم شديد فهزمهم الله وقُتل منهم خلق كثير وولى مدبراً والعسكر والعربان طلبوا وراه ، وأخذوا ثلاثة مدافع وجبخانة وذخيرته وخيامه وجملة من الخيل كسبوا ، (وعمره ما حصلت عليه هزيمة مثل هذه) ، وقتل من اخوانه وعمه

وابن عمه ومن أمرائه منهم حجيلان أمير القصيم وغيره من مشاهير الدرعية وغيرها ، وكل ذلك صار وأفندينا ابراهيم باشا ما حضر الوقعة ، كان في الحناكية (بوضب) أحواله ، وتوجه أفندينا إلى طلبه ، الله ينصره عن قريب .. وإن تسألوا عن أحوال المدينة رايقة لله الحمد لا حر ولا شر رخيه أحسن من السنين التي مضت ، هـذا ما نعرفكم عنه وداعين لكم عند أعتاب جدنا سيد السادات ببلوغ المرام وحسن الختام وربنا يورينا وجهكم عن قريب والسلام ختام صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

حرر في ٢٤ جمادي ١٢٣٢

التوقيع والخاتم

رسالة من عباس ميرزا (شاه العجم)

الى محمد علي باشا والي مصر

(خطاب يفرح الدهر بذكره ، ويعبق الخلد بنشره ، ويكشف أسرار الجنان ، ويخجل روضات الجنان ، الى الأمير الكبير ، ذي المجد الأثيل والجاه الخطير ، شمس المجد والنجد ، بدر الجاه ظهر الغزاة وقاهر العداة ، الغازي في سبيل الدين والفاتح لحصون المفسدين **محمد علي باشا** ، أيّد الله لذيذ عيشه وأيّده بعزيز جيشه ...

إنه قد بلغ إلينا مجاري أمرك ، ومعالي قدرك ، وأنباء ظفرك ونصرك ، ما تحار العقول لديه ، وتطير القلوب اليه ، فاطلعنا على ما صنعت في قتال العرب ، وصبرت في احتمال التعب ، واجتهدت في تجهيز الكتائب ، وتشمير القواضب (؟) .. حتى وطأت أرجاء (تهامة) بأقدام الشهامة ، وخلصت أرض نجد ، بالعز والمجد ، وفتحت باب الأمنية ، بفتح الدرعية ، وبالغت في دفع البدع (!!) ونفي الدين المخترع ، وقطع دابر المفسدين ونصر إسلام المسلمين حتى شرحت صدرهم بعد حرجه ، واستقام الأمر بعد عوجه ، وبدأ علو الدين ، وباد عدو المؤمنين ، وبشر خيل البلا بالجلا ، وسوق الفساد بالكساد ... وصفت موارد الحجاج بأمر المسالك ورفع المهالك وخفضت لهم جناحك وأنست بهم جانبك ولاقيتهم بطيب المعاشرة ورفق المجاورة وسعيت في الحج أوبهم وحلّ عقدهم واستقامة أودهم حتى ملأ الأرض ذكرك وبلغ السماء قدرك وأطربنا صيت محامدك وأعجبنا حسن مجاهدك فلزم على همتنا العالية أداء رسوم التهنئة لما خصّك

الله بتقديم الجهاد وأظفرك على أهل العنـاد ، فبعثنا اليك : العالي بالجـاه ، فخر الأنداد ، السيد الجليل ، الطيب النبيل ، السيد (علي خان) وأظهرنا نبذاً من سرور القلب ونشاط البال في استماع تلك الأخبـار والأحوال ، وحوّلنا شرح سائر الحالات وكشف الأرواح ولا مكتوف اليراع عنمكنون الأضلاع بل تجل الدفاية الروحانية عن بدايع البيانية [1] ولا ندرك إلا ببصاير القلوب الصافية وسراير الصدور الخالصة ، فارجع البصر نحو قلبك ، وانظر الى باطن صدرك وموطن سرك كي ترى مكنون فؤادنا وتعلم حبنا واعتقادنا عرياً عن كسوة الوسائل غنياً عن الرسل والرسائل ، ولا غرو واننا وافقنا معك في العالم الأزل بمشيئة لم تزل فوفقنا الله وإياكم بدين الإسلام وطاعة سيد الأنام والتزام جهـاد - كذا - وانتظام نفوذ المسلمين ، ثم اتخـذنا رايتنا العلية وأهدابك الصافية في أغلب الآفاق وأكثر الأعراق ، منها اجتناء أثمار المآثر وقلة الاعتناء بالذخائر ، إن خير الدهر صيت ينبغي به الفخر ، أو مال يصرف بحسن المآل ، فاسأل الله تعالى أن يختم مآلنا ومآلك بالخير والعاقبة بالعافية والخاتمة بالسعادة ، والسلام.

حـــاشية :

إن خير التحف ، وأشرف ما يهدى ويتحف ، صرف وداد ، يبعث من صفو الفؤاد ، لكنه جرت عادة الأسلاف من الملوك والأشراف ، بإبلاغه التحية مصحوباً بالهدية ، وقد كان عندنا سيف حديد، بقي من سالف العهود ، وتركه الملوك إلى الملوك ، فكانوا يتقلدون به ... وينالون بيمنه، حتى انتقل الى الدولة البهية الخاقانية ، وأعطيناه من الحضرة العلية السلطانية ، فخصصناه بك ، لمـا يناسب عزمك في الحد والمضاء ، وحدّك في اليمن والبهاء ، وأصحبناه خاتماً فيروزجاً ، وأظهر من حب الفؤاد انموذجاً ..

ختم : شاه العجم

عباس ميرزا

---

(١) هكذا جاء في الأصل .. وهو كلام مضطرب .. واللهم أعلم بحقيقته !

أسماء البلدان المشهورة
في الدولة السعودية الاولى

(نشر المؤرخ الافرنسي مانجان جدولاً بأسماء البلدان المشهورة في الدولة السعودية الاولى، مستنداً في ذلك الى أقوال بعض كبار آل الشيخ الذين كانوا يعيشون في مصر ، وقد أثبتنا في الصفحات الخمس التالية صوراً « فوتوغرافية » لهذه الأسماء مكتوبة باللغتين العربيـــة والافرنسية كما جاءت في تاريخ مانجان) .

LISTE

DES

VILLES ET VILLAGES DU NEDJD.

1° Provinces du pays de Nedjd, نجد

AQLYM OU PROVINCE D'EL-HAÇÂ, اقليم الحسا

A'youn (El),	العيون
BAHREYN (ÎLES EL),	البحرين
Châ'beh (El),	الشعبه
Chouqeyq (El),	الشقيق
Dja'far (El),	الجعفر
Djecheh (El),	الجشه
Feryq el-O'tbân,	فريق العتبان
Ghoreymyl,	غريميل
Hofhouf (El),	الهفهوف
Houdiah.	
Honeych (El),	الحنيه
Kout (El),	الكوت
Mebarrez (El),	المبرز
O'mrân (El),	العمران
Ouab (El).	
Qaryeh (*d'El-Haçâ*),	قريه
QATYF (EL)	القطيف
Syahât,	سيهات

PROVINCE DE SOUDEYR, اقليم سدير.

Dâkhleh (El),	الداخله
Djelâdjel,	جلاجل

Djenoubyeh (El), الجنوبيه
Ghât (El), الغاط
Harmeh, حرمه
Houtah (El) (*de Soudeyr*), الحوطه
El-Medjma'h, المجمعه
O'oudeh (El), العوده
Roudah (El), الروضه
Toueym (El), التويم
Toumeyr, تمير
Zelfy (El), الزلفى

PROVINCE D'EL-A'ÂRÈD, اقليم العارض.

Abâl-Koubâch, ابالكباش
A'mmâryeh (El), العماريه
A'yeyneh (El), العيينه
Benbân, بنبان
DERRE'YEH (El), الدرعيه
Djebélé,
E'rqah, عرقه
Hâyer (El), الحاير
Hefayreh (El), الحفيرة
Horéymlé, حريملا
Houssyah,
Manfouhah (El), المنفوحه
Melham, ملهم
Melqâ (El), الملقا
Ryâd (El), الرياض
Sedous, سدوس
Toureyf (El), الطريف

PROVINCE D'EL-QACYM , اقليم القصيم.

A'neyzeh, — عنيزه
Boukeyryeh (El), — البكيريه
Boureydeh, — بريده
Chebeybyeh (El), — الشبيبه
Chenâneh (El), — الشنانه
Choubâk (El), — الشباك
Hadjnâouy (El), — الحجنوي
Helâlyeh (El), — الهلاليه
Khabb (El), — الخب
Khabrâ *ou* Khoubrâ (El), — الخبرا
Mezneb (El), — المذنب
Qouey' (El) (*d'El-Qaçym*), — القويع
Rass (El), — الرس
Tannoumah (El), — التنومه

PROVINCE D'EL-AFLÂDJ, اقليم الافلاج.

Âa'eyly (El), — الاعيلى
Bedey' (El), — البديع
Harârah, — حراره
Ghoul (El), — الغول
Kharfeh (El), — الخرفه
Leylé, — ليلا
Mecheylleh, — مشيله
Stârah, — ستاره

OUECHEM (province d'EL), اقليم الوشم.

Aounez *ou* Aouneh,
Chaqrâ, — شقرا

Doramâ,	ظرما
Forra'h (El),	الفرعه
Horâyq (El),	الحريق
Marâat,	مراة
Oucheyqer,	وشيقر
Qarâyn (El),	القراين
Thourmedé *ou* Zourmedé,	ثرمدا

PROVINCE D'EL-HARYQ, اقليم الحريق.

Haryq (El),	الحريق
Helouah (El),	المجلوه
Houtah (El) (*d'El-Haryq*),	الحوطه
Malqâ (El),	الملقا
Na'âm,	نعام

PROVINCE D'EL-KHARDJ, اقليم الخرج.

Delem (El),	الدلم
Na'djân,	نعجان
Soulemyeh (El),	السُلمّيه
Zoumeyqah,	زميقه

PROVINCE D'EL-DJEBEL, اقليم الجبل.

Hâeyl,	حايل
Mestedjeddeh (El),	المستجده
Moqaq,	موقق

OUÂDY-CHAHRÂN (vallée ou arrondissement de Chahrân), وادي شهران.

Bycheh.	بيشه
Chouqeyqah (El),	الشقيقه
Djeneyneh (El),	الجنينه

OUÂDY-EL-DOUÂCER, وادي الدواسر.

Fara'h (El), الفرعه
Ladâm (El), الدام
Mehallet-el-Hatâtbeh, محلة الحطاطبه
Mé'telé (El), المعتيلا
Seleyel (El), السليل

OUÂDY-SOUBEY', وادي سبيع.

Khourmeh (El), الخرمه
Ranyeh, رنيه
Tarabeh, تربه

OUADY TASLYS ou TATHLYTH, وادي تثليث.

Mâsel, ماسل

فترة الضياع

أو

فترة الحكم المصري ـــ التركي

فترة الحكم المصري ـ التركي

فترة الفوضى والفتن والمحن !

بعد استسلام الإمام عبد الله بن سعود ، نقل ابراهيم باشا مقره من سمحان إلى « العويسية »[1]،وفرّق حرسه وكتائبه الخاصة في أطراف الدرعية ونخيلها بينما توزع قواده – ومع كل واحد منهم جماعة من العسكر – في بلدان نجد ونواحيها، يحكمونها بأهوائهم ، وبذلك زالت الدولة السعودية الأولى ، التي قامت على الشرع والنظام ، واستفاض في ظلها الأمن والعدل والرخاء ، وتوحدت البلاد وعزّ الإسلام وعظم شأن العرب ، وحل مكانها .. حكم أجنبي ، حاقد ماكر ، متعطش إلى مزيد من الدماء يسفكها ، ومزيد من الأموال ينهبها ، ومزيد من البلدان والقرى العامرة يخربها ، ومزيد من الكرامات يهينها ، ومزيد من القيم والمثل العليا يهدرها ..

وجملة القول : عادت بلاد نجد ، بين عشية وضحاها ، من الناحية السياسية ، إلى حال تشبه حالها قبل حركة الإمام محمد بن عبد الوهاب وحكم آل سعود .

ولكن الله سبحانه وتعالى كان رحيماً بأهل نجد ، فلم تطل « مأساتهم » كثيراً، ونهض من بين آل سعود رجل عبقري حازم،هو الإمام تركي بن عبد الله،

---

(١) هي نخيل تركي ، أسفل الدرعية – أنظر ابن بشر .

فحارب الغزاة وطردهم وحرر البلاد منهم وأسس في نجد دولة إسلامية عربية حرة ، سمّاها المؤرخون : الدولة السعودية الثانية ، وسيأتي تفصيل ذلك في كتاب خاص .

لقد استمر الاحتلال المصري ، أو على الأصح الإحتلال التركي – المصري ، لنجد من آخر سنة ١٢٣٤ إلى سنة ١٢٣٨ أي أربع سنوات ، عانت خلالها البلاد النجدية الأهوال ثم نجاها الله . وقد يمدد بعضهم هذه الفترة إلى سنة ١٢٤٠ لأن العساكر المصرية كانت لا تزال موجودة في الرياض .

وأما الحجاز فقد بقيت تحت السيطرة التركية (العثمانية) حتى عام ١٩١٦ م. ورزحت عسير كذلك تحت الحكم العثماني مدة طويلة .

لقد لخصنا وقائع هذه الفترة في مقدمتنا ، ولكننا حرصنا هنا على إثبات رواية ابن بشر لهذه الوقائع ، فهو المؤرخ النجدي الوحيد الذي ذكرها في شيء من التفصيل ، ونحن ننقل ما كتبه بشيء يسير من التصرف .. مغفلين بعض الأشياء التي ذكرها استطراداً ولا صلة لها بالموضوع أو بعض حوادث الوفيات ونحو ذلك .

وهذه رواية ابن بشر :

سلوك ابراهيم باشا في الدرعية :

اتخذ ابراهيم باشا الدرعية ، بعد استسلامها ، مقراً له ، (وانتقل بنفسه وحاشيته وقبوسه وقنابره ومدافعه من « سمحان » ونزل في نخل تركي بن سعود المعروف « بالعويسية » أسفل الدرعية ، وباقي عساكره فرّقها في نخيلها وأطرافها ودروبها ..)

.. ثم إن الباشا أخذ خيل السعود وشوكة الحرب وما وجد عليه اسمهم في بندق أو سيف .

وأكثر العساكر العبث في أسواق الدرعية والضرب والتسخير لأهلها ، فكانوا يجمعون الرجال من الأسواق ويخرجونهم من الدور ويحملون على ظهورهم ما تحمله الحيوانات فيسخرونهم يهدمون البيوت والدكاكين ويحملون خشبها ويكسرون

ويردون لهم الماء ويحملونه ، فلا يعرفون لفاضل فضله ولا لعالم قدره وصار الساقط الخسيس في تلك الأيام هو الرئيس ..

ثم ان الباشا أقام في الدرعية وطال مقامه فيها نحو تسعة أشهر بعد المصالحة.

إبعاد آل سعود وآل الشيخ :

وأمر على جميع آل سعود وأبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائهم أن يرحلوا عن الدرعية الى مصر ، فارتحلوا منها بحريمهم وذراريهم وسار معهم كثير الى مصر ولم يبق منهم إلا من اختفى او هرب ، وكان تركي بن عبد الله هرب من الدرعية وقت الصلح هو وأخوه زيد ، وهرب الشيخ القاضي علي بن حسين ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى قطر والى عمان وأقام هناك حتى استقامت الامور لتركي بن عبد الله ، وهرب أناس غيرهم ونجاهم الله سبحانه .

تدمير الدرعية بعد نهب أموالها :

فلما كان من شعبان وقدمت الرسل والمكاتبات من محمد علي صاحب مصر على ابراهيم باشا وهو في الدرعية ، أمر بهدم الدرعية وتدميرها ، وأمر على أهلها أن يرحلوا عنها ، ثم أمر على العساكر أن يهدموا دورها وقصورها وأن يقطعوا نخيلها وأشجارها ، ولا يرحموا صغيرها ولا كبيرها ، فابتدر العساكر مسرعين ، وهدموها وبعض اهلها فيها (مقيمين) ، فقطعوا الحدائق منها وهدموا الدور والقصور ، ونفذ فيها القدر المقدور ، وأشعلوا في بيوتها النيران وأخرجوا جميع من كان فيها من السكان ، فتركوها خالية المساكن ، كأن لم يكن بها من قديم ساكن ، وتفرّق أهلها في النواحي والبلدان ، وذلك بتقدير الذي كل يوم هو في شان .

ابراهيم باشا يرحل من الدرعية بعد تدميرها :

.. ثم إن الباشا لما فرغ من هدم الدرعية وتدميرها ، رحل منها ونزل الموضع المعروف بـ (الأحور) ، وهو غدير قرب بلد ضرماء ، كان سعود رحمه الله يجعل فيه خيله أيام الربيع فأقام الباشا فيه أكثر من شهر .

ابراهيم باشا يغزو العجمان ويُطعن بخنجر :

ثم ركب منه غازياً وقصد ناحية الجنوب وترك مخيمه فلم يحصل على طائل ، ووافق غزواً من بوادي العجمان ، نحو مائتين فهربوا وقتل بعضهم ، وضربه رجل من الغزو ضربة عظيمة بخنجر فسلم منها .. ثم قفل الباشا راجعاً إلى مخيمه .

ابراهيم باشا يغزو عنزة :

ثم ركب وأغار على قبيلة من عنزة فأخذ منها إبلاً وأغناماً وذلك في أرض الزلفي .

ابراهيم باشا يرحل من نجد الى المدينة :

ثم إن الباشا رحل من القصيم وقصد المدينة ، ورحل معه عجيلان بن حمد أمير القصيم ، الذي توفي في المدينة ..

قتل الأمراء والأعيان :

ثم ان قواميس الباشا وعساكره الذين فرّقهم في البلدان .. لهدم السور منها والقصور ، وثبوا على أناس من رؤساء نواحي اهل نجد فقتلوهم ، وذلك لما أراد الباشا أن يرحل من نجد ، فوثب الآغا الذي في الجبل ومن معه من العسكر وقتلوا محمد بن عبد المحسن بن علي أمير الجبل ، وأخاه علي ، وقتل معهما رجال . ووثب الآغا الذي في القصيم فقتل عبد الله بن رشيد ، أمير عنيزة .

ثم وقت ارتحال الباشا من القصيم أقبل الآغا الذي في حوطة الجنوب ، المسمى (حسين جوخدار) ، ومن معه من عساكر ، ونزل (الدلم) البلد المعروفة في الخرج ، وقتل آل عفيصان وهم : فهد بن سليمان بن عفيصان وأخوه عبد الله ، ومتعب بن ابراهيم بن سليمان بن عفيصان واستأصل جميع خزائنهم وأموالهم .

وقتل أيضاً علي بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، قتله الترك قرب الدرعية ، وكان له معرفة في الحديث والتفسير وغير ذلك .

حكم محمد بن مشاري بن معمر

... في آخر هـذه السنة — ١٢٣٤ — رحل محمد بن مشاري بن معمر من بلد (العينية) ونزل الدرعية .. لأنه طمع في ملك نجد بعد نفي آل سعود إلى مصر وضياع أموالهم وتفرق رجالهم، وكان مشاري غنياً بالمال، وعنده سلاح لا يحصى ولا يعـد ، وهو فوق ذلك يمت إلى آل سعود بصلة نسب ، فأمه أخت الامام سعود بن عبد العزيز .

نزل محمد هذا الدرعية (وسعى في عمارتها ، وأظهر إعلان الدعوة ، وأراد أن تكون بلدان نجد تحت يده بدعوى الإمامة ، فكاتب أهل البلدان ودعاهم للوفود اليه والاجتماع به فأطاعه أهل بلدان قليلة ممـا يليه في الدرعية ، ووفدوا عليه فاستقر فيها واستوطنها .

وفي سنة (١٢٣٥) ، وكان ابن معمر قـد استقر في الدرعية وتابعه أهل (منفوحة) وكاتبه أناس من البلدان ، خـافه بعض رؤساء البلدان على زعاماتهم (فأرسلوا الى ماجد عريعر رئيس الأحساء وبني خالد فأشاروا عليه أن يسير الى ابن معمر في الدرعية ويخرجه منها قبل أن يستحكم أمره ، فسار صاحب الأحساء بمن معه من البوادي، وسار معه أهل بلاد حريملا والخرج وأهل الرياض فنازلوا بلد منفوحة ووقع بينهم وبين أهلها قتال، وصالحوه وارتحل عنهم.

ثم أرسل اليه ابن معمر وخدعه بشيء من المكاتبات والهدايا ، وأظهر له

الموافقة ، وذكر له أن ما له قصد يخالف أمرهم وأنه (دولة سلطان) . ثم تفاقمت البوادي على آل عريعر وتخاذلوا ، فارتحل على غير طائل !

وهكذا تعاظم أمر ابن معمر بعدها ، وكانت الأسعار في الغاية من الغلاء في الدرعية وغيرها... فكاتب ابن معمر اهل البلدان من اهل المحمل وسدير والوشم وغيرهم في ترحيل القوافل الى الدرعية بالطعام واستوفدهم عليه، فسارت القوافل الى الدرعية من تلك النواحي وباعوا الطعام بأبخس بيع .. ثم انه تمكن امره في البلدان وصار له فيها دعاة .

ثم أتى اليه في الدرعية تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود وأخوه زيد وصارا عنده وساعداه .

وكان بينه وبين رئيس بلد (حريملا) حمد بن مبارك بن عبد الرحمن بن راشد وناصر بن حمـــد بن ناصر العائذي صاحب (الرياض) ، وابن زيد بن زامل صاحب (الخرج) عداوة وامتنعوا عن المتابعة .

ثم كاتبه أناس في بلد حريملا ، فأمرهم بالقيام على آل راشد وحربهم ، فقاموا عليهم بزعامة آل حمـد ، وأمدّ ابن معمر الثائرين برجال فاضطر رئيس حريملا وأنصاره الى الاستسلام ووفدوا على ابن معمر في الدرعية .

وبعد هذه الوقعة دانت البلدان لابن معمر من العارض والوشم وسدير ..

مشاري بن سعود

وفي عاشر جمادي الآخرة قدم مشاري بن الإمام سعود – الذي كان مع آل سعود المبعدين إلى مصر ولكنه استطاع الهرب واختبأ في الوشم – إلى الدرعية، ومعه عدة رجال من أهل القصيم والزلفي وثرمدا وغيرهم من عبيد أهل الدرعية، ومعه حملات من الأرز والطعام ، ونزل في بيت من بيوت إخوانه ، فانزعج ابن معمر وهمّ بالامتناع والمحاربة ، ثم عجز عن ذلك وجنح إلى الصلح، وبايع لمشاري ابن سعود ، فاستقام الأمر لمشاري هذا ووفد عليه أهل سدير ورئيسهم محمد بن جلاجل ، وأهل المحمل وحريملا ، وصاحب الرياض وأكثر أهل [illegible] وبايعوه ، كما بايعه أهل الدرعية !

وقام معــه تركي بن عبد الله وعضده ، وقدم عليه في الدرعية عمه عمر بن عبد العزيز وأبناؤه عبد الله ومحمد وعبد الملك وكانوا قد هربوا من الدرعية وقت المصالحة . ثم قدم الدرعية أيضاً مشاري بن ناصر وحسن بن محمد بن مشاري ، وكانوا أيضاً قد هربوا منها وقت الترك .

وحين استقر الأمر لمشاري بن سعود أمر على أهل البلدان الذين بايعوه بالغ فسار من الدرعية بأهل العارض والمحمل وأهل سدير والوشم وغيرهم كثير من بوادي سبيـع ، وقصد ناحية الخرج ونازل أهل بلد السلمية ، ووقع بينهم حرب وقتال ، واستولى عليها وعلى اليمامة وأخرج البجادي منها ثم نازل بلد الدلم وظهر عليه زقم بن زامل صاحبها وبايعه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة ، ثم قفل راجعاً إلى وطنه .

عودة مشاري بن معمر

(وكان ابن معمر قد ندم على انسلاخه من هذا الأمر ، وهمَّ باسترجاع الأمر لنفسه ، فركب من الدرعية ، ونزل سدوس ، وأظهر أنه مزيض ، وهو يدير الرأي في استرجاع هذا الأمر ،فكاتب آل حمد أهل حريملا وهم يومئذ رؤساؤها فاستدعوه ووعدوه النصرة فتوجه اليهم من سدوس وقدم حريملا واستوطنها ، وأظهر المخـــالفة لمشاري ، وكاتب أهل النواحي يطلب منهم البيعة والسمع له والطاعة ، وأخرج من كان في قلعة حريملا وضبطها ، وأقام فيها أياماً ، وكاتب فيصل الدويش وأرسل اليه جيشاً من مطير ، فسار من حريملا بعدة رجال من أهلها وغيرهم وسار مع ذلك الجيش وقصدوا الدرعية ، ودخلوها بغتة ، فدخل ابن معمر ومن معه على مشاري بن سعود في قصره وأمسكوه وحبسوه .

ثم ان ابن معمر جعل ولده مشاري في القصر ، ورحل من الدرعية بمن معه من الجموع وسار الى الرياض — وكان تركي بن عبد الله فيها ومعه عمر بن عبدالعزيز وبنوه — فدخل ابن معمر البــلد ، وهرب تركي وعشيرته الى الحاير ، فاستقر ابن معمر في الملك ودانت له البلدان .

ابن معمر يكاتب الترك :

وكان قـــد أقبل عساكر من الترك مع أبوش آغا ونزل في بلد (عنيزة) واستقر فيها وأطاع له القصيم ، فكاتبه ابن معمر وذكر له أنه (دولة سلطان)

وأنه أمسك مشاري بن سعود لهم ، فكتب اليه أبوش بإقراره في الإمارة !

ثم ان ابن معمر كاتب أهل البلدان وأمرهم يفدون اليه ، فركب أهل سدير والمحمل وأناس غيرهم وقصدوه في الدرعية – وكان قد عاد اليها من الرياض –).

تركي يحبس ابن معمر ثم يقتله !

(ثم ان تركي بن عبدالله ومن معه منعشيرته وخدمه سار من الحاير المعروف بحاير سبيع وقصد بلد ضرماء ليقضي له فيها حاجة ، فلما وصلها ، سار منها رجل الى ابن معمر وأخبره بأن تركي في ضرماء وليس معه إلا شرذمة قليلة ، فأمر ابن معمر على ابنه مشاري وسار في أكثر من مائة رجل ، وقصد ضرماء، وأرسل أمامه رجلاً ، فوافقه تركي وأمسكه فأخبره الخبر ، وأخذ الكتاب الذي معه فعلم المقصود ، فأمر رفقته أن ينهضوا الى قصر من قصور البلد ويتحصنوا فيه ، فدخلوا فيه ، وأخذوا من صاحب القصر سلاحاً ، وامتنعوا .

فلما كان بالليل خرج تركي من القصر ومعه خادمه ، وقصدوا أناساً في بيت من أصحاب ابن معمر ، فأمسك خادماً لهم ، وقال استفتح على أهل هذا البيت وإلا ضربت عنقك !

فاستفتح عليهم الباب ، فلما فتحوا له دخل عليهم تركي وهم على النار ، مكتنفين بها ، فضرب فيهم بالسيف فأطفأوا النار فهربوا وتسوّروا جدار البيت فجرح فيهم جراحات كثيرة وأخذ سلاحهم ، فلما فعل هذا تخاذل أصحاب مشاري بن معمر وأتوا الى تركي وتابعوه .

وهرب مشاري بن معمر على فرسه ، ومعه فارس او فارسان !

وأقام تركي في ضرماء ، وأتى اليه أناس من أهل الجنوب وسبيع وغيرهم ..

فسار من ضرماء وقصد الى ابن معمر في الدرعية ، وذلك في ربيع الأول من هذه السنة (١٢٣٥ هـ .) فدخلها بمن معه وقصد ابن معمر في قصره ، فهمّ بالامتناع فخذله أهل الدرعية وأصحابه ، فأمسكه تركي وحبسه .

وكان ذلك اليوم الذي قدم فيه تركي الدرعية قدم فيه قبله أهل سدير وأهل

الحمل وافدين على ابن معمر ، فأولم لهم وليمـة فلم يأكلوها ، وأكلهـا تركي وأصحابه !

فلما استقر تركي في الدرعية سار الى الرياض ، ونازل مشاري بن معمر وأمسكه واستولى على الرياض ، وحبس الولد وأباه ، فقـال تركي لابن معمر : إن أطلقت مشاري بن سعود من الحبس ، أطلقتك وابنك ، وإلا قتلتكما !

فكتب ابن معمر الى عشيرته الذين في سدوس بإطلاقه، فامتنعوا أن يطلقوه خوفاً من الترك ، لأنهم قد وعدوهم قبضه وتسليمه اليهم .

ثم انه اقبل عسكر من الترك مع خليل آغا وفيصل الدويش ، فنزلوا سدوس ، وسلموا لهم مشاري ، وأمسكه الترك .

فلما تحقق تركي أن مشاري أمسكه الترك ، ضرب عنق ابن معمر وابنه مشاري ، وذلك في آخر ربيع) .

تركي يثبت للترك في الرياض :

(ثم ان الترك والدويش ساروا من سدوس وقصدوا الرياض ، وثبت لهم تركي وحاربهم فرجعوا .. وأقاموا في بلد ثادق نحو نصف شهر ، ثم رحلوا الى بلد ثرمدا ، ونازلها الترك وأقاموا فيها ، وكان أبوش ومعه عسكر من الترك في عنيزة ، وأرسلوا مشاري بن سعود الى عنيزة وحبسه الترك عندهم فيها ، ومات رحمه الله تعالى .

وأقبل الدويش ومعه عسكر من الترك وطاول بلدان سدير ، كل بلد ينزلها ويأخذ من أهلها شيئاً كثيراً من الدراهم والسلع .

ثم أتى جلوية البلدان ونزلوها ، وأرسلوا الى الترك وأدخلوهم البلدان ، وأخذوا ما فيها من الأموال والأمتاع .

عودة الترك الى نجد واستيلاؤهم على الرياض :

وفي سنة ١٢٣٦ قدم حسين بك ومعه عساكر من الترك فنزلوا القصيم ، ثم رحل منه واجتمع بأبوش وعساكره وقصدوا الوشم ، ونزلوا بلد ثرمداء ،

فلبث فيها حسين وأمر على البلدان أن يغزوا وأتاه من كل بلد عدة رجال ، من سدير والوشم والمحمل وغير ذلك، وسيّرهم الى الرياض ، وسار به ابوش ومعه جملة من عساكر الترك ومعهم أيضاً رؤساء البلدان الذين أجلاهم ابن معمر ، وناصر بن حمد رئيس الرياض وحمد بن مبارك بن عبد الرحمن رئيس حريملا وغيرهم بغزاة بلدان ، فقدم الجميع الرياض ، ورئيسه يومذاك تركي بن عبد الله ابن محمد بن سعود ، فتصدى لحرب الترك وجمع عنده رجال ، وظن أن أهل البلد يحاربون معه ، فلما وصلت تلك الجموع البلد دخلوها بغير قتال ، واحتصر تركي ومن معه في القصر فرماه الترك بالقبوس وحاربوه ، فهرب من القصر في الليل وحده .

فلما أصبح اهل القصر طلبوا الأمان من الترك فأعطوهم الأمان وأخرجوهم ، وكانوا نحو سبعين رجلاً ،فقتلوهم عن آخرهم صبراً وكان معهم عمر بن عبدالعزيز ابن محمد بن سعود وأبناؤه الثلاثة فحبسوهم وسيّروهم الى مصر .

سلوك حسين بك :

ثم رحل حسين من ثرمدا وقصد الرياض ، وأمسك أبناء إبراهيم بن سعيد أهل منفوحة وضرب عليهم ألوفاً من الدراهم وأخذها منهم ، وصادر أهل الرياض وأخذ منهم أموالاً ، وحبس رجالاً من سبيع ، أهل الحائر .

الجلاء عن الدرعية :

وأمر على أهل الدرعية – وهم الذين نزلوها مع ابن معمر واستقروا فيها – أن يرحلوا عنها ، وساقهم إلى بلد ثرمدا بنسائهم وذراريهم ، وفي ثرمدا يومئذ خليل آغا ومعهم عسكر من الترك فأنزلهم في موضع جميعاً بأموالهم وذراريهم، وبنى عليهم بنياناً وجعل لهم باباً ، لا يدخلون ولا يخرجون إلا معه ، ووعدهم أنه ينزلهم في أي موضع شاؤوا من النواحي ، وأظهر لهم الحشمة والوقار، وهو بخلافه ، وذلك في شهر جمادي الآخرة .

وفي رجب ، قدم عبد الله الجمعي ، أمير عنيزة الأسبق ، من مصر .. وكان

أهل نجد قد أخرجوه من بلدتهم بعد رحيل الترك ، وتأمر عليهم محمد بن حسن ابن حمد ، فقتل حسين هذا الأمير وأحل الجمعي محله .

وقتل حسين عدداً من أهل الرياض يظن فيهم العداوة لأمير الرياض ناصر بن حمد ، منهم أولاد سليمان بن راشد الخمسة ، قتلهم صبراً ، وقطع نخيل أبا الكباش المعروفة .

جزرة رهيبة !

وذهب حسين إلى ثرمدا ، وهناك أمر المنادي ينادي أهل الدرعية : من أراد بلداً ينزلها فليأتنا نكتب له كتاباً يرحل اليها !

ثم قال لهم اجتمعوا حتى نكتب لكم كتبكم ، فحضر من كان منهم غائباً أو مختفياً أو محترفاً ، فلما اجتمعوا عنده أمر الترك أن يقتلوهم أجمعين ، فجالت عليهم خيل الروم ورجالها وأشعلوا فيهم النار بالبنادق والطبنجات والسيوف حتى قتلوهم عن آخرهم ! وهم نحو (٢٠٣٠) رجلاً ، وأخذ الترك أموالهم وشيئاً من أطفالهم وتركوا نساءهم وأطفالهم .

تابع سنة ١٢٣٥ :

ثم إن حسيناً فرّق العساكر في النواحي والبلدان فجعل :

في القصيم عسكراً

وفي بلدان الوشم عساكر

وفي بلدان سدير

وفي بلدان المحمل

فنزلت العساكر في البلدان واستقروا في قصورها وثغورها .

المآسي ..

وضربوا على أهلها ألوفاً من الريالات ، كل بلد أربعة آلاف ، وعشرة آلاف ، وعشرين ألف ريال .

فأخذوا أولاً من النـــاس ما عندهم من دراهم ، ثم أخذوا ما عندهم من الذهب والفضة ، وما فوق النساء من الحلي !

ثم أخـــذوا الطعام والسلاح والمواشي والأواني ، وحبسوا النساء والرجال والأطفال ، وعذبوهم بأنواع العذاب وأخذوا جميع ما بأيديهم ، فمنهم مَن مات بالضرب ومنهم مَن صار منه عائباً (مشوّهاً) .

فلما رأى الناس أنه لا يغني عنهم ما أخذوه منهم هرب أكثرهم في البراري والجبال والقفار ونُهبت دورهم وقُطعت أكثر نخيلهم .

التجسس : وصار مع الترك أناس في كل بلد من أهلها يخبرونهم بعوراتهم ، وبمن كان تاجراً ومَن كان فقيراً ، ومن كان يحب الترك ومن كان يبغضهم !

قطع النخل : وصارت مِحَن عظيمة ، وقطعوا أكثر نخل (رغبة) البلد المعروفة ، وقطعوا من بلد (الداخلة) أكثر من ألف نخلة ، ومن جلاجل والتويم والحوطة شيئاً قليلا ، وفي المجمعة أيضاً .

القتل : وقتل في سدير والمجمعة رجال .

وكان الذي قدم في سدير من الترك ابوش آغا ، ومعه أكثر من مائة فارس ومثلها من الجيش من اهل نجد والترك ، ونزل في قصر جلاجل ، وفرّق العساكر في البلدان ، وفعلوا ما فعلوا ، وقتل من اهل حريملا عبد الله بن مانع ، وعبد الله ابن حميد من اهل الدرعية وضرب فيهـا سليمان الحر وزامل بن بنيان من اهل الدرعية حتى ماتوا !

وفي بلد ثادق ضرب عبد الله بن علي بن حيدر وعبد الرحمن بن ماجد وماتوا وضرب غيرهم وعذبوا بأنواع التعذيب .

وحبس الشيخ عبد العزيز بن سليمان بن عبد الوهاب في حريملا ونهب بيته وأُخذ من عنده خزانة كتب عظيمة ، فأخـــذ الزملي قاضي حسين منها أحمالاً وأشعلوا النار في باقيها ، وعذب بالضرب وأنواع العذاب .

وقتـــل في القصيم عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حسن رئيس بلدية بريده ، ومحمد بن غانم .

قبيل رحيل الترك .. رهائن في معتقل :

فلما أراد الترك أن يرحلوا من البلدان أمسكوا من كل بلد رجلاً ورجلين

وحبسوهم في مطالب من غاب وهرب ، وساروا بهم الى بلد (ثرمدا) ، وكان حسين قد بنى في ثرمدا قصراً عظيماً ، وجعل فيه الأزواد والمتـاع التي يأخذها من اهل البلدان وأدخل فيه عسكراً من الترك فضبطوه ، وأدخل فيه عندهم محابيس اهل البلدان من الذين أمسكوهم وجعلوهم عندهم في سلاسل الحديد ، وأقاموا في ذلك الحبس والعذاب عند الترك في ذلك القصر حتى قدم حسين بك ابو ظاهر كما سيأتي .

رحيل الترك :

وفي ١٦ رمضان ارتحل عبوش(أبوش)وعساكره من سدير وارتحلت العساكر من البلدان بالرجال المحبوسين كما ذكرنا .

وفي صبيحة عيد الفطر ارتحل حسين من ثرمدا بعساكره ، وترك فيها رتبة في القصر وجعل في الرياض رتبة أيضاً من الترك مع ابو علي المغربي ، وفي قصر عنيزة في القصيم مثل ذلك ، وقصد المدينة ثم الى مصر .

الفتن :

فلما ارتحل حسين من نجد ، وقعت الحرائب والفتن في البلدان وترأس عليهم الشيطان ، فأمرهم باللعن والشتم والبغي والظـلم والقتل وجميع الإثم والعدوان فثارت الحرب في سدير والقصيم والعـــارض والجنوب وغير ذلك من جميع الأوطان .

فهناك فتن وقتال بين الروضة وجلاجل والتويم وعشيرة الداخلة ..

واختلاف وقتل في المجمعة .

وفتن وقتل رجال ونهب أموال في القصيم والعارض والخرج والجنوب .

واستمرت الفتن حتى سنة ١٢٣٧ التي شهدت مسير عشيرة على الروضة .

.. والزلفي على منيخ وسدير .

.. وبوادي سبيع على منفوحة !

مقدم حسين بك ابو ظاهر وتظاهره بالتقوى والعدل :

وفي سنة ١٢٣٧ هذه قدم حسين بك ابو ظاهر من المدينة ، ومعه ثمان مائة فارس من الترك ونزل الرس وأظهر التنسك والطاعة ، وذلك لما علم أن اهل نجد يحبون من يفعل ذلك ، وإنما فعله ليستميلهم اليه حتى يمسك حصون البلدان، فيفعل كفعل حسين وأبوش .

وقال للناس :

(إنما جئت لأقاتل البدو حتى يؤدوا الزكاة ، وأردّ المظالم على الحضر ، ولا أريد إلا الزكاة) .

ثم كتب الى العسكر الذين في ثرمدا أن يطلقوا المحابيس الذين عندهم ..

وأغار على أناس من بوادي عنزة وأخذهم .

ووفد عليه أهل القصيم وأطاعوا له .

ثم رحل من الرس ونزل عنيزة ..

التظاهر بالظلم والعدوان :

ثم وفد عليه صاحب المجمعة وصاحب جلاجل وأكثر رؤساء البلدان فأرسل خيلاً نحو ثمانين فارساً من الترك مع موسى كاشف – والسائر بهم عبد الله الجمعي – فنزلوا قصر المجمعة ، وأقبلوا في سدير وأدبروا وأرادوا من أهله دراهم وطعاماً فأعطوهم شيئاً قليلاً ، ثم تزايد أمرهم بالأخذ والظلم فامتنع عليهم بعض بلدان سدير ، فلما علموا أنهم لم يدركوا مقصودهم وثبوا على اثنين من رؤساء المجمعة وقتلوهم .. ثم ساروا في سدير فلم يدركوا إلا أمير بلد الجنوبية وقتلوه ..

ثورة الهول ومقتل كاشف :

.. وفي آخر رجب غزا أعراب السهول ، ووقع بينهم قتال شديد وقتلوا الترك ، إلا قليلاً ، فالتجأ الناجون من الترك الى المجمعة .

وقتل في تلك الوقعة موسى الكاشف وجميع رؤساء الترك .

انتصار سبيع ومقتل ابراهيم الكاشف :

رحل أبو ظاهر إلى جبل شمر وقبض منهم الزكاة من يوم رحيل الباشا من نجد ، وقتل من أهل قرية (موقق) ٦٠ رجلاً ..

وفي آخر السنة سار ابراهيم كاشف ومعه جماعة من أهل الرياض وقصدوا بوادي سبيع ، في حائر سبيع ،فشنوا عليهم الغارة ووقع بينهم قتال شديد فنصر الله سبيعاً وانهزم الترك وأتباعهم هزيمة شنيعة وقتل غالبهم ، وكانت القتلى أكثر من ثلاثمائة بين فارس وراجل وقتل رئيس الترك ابراهيم كاشف .

وقتل أمير الرياض ناصر .. بعد فراره من المعركة في غار ..

ثم سار الكيخيا (الذي جعله حسين في قصر ثرمدا) بمن عنده من العساكر فيها وسار معه فيصل الدويش وجملة من بوادي مطير وعدة رجال من أهل ثرمدا وقصدوا ناحية سدير ، وذلك انهم أشغلوا الناس بالأوامر وأخذ الأموال فعصى عليهم صاحب جلاجل سويد ، ثم نزلوا بلد الروضة — وسار معهم أناس من أهل سدير ورحلوا منها ونازلوا جلاجل فحصل بينهم قتال من وراء النخيل وأقاموا يوماً وليلة ورموهم بالقبس ، فوقع الصلح بينهم ، ثم ارتحلوا الى الوشم [1] .. — انتهى ما قاله ابن بشر — .

---

(١) بعد هذا ظهر الامام تركي بن عبد الله وحرر البلاد ، وسيأتي ذكر ذلك في كتابنا : (الدولة السعودية الثانية) .

عهد الامام عبدالله بن سعود

– كما رواها الجبرتي في تاريخه –

جمعنا في الصفحات الآتية كل ما كتبه (الجبرتي) من الأخبار عن عهـــد الإمام عبـــد الله بن سعود ، ليرجع اليهـــا بسهولة مَن يصعب عليه الوصول الى تاريخه وتتبُّع ما جاء فيه ، وقد أشرنا الى هــــذه الأخبار في أكثر من موضع من كتابنا .

أخبـــــار سنة ١٢٣٠

ولاية الامام عبد الله :

في شهر جمادى الاولى : .. وصل الخبر بموت الشيخ سعود ، كبير الوهابية ، وتولى مكانه ابنه عبد الله .

معركة القنفذة :

في شهر رجب : وصلت قـــافلة من ناحية السويس ، وأخبر الواصلون عن واقعة القنفذة ، وما حصل بها بعد دخول العسكر اليها ، وذلك أنهم لما ركبوا عليها براً وبحراً ، وكبيرهم محمود بك وزعيم أوغلي وشريف آغـا ، فوجدوها خالية ، فطلعوا اليها وملكوها من غير ممـــانع ولا مدافع ، وليس بها غير أهلها – وهم أناس ضعاف – فقتلوهم وقطعوا آذانهم وأرسلوها الى مصر ليرسلوها

الى استامبول ، وعندما علم العربان بمجيء الأتراك خلوا منها – ويقال لهم عرب عسير – وترافعوا عنها ، وكبيرهم يسمى (طامي) ، فلما استقر بها الأتراك ومضى عليهم نحو ثمانية أيام ، رجعوا عليهم – أي العربان – وأحاطوا بهم ومنعوهم الماء فعند ذلك ركبوا عليهم وحاربوهم فانهزموا (أي الأتراك) وُقتِل الكثير منهم ونجا محمود بك بنفسه في سبعة أنفار ، وكذلك زعيم أوغلي وشريف آغا فنزلوا في سفينة وهربوا ، فغضب الباشا، وقد كان أرسل لهم نجدة من الشفاسية الخيّالة فحاربهم العرب ورجعوا منهزمين من ناحية البر ، وتواتر هذا الخبر .

الصلح مع الشريف راجح :

وفي شهر ذي الحجة : ورد الخبر .. بصلح الشريف (راجح) مع الباشا ، وأنه قابله وأكرمه وأنعم عليه بمائتي كيس ، وأخبر أيضاً بأنه ترك الباشا بناحية (كلاخ) ، وهو ما بين الطائف وتربة .

سنة ١٢٣٠

الاستيلاء على تربة :

في شهر محرم : وصلت مكاتبات من الديار الحجازية من عند الباشا وخلافه مؤرخة في ثالث عشر ذي الحجة يذكرون فيها أن الباشا بمكة وطوسون باشا ابنه بالمدينة وحسن باشا وأخاه عابدين بك وخلافهم في كلاخ .

في شهر ربيع الأول : في تاسعه ، وصلت قافلة .. من الحجاز .. ومعها هجانة .. وعلى يدهم مكاتبات ، وفيها الأخبار والبشرى بنصرة الباشا على العرب ، وأنه استولى على تربة ، وغنم منها جمالا وغنائم وأخذ منهم أسرى ، فلما وصلت الأخبار بذلك انطلق المبشرون الى بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش ، وضربوا في صبحها مدافع كثيرة من القلعة .

الاستيلاء على بيشة ورنية :

في شهر ربيع الثاني : في ١٨ منه ضربت مدافع وأشيع الخبر .. بقدوم

(الباشا) ... كذّب هـذه الأقاويل وأنها مكاتبات فقط .. يذكرون فيها أن الباشا حصل له نصر واستولى على ناحية يقال لها بيشة ورنية ، وقتل الكثير من النجديين ، وأنه عازم على الذهاب إلى ناحية القنفذة ، ثم ينزل بعد ذلك البحر ويأتي الى مصر .

كيف احتال الشريف راجح .. على طامي ؟

وفي شهر جمادى الاولى : وردت مكاتبات بالقبض على (طامي) الذي جرى منه ما جرى في وقائع القنفذة السابقة وقتله العساكر ، فلم يزل (راجح) الذي اصطلح مع الباشا ينصب له الحبائل حتى صاده ، وذلك أنـــه عمل لابن أخيه مبلغاً من المال إن هو أوقعه في شركه فعمل له وليمة ودعاه الى محله فأتاه آمناً ، فقبض عليه واغتاله طمعاً في المال وأتوا به الى عرضي الباشا ، فوجهه الى بندر جدة في الحال، وأنزلوه السفينة وحضروا به الى السويس وعجلوا بحضوره ، فلما وصل الى البركة – والمحمل إذ ذاك بها – خرجت جميع العساكر في ليلة الاثنين حادي عشرينه وانجروا في صبحها طوائف وخلفهم المحمل ، وبعـــد مرورهم دخلوا بطامي المذكور وهو راكب على هجين وفي رقبته الحديد والجنزير مربوط في عنق الهجين ، وصورته : رجل شهم ، عظيم اللحية ، وهو لابس عبـــاءة عبداني ، ويقرأ وهو راكب . وعملوا في ذلك اليوم شنكاً ومدافع ...

المجاهدون .. المزيفون !

وفي جمادى الثانية : وصلت عساكر ، في داوات إلى السويس ، وحضروا إلى مصر ، وعلى رؤوسهم شلنجات فضية ، إعلاما وإشارة بأنهم مجاهدون وعائدون من غزو الكفار ، وأنهم افتتحوا بلاد الحرمين وطردوا المخالفين لديانتهم – كذا !! – حتى أن طوسون باشا وحسن باشا كتبا في إمضائها على المراسلات بعد اسمها لفظة « المغازي » .. والله أعلم بخلقه !!

عودة الباشا الى مصر :

في يوم الجمعة ٨ رجب.. قبل العصر، ضربت مدافع كثيرة من القلعة والجيزة

وذلك عندما ثبت وتحقق ورود محمد علي باشا إلى قنا وقوص ، ووصل أيضاً حريم الباشا ..

الباشا يتوب عن .. الظلم ؟!.. ويطرد المظلومين ويضربهم !

.. وأشيع في الناس ، في المصر وفي القرى ، بأنه تاب عن الظلم ، وعزم على إقامة العدل ، وأنه نذر على نفسه إذا رجع منصوراً واستولى على أرض الحجاز، أفرج للناس عن حصصهم ورد الأرزاق الأحباشيه إلى أهلها ، وزادوا على هذه الاشاعة أنه فعل ذلك في البلاد القبلية ، ورد كل شيء إلى أصله ، وتناقلوا ذلك في جميع النواحي ، وباتوا يتخيلونه في أحلامهم ...

ففرح أكثر المغفلين بهذا الكلام واعتقدوا صحته ...

وفي ١٤ من الشهر .. حضر الكثير من أصحاب الأرزاق..مشايخ وأشرافاً وفلاحين، ومعهم بيارق وأعلام، مستبشرين وفرحين بما سمعوه وأشاعوه وذهبوا إلى الباشا ... فلما رآهم وأخبروه عن سبب مجيئهم فأمر بضربهم وطردهم ، ففعلوا بهم ذلك ، ورجعوا خائبين !

عهد الباشا !!

وفي رجب أيضاً : حضر شيخ طرهونة .. (كريّم) .. وكان عاصياً على الباشا ، فلم يزل ابراهيم باشا يصالحه ويمنّيه حتى أتى اليه وقابله وأمّنه ، فلما حضر محمد علي باشا من الحجاز أتاه على أمان ابنه وقدم معه هديته وأربعين من الإبل فقبل هديته ، ثم أمر برمي عنقه !

سفر الشريف راجح الى مصر :

وفي رمضان : حضر الشريف راجح من الحجاز ، ودخل المدينة وهو راكب على هجين وصحبته خمسة أنفار على هجين أيضاً ، ومعهم أشخاص من الأرنؤد (الأرناؤوط – الألبان) من اتباع حسن باشا الذي بالحجاز ، فطلعوا به إلى القلعة ثم أنزلوه إلى منزل أحمد آغا .

وفد عبد الله في مصر

محمد علي لا يعجبه صلح ابنه طوسون :

وفي شهر شوال: وصلت هجانة وأخبار ومكاتبات من الديار الحجازية بوقوع الصلح بين طوسون باشا وعبد الله بن سعود، وأن عبد الله المذكور ترك الحروب والقتال وأذعن للطاعة وحقن الدماء ، وحضر من جماعة الوهابية نحو العشرين نفراً من الأنفار الى طوسون باشا ، ووصل منهم اثنان الى مصر ، فكأن الباشا لم يعجبه هذا الصلح ولم يظهر عليه علامات الرضا بذلك، ولم يحسن نزل الواصلين، ولما اجتمعا به وخاطبهما عاتبهما على المخالفة ، فاعتذرا ، وذكر أن الأمير سعود المتوفى كان فيه عناد وحدة مزاج ، وكان يريد الملك وإقامة الدين ، وأما ابنه الأمير عبد الله فإنه ليّن الجانب والعريكة ويكره سفك الدماء ، على طريقة سلفه الأمير عبد العزيز المرحوم ، فانه كان مسالماً للدولة ، حتى ان المرحوم الوزير يوسف باشا حين كان بالمدينة كان بينه وبينه غاية الصداقة ولم يقع بينهما منازعة ولا مخالفة في شيء ولم يحصل التفاقم والخلاف إلا في أيام الأمير سعود ، ومعظم الأمر للشريف غالب ، بخلاف الأمير عبد الله فانه أحسن السير وترك الخلاف وأمّن الطرق والسبل للحجاج والمسافرين ، ونحو ذلك من الكلمات والعبارات المستحسنات ، وانقضى المجلس وانصرفا الى المحل الذي أمرا بالنزول فيه ، ومعهما بعض أتراك ملازمون لصحبتهما مع اتباعهما في الركوب والذهاب والإياب ، فإنـــه أطلق لهما الإذن الى أي محل أراداه ، فكانا يركبان ويمران بالشوارع بأتباعهما ومن يصحبهما ويتفرجان على البلدة وأهلها، ودخلا الى الجامع الأزهر في وقت لم يكن به احـد من المتصدرين للإقراء والتدريس ، وسألوا عن اهل مذهب الامام احمد بن حنبل، رضي الله عنه، وعن الكتب الفقهية المصنفة في مذهبه ، فقيل : انقرضوا من ارض مصر بالكلية !

واشتريا نسخاً من كتب التفسير والحديث ، مثل الخازن والكشاف البغوي والكتب الستة المجمع على صحتها وغير ذلك .

وقد اجتمعت بهما مرتين فوجدت منهما انساً وطلاقة لسان واطلاعاً وتضلعاً ومعرفة بالأخبار والنوادر ، ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق وحسن الأدب في الخطاب والتفقه في الدين واستحضار الفروع الفقهية واختلاف المذاهب فيها ما يفوق الوصف .

واسم احدهما عبد الله ، والآخر عبد العزيز ، وهو الأكبر حساً ومعنى .

سنة ١٢٣٣

بشارة بنصر ابراهيم باشا :

في شهر صفر : وصل جاويش الحج ، وفي ذلك اليوم وقت العصر ضربوا مدافع من القلعة لبشارة وصلت من ابراهيم باشا بأنه حصلت له نصرة وملكَ بلدة من بلاد الوهابية وقبض على أميرها ويسمى عتيبة وهو طاعن في السن .

.. وبشارة بفتح شقراء :

في شهر ربيع الثاني : في أواخره حضر مبشر من ناحية الديار الحجازية يخبر بنصرة حصلت لابراهيم باشا وأنه استولى على بلدة تسمى الشقراء ، وان عبد الله ابن سعود كان بها فخرج منها هارباً الى الدرعية ليلاً ، وأن بين عساكر الأتراك والدرعيين مسافة يومين ، فلما وصل هذا المبشر ضربوا لقدومه مدافع من أبراج القلعة ..

وبشارة اخرى ..

وفي أواخر جمادى الاولى : وصل هجان من شرق الحجاز ببشارة بأن ابراهيم باشا استولى على بلد كبير من بلاد الوهابية ، ولم يبق بينه وبين الدرعية إلا ثمان عشرة ساعة ، فضربوا شنكاً ومدافع .

وخبر سيء عن انتصار حمود !..

.. وفيه وصل هجان من حسن باشا الذي بجدة براسلة يخبر فيها بعصيان الشريف حمود بناحية يمن الحجاز ، وأنه حاصر من بتلك النواحي من العساكر وقتلهم ، ولم ينجُ منهم إلا القليل ، وهو من فرّ على جوائد الخيل .

موت حمود :

وفي شهر جمـــادى الثانية : ورد الخبر بموت الشريف حمود ، وأنه أصيب بجراحة ومات فيها .

استيلاء ابراهيم باشا على جانب من الدرعية :

وفي ١٩ جمادى الثانية .. ضربت مدافع لوصول بشارة من ابراهيم باشا بأنه ملكَ جانباً من الدرعية وان الوهــابية محصورون ، وهو ومن معه من العربان محيطون بهم .

حريق الجبخانة في نجد .. واستهتار الجنود في القاهرة !

وفي منتصف شهر رمضان ، وصل نجاب وأخبر بأن ابراهيم باشا ركب إلى جهة من نواحي الدرعية لأمر يبتغيه وترك عرضيه ،فاغتنم الوهابية غيابه وكبسوا عى العرضي على حين غفلة وقتلوا من العساكر عدة وافرة ، وأحرقوا الجبخانة ، فعند ذلك قوي الاهتمام وارتحل جملة من العساكر في دفعات ثلاث براً وبحراً يتلو بعضهم بعضاً في شعبان ورمضان .

وبرز عرضي خليل باشا الى خارج باب النصر ،وترددوا في الخروج والدخول واستباحوا الفطر في رمضان بحجة السفر ، فيجلس الكثير منهم في الأسواق يأكلون ويشربون ويمرون بالشوارع ، وبأيديهم أقصاب الدخان والتتن من غير احتشام ولا احترام لشهر الصوم ، وفي اعتقادهم الخروج بقصد الجهاد وغزو الكفار المخالفين لدين الإسلام ، وانقضى شهر الصوم والباشا متكدر الخــاطر ومتعلق ومنتظر ورود خبر ينسر بسماعه !

سفر خليل باشا وعساكر والي الحجاز :

وفي ٨ شوال ارتحل خليل باشا مسافراً الى الحجاز من القلزم (البحر الأحمر) وعساكره الخيالة على طريق البر .

قلق محمد علي ..

واستهل شهر ذي القعدة .. وانقضى والباشا منفعل الخاطر لتأخر الأخبار

وطول الانتظار وكل قليل يأمر بقراءة صحيح البخاري بالأزهر ... ولضيق صدره واشتغال فكره لا يستقر بمكان فيقيم بالقلعـــة قليلاً ثم ينتقل الى قصر شبرا ثم الى قصر الآثار ثم الأزبكية ثم الجيزة وهكذا ..

الاستيلاء على الدرعية :

وفي ٧ من شهر ذي الحجة وردت بشائر من شرق الحجاز بمراسلة من عثمان آغا الورداني أمير ينبع بأن ابراهيم باشا استولى على الدرعية والوهابية ، فانسر الباشا لهذا الخبر سروراً عظيماً ، وانجلى عنه الضجر والقلق وأنعم على المبشر ، وعند ذلك ضربوا مدافع كثيرة من القلعة والجيزة وبولاق والأزبكية ، وانتشر المبشرون على بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش .

المدافع .. والأفراح .. والليالي الملاح !

والناس في ضيق ومجاعة :

وفي ١٢ من ذي الحجة وصل المرسوم بمكاتبات من السويس وينبع ، وذلك قبيل العصر فأكثروا من ضرب المدافع من كل جهة واستمر الضرب من العصر الى المغرب بحيث ضرب بالقلعـــة خاصة ألف مدفع ، وصادف ذلك شنك أيام العيد ، وعنـد ذلك أمر بعمل مهرجان وزينة داخل المدينة وخارجها وبولاق ومصر القديمة والجيزة ، وشنك على بحر النيل ...

.. ونودي بالزينة وأولها الأربعاء ١٧ ذي الحجة فشرع في زينة الحوانيت والخانات وأبواب الدور ووقود القناديل والسهر وأظهروا الفرح والملاعيب: كل ذلك مع ما الناس فيه من ضيق الحال والكد في تحصيل أسباب المعاش وعدم ما يسرجون به من الزيت والشيرج والزيت الحار وكذا السمن فانه شح وجوده ولا يوجد منه إلا القليل .. وكذلك اللحم لا يوجد منه إلا ما كان في غاية الرداءة من لحم النعاج الهزيل ، وامتنع أيضاً وجود القمح .. وحتى الخبز امتنع وجوده بالأسواق .. ولمـا أنهي الأمر الى من لهم ولاية الأمر فأخرجوا من شون الباشا مقداراً ليباع في الرقع ، وقـــد أكلها السوس ، ولا يباع منها أزيد من الكيلة أكثرها مسوس .. الخ .

سنة ١٢٣٤

وقد عـــاد الجبرتي في أخبار سنة ١٢٣٤ الى وصف أفراح القاهرة وزيناتها التي كان أشار اليها في أخبار آخر سنة ١٢٣٣ وقـد أهملنا هـذا الوصف المطول مكتفين بما لخصه عنه الرافعي وأشرنا اليه في كلامنا عن معارك الدرعية .

وصول الامام عبد الله بن سعود الى مصر :

وفي يوم الاثنين ١٧ محرم : وصل عبد الله بن سعود ، ودخل من باب النصر وصحبته عبدالله بكتاش قبطان السويس وهو راكب على هجين وبجانبه المذكور وأمامه طائفة من الدلاة ، فضربوا عند دخوله مدافع كثيرة من القلعـة وبولاق وخلافها .

مقابلة محمد علي للامام :

.. وذهبوا به الى بيت اسماعيل باشا ، ابن الباشا ، فأقام يومه ، وذهبوا به في صبحها عند الباشا بشبرا ، فلمـــا دخل عليه قام له وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه وقال له : ما هـــذه المطاولة ؟ فقال : الحرب سجال . قال : وكيف رأيت ابراهيم باشا ؟ قال : ما قصر ، وبذل همته ، ونحن كذلك ، حتى كان ما قدّره المولى !

فقال محمد علي باشا : إن شاء الله تعالى أترجى فيك عند مولانا السلطان .

فقال : المقدّر يكون !

ثم ألبسه خلعة ، وانصرف عنه الى بيت اسماعيل باشا ببولاق .

ونزل الباشا في ذلك اليوم السفينة وسافر الى جهة دمياط .

صندوق الجواهر :

وكان بصحبة الوهابي صندوق صغير من صفيح ، فقال له الباشا : ما هذا ؟

فقال : هذا ما أخذه أبي من الحجرة أصحبه معي الى السلطان !

وفتحه ، فوجد به ثلاثة مصاحف قرآناً مكلفة ، ونحو ثلاثمائة حبـة لؤلؤ

كبار وحبة زمرد كبيرة وبها شريط ذهب ، فقال له الباشا : الذي أخذه من الحجرة أشياء كثيرة غير هذا .

فقال : هذا الذي وجدته عند أبي ، فإنه لم يستأصل كل ما كان في الحجرة لنفسه بل أخذ كذلك كبار العرب وأهل المدينة وأغوات الحرم وشريف مكة .

فقال الباشا : صحيح ! وجدنا عند الشريف أشياء من ذلك !

سفر الامام عبد الله الى الاسكندرية .. فاستانبول :

وفي يوم الأربعاء ١٩ محرم سافر عبد الله بن سعود إلى جهة الاسكندرية وصحبته جماعة من الططر (التتار) إلى دار السلطنة ، ومعه خدم لزومه .

مقتل الامام في استانبول :

وفي ٧ جمادي الأولى وصلت الأخبار عن عبد الله بن سعود أنه لما وصل الى اسلامبول طافوا به البلدة وقتلوه عند باب همايون وقتلوا أتباعه أيضاً في نواحي متفرقة فذهبوا مع الشهداء .

وصول آل سعود وآل الشيخ الى القاهرة :

وفي يوم الخميس ١٨ رجب حضر بواقي الوهابية بحريمهم وأولادهم وهم نحو الأربعمائة نسمة ، وأسكنوا بالقشلة التي بالأزبكية وابن عبد الله بن سعود (أنزل) بدار عند جامع مسكة هو وخواصه من غير حرج عليهم ، وطفقوا يذهبون ويجيئون ويترددون على المشائخ وغيرهم ويمشون في الأسواق ويشترون البضائع والاحتياجات .

القبض على ابن حمود بالحيلة !

وفي شعبان وصل جماعة هجانة من جهة الحجاز صحبتهم ابن حمود ، أمير يمن الحجاز ، وذلك أنه لما مات أبوه تأمر عوضه وأظهر الطاعة وعدم المخالفة للدولة ، فلما توجه خليل باشا إلى اليمن أخلى له البلاد واعتزل في حصن له ولم

يخرج لدفعه ومحاربته كما فعل أبوه ، وترددت بينهما المراسلات والمخادعات حتى نزل من حصنه وحضر عند خليل باشا فقبض عليه وأرسله مع الهجانة إلى مصر !

سنة ١٢٣٥

يبيعون أحرار المسلمين !

وفي صفر: وصل جماعة من عسكر المغاربة والعرب الذين كانوا ببلاد الحجاز وصحبتهم أسرى من الوهابية : نساء وبنات وغلماناً ، نزلوا عند الهمايل ، وطفقوا يبيعونهم على من يشتريهم ، مع أنهم مسلمون وأحرار !

عودة ابراهيم باشا الى مصر :

وفي ٢١ صفر : وصل ابراهيم باشا من ناحية القصير .. وضربوا لذلك الخبر المدافع من القلعة وغيرها ..

سنة ١٢٣٦

في ٣ شوال حضرت هجانة من أراضي نجد وبصحبتهم أشخاص من كبار الوهابية مقيدون على الجمال ، وهم : عمر بن عبد العزيز وأولاده وأبناء عمه .

وذلك أنهم لما رجعوا الى الدرعية بعد رحيل ابراهيم باشا وعساكره ـ وكان معهم مشاري بن سعود ـ وقد كانوا هربوا من الدرعية بعد ما رحل منها ابراهيم باشا ، وتركي بن عبد الله بن أخي عبد العزيز وولد عم سعود إلا مشاري فإنه هرب من العسكر الذين كانوا مع أولاد سعود وجماعتهم حين أرسلهم ابراهيم باشا الى مصر في الحمراء (وهي قرية بين الجديدة وينبع البحر) وذهب الى الدرعية ، واجتمع عليه من فرّ حين قدمت العساكر ، وأخذوا في تعميرها ، ورجع أكثر أهلها ، وقدموا عليهم مشاري ، ودعا الناس الى طاعته ، فأجابه الكثير منهم فكادت تتسع دولته وتعظم شوكته ، فلما بلغ الباشا ذلك جهز له عساكر رئيسها حسين بك ، فأوثقوا مشاري وأرسلوه الى مصر ، فمات في الطريق !

وأما عمر وأولاده وبنو عمه فتحصنوا في قلعة الرياض المعروفة عند المتقدمين بحجر اليمامة ، وبينها وبين الدرعية أربع ساعات للقافلة ، فنزل عليهم حسين بك وحاربهم ثلاثة أيام او أربعـــة ، وطلبوا الأمان لما علموا أنهم لا طاقة لهم به فأعطاهم الأمان على أنفسهم ، فخرجوا له إلا (تركي) فإنه خرج من القلعـــة ليلا وهرب .

وأما حسين بك فإنه قيّد الجمـــاعة وأرسلهم الى مصر في الشهر المذكور ، وهم الآن مقيمون بمصر بخطة الحنفي ، قريباً من بيت جماعتهم الذين أتوا قبل هذا الوقت .

(تراجم)

محمد علي باشا وولديه

والسلطان محمود الثاني

الذين حاربوا الإمام عبد الله بن سعود

والشريف يحيى بن سرور

الذي تولى أمر مكة في عهد الإمام عبد الله بن سعود

« نشرنا في كتابنا (عهد الإمام سعود) نبذة عن حياة محمد علي باشا ، والي مصر ، وطوسون باشا ، اللذين حاربا الإمـام سعود بأمر من السلطان العثماني ، وننقل هنا نبذاً عن حياة ابراهيم باشا ـ الذي جاء بعـد طوسون لمحاربة الإمام عبد الله ـ وعن حياة الشريف يحيى بن سرور ، الذي ولوه شرافة مكة بعـد خلع الشريف غالب ، ونضيف الى ذلك نبذة عن حياة محمد علي وابنه طوسون ـ وإن سبق لنا الكلام عنهما ـ ، وهذه النبذة كلهـا منقولة من كتاب (أعيان القرن الثالث عشر) الذي ألـّفه شاعر الشام الكبير ورئيس مجمعها العلمي : خليل مردم بك ، رحمه الله ، وقد طبع كتابه بعد وفاته » .

محمد علي باشا

هو والي مصر ومؤسس الأسرة الخديوية بمصر التي بقيت تحكم مصر حتى جاء الرئيس جمال عبد الناصر فأعلن النظام الجمهوري .

ولد محمد علي في قوله (فرضة من أعمال الروملي) سنة ١٧٦٩ م . وتوفي أبوه (ابراهيم آغا) وهو فتى ، فكفله عمه طوسون آغا ، ثم قتل ، فكفله رجل من أصدقاء والده ، فربي أمياً لا مرشد له إلا ذكاؤه الفطري وعلو همته ، وكان يجاهر بذلك ويفاخر به ..

كان محمد علي في الفرقة العسكرية التي حشدت من (قوله) مع الجيش العثماني الذي جاء الديار المصرية لاخراج الفرنسيس منها سنة ١٢١٤ ، وكان وكيل فرقة قوله ، ولما انهزم الجيش العثماني في موقعه أبي قير ، سافر رئيس تلك الفرقة إلى بلاده وأقام محمد علي مقامه ، ورقي إلى رتبة بكباشي .

بعد أن خرج الفرنسيون من مصر ، وولت الدولة العلية خسرو باشا على مصر ، خدمه محمد علي ، ثم لما عزل وولي طاهر باشا ، ثار العسكر التركي عليه وقتلوه ، وطلبوا تولية أحمد خورشيد باشا فلم ينقد لهم محمد علي وتحصن مع رجاله من الأرناؤد بالقلعة ، فأرسلت الدولة علي باشا الجزايرلي الى مصر ، فقبض عليه العساكر ونفوه إلى بلبيس .

قام بالأمر بعده ابراهيم بك فثار عليه الأهالي ، فهدأها محمد علي ، ثم ثاروا

عليه ثانية فهرب منهم فاتفق محمد علي مع العلماء على تولية أحمد خورشيد باشا ، ثم وقع خلف بينهما ، وطلب العسكر تولية محمد علي نفسه لاستمالته إياهم وغيرهم من أهل القطر ، بحسن سياسته ودهائه ، فأقاموه على مصر والياً ، ونادي المنادي بذلك في صفر سنة ١٢٢٠ ، وفي ربيع الثاني بعث الباب العالي بفرمان يتضمن تولية محمد علي على الديار المصرية ، ولقب محمد علي باشا .

لما تولى محمد علي كانت الفوضى بمصر رافعة أطنابها ، وكلٌ متغلب على من هو دونه ، فأمراء المماليك ينهبون ويقتلون ولا مناقش ولا محاسب .

فأول ما دار في خلد محمد علي لإصلاح مصر إبادة منازعيه ومزاحميه ، وهم أمراء المماليك ، وكان أشدهم مناوأة له كبيرهم محمد بك الألفي الذي تعاهد مع انكلترا على خلع محمد علي ليتولى مكانه في مقابلة تسليمها السواحل ، فاجتهد سفيرها في الآستانة في تقرير سلطة المماليك كما كانت ، وضمن لها الخراج ، فأجابت الدولة هذا الطلب ، وأرسلت اسطولها الى مصر ، وفيه موسى باشا والي سلانيك ، ليكون بدلاً من محمد علي ، فاجتمع المشائخ وكتبوا للسلطان يتضررون من طائفة المماليك ، ويرجون إبقاء محمد علي ، وبعد طلبهم بشهرين ورد فرمان بتوليته سنة ١٢٢١ ، فتقوّت شوكته ، ومما زادها قوة موت محمد بك الألفي الذي صمم على الإيقاع به ، وقرينه عثمان بك البرديسي في السنة نفسها ، فخلا له الجو ، لكنه تيقن بأنه لا يتسنى له إصلاح مصر إلا بالفتك بجميع المماليك الذين هم جرثومة الفساد ، فدعاهم الى القلعة لتوديع ابنه طوسون باشا الذي سيّره لقتال النجديين بالحجاز ، فبعد أن استقروا بالقلعة ، أغلق الأبواب ، وقتلهم عن بكرة أبيهم إلا واحداً تمكن من الفرار وهو أمين بك .

استأصل في اليوم الثاني شأفتهم من مصر وذلك في صفر سنة ١٢٢٦ ، ولما انقضى أمر المماليك وجّه محمد علي عنايته الى إصلاح القطر المصري ، واسترضاء الدولة العلية ، ففتح السودان و (حارب الدولة العربية السعودية) ..

ولم يكتفِ محمد علي بما ناله من الملك الطويل العريض ، بل طمحت نفسه للاستيلاء على سورية ، فتواطأ مع الأمير بشير الشهابي ، وجهز جيشاً بقيادة

ابنه ابراهيم باشا للاستيلاء على سورية ، ففتح عكا بعد حصار طويل ، وأسر واليها عبد الله باشا ، وطرابلس، وحمص، ودمشق، وحلب وذلك سنة ١٢٤٨ ، وبعد الاستيلاء على الديار الشامية ، طمح بفتح الأناضول ففتح آدنة وقونية وكوتاهية ، وحينئذ بعث سفيرا انكلترا وفرنسا الى ابراهيم باشا ليقف عن التقدم حتى يأتيه أمر من والده ، لأن الدول الاوروبية ، كانت قد توسطت في إزالة الخلاف بينه وبين الباب العالي ، فوقف الى أن قرّ القرار على أن يبقى لمحمد علي إيالات صيدا وطرابلس ، والشام ، وحلب ، وأدنة ، ويعود ابراهيم باشا بجنوده الى سورية ، ثم اتفقت انكلترا والنمسا وروسيا وبروسيا مع الباب العالي على أن تكون ولاية مصر لمحمد علي ونسله من بعده ، وتكون له أيضاً الولاية على عكا وجنوبي سورية مدى عمره ، على شرط أن يقبل بذلك ويخرج من بقية سورية وما فتحه في مدة عشرة أيام ، فقبل محمد علي ولاية مصر وأبى أن يخرج من سورية .

فلما مضت العشرة أيام ولم يخرج ، أعلنت الدولة العلية عزله عن مصر ، وأتت الأساطيل العثمانية والانكليزية والنمساوية ، واحتلت بيروت وصيدا وعكا ولبنان والبقاع ، فلما أحس محمد علي بذلك كرر الأوامر الى ابراهيم باشا بالعودة الى مصر ، فلما كمل اجتماع عسكره في دمشق من حلب وبر الترك وزاد عدده على سبعين ألفاً خرج منها في ذي القعدة سنة ١٢٥٦ ، وبعد أن وصل ابراهيم باشا الى مصر ، صرف محمد علي همه عن توسيع سلطته الى إصلاح البلاد التي قبلت الدولة العلية أن تبقى له بعد أن أخذت منه كريت وسورية وبلاد العرب .

وضع محمد علي أساس القناطر الخيرية ، لكن عصب دماغه كان قد كلّ وتولاه الاختلال ، وصار يحسب الذين حوله خونة يقصدون الإيقاع به ، فأعطيت السلطة لابنه ابراهيم باشا سنة ١٢٦٤ وتوفي سنة ١٢٦٥ وعمره (٨٣) سنة ودُفن بجامعة القلعة ، ولم تطلْ ولاية ابراهيم باشا سوى سبعين يوماً فتوفي قبل أبيه وهو في الستين من عمره .

طوسون باشا

هو طوسون باشا بن محمد علي باشا الكبير، حاكم مصر، ولد نحو سنة ١٢١٠ وكان كأبيه عزماً وحزماً وحباً بالأعمال العظيمة حتى أنه (لما عظم أمر الدولة السعودية) ، وآنس منه أبوه ما تقدم من صفاته ، سيّره وهو فتى لم يبلغ العشرين من عمره في الحملة الأولى عليهم ، فأبحر سنة ١٢٢٦ من السويس فنزل في ينبع وامتلكها ، وزحف بجنوده على الوهابيين وكانوا في قوة عظيمة فردوه إلى ينبع ، ولما علم والده بذلك أمده بنجدة ، فاشتد بها أزره ، وتقدم إلى المدينه ، فأطلق عليها النار وهدم بعض السور ثم دخلها وأثخن في حاميتها حتى سلمت ، فأرسل مفاتيحها إلى والده ، فبعث بها إلى الآستانة ، وانتشر خبر فتح المدينة في الحجاز ، فخارت عزائم (المقاتلين) وتركوا مكة خوفاً من أهلها ، فأتاها طوسون باشا ودخلها وكتب لوالده بذلك ، فسُر كثيراً لما أوتي عن يد ولده من الفتح الذي لم يتأت لكثير من القواد يومئذ .

ثم في صيف سنة ١٢٢٨ زحف (السعوديون) على طوسون باشا وجنده ، لعلمهم أنه لا قبل لهم بتحمل حر تلك الأصقاع، فاستولوا على كل ما بين الحرمين فلما بلغ ذلك أباه محمد علي باشا ، سار بنفسه لنجدة ولده ، فنزل جدة في ٣٠ شعبان وبعد أن أقام بمكة مدة يسيرة وأدى فريضة الحج ، قضت الأحوال بعودته إلى مصر ، فغادر الحجاز ، وظل طوسون يقاتل (السعوديين) ، فكان الظفر حليفه في كثير من المواقع، وتقدم الى نجد إلا أنه اضطر إلى التوقف لقلة

المؤن وهو لم يبلغ الدرعية ، ثم رجع الى المدينة المنورة ، واسترد (السعوديون) أكثر المواقع التي استولى عليها .

وبلغه حصول قلاقل بمصر ، فخف برجاله إلى ينبع ، واستبقى حامية في المدينة ، ثم أبحر الى السويس ، وأتى بموكب عظيم الى القاهرة ، فاحتفل به احتفالاً شائقاً ، ولم يلبث أن توجه الى الإسكندرية حيث كان أبوه وابنه عباس بك الذي ولد أثناء غيابه وبلغ سنتين من العمر ، وتولى فيما بعد حكم مصر .

ولم يقم طوسون باشا بالاسكندرية مدة يسيرة حتى فاجأته المنية غضّ الشباب في ٧ ذي القعدة سنة ١٢٣١ ، فأتي بجثته الى القاهرة ، ودفن في مقام الإمام الشافعي ، وأُنشىء سبيل على قبره ، وكان جميل الطلعة ، متوقد الذهن ، مَيّالاً للعلم ، ذا بأس وحزم .

وقعت وفاته وقعاً شديداً في قلب والده .

ابراهيم باشا

وُلد ابراهيم باشا في (قوله) سنة ١٢٠٤ هـ . وتولى ولاية مصر بعـــد أبيه – وفي حياته – فقد ورد اليه فرمان التولية من سلطان آل عثمان سنة ١٢٦٤ ، وكان أبوه إذ ذاك حياً ، إلا أنه كان قد ضعفت قواه العقلية وأصبح لا يصلح للولاية .

كان ابراهيم باشا عضد أبيــه الأقوى وساعده الأشد في جميع مشروعاته ، كان باسلاً مقداماً في الحرب ، لا يتهيب الموت ، وقائداً محنكاً لا تفوته صغيرة ولا كبيرة من أفانين الحرب .

كان سريع الغضب .. وكان يعرف الفارسية والتركية والعربية ، وله اطلاع واسع في تاريخ البلاد الشرقية .

جهزه أبوه محمد علي في ١٠ شوال سنة ١٢٣١ لحرب الوهابية ، فظهر عليهم ، وأسر أميرهم وأرسله لأبيه إلى القــاهرة سنة ١٢٣٣ ، فأرسله محمـــد علي إلى الآستانة ، فطافوا به في أسواقها ثلاثة أيام ثم قتـلوه ، فنال ابراهيم باشا من السلطان مكافأة سنية وُسمي والياً على مكة ، ونال أيضاً أبوه محمد علي لقب خان الذي لم يحظ به سواه رجل من رجال الدولة غير حاكم القرم .

ولما طمح محمد علي للاستيلاء على سورية ، كان قطب الحركة والقــائد الفاتح ابراهيم باشا ، كما رأيت تفصيل هذه الحادثة في ترجمة محمد علي .

ولم يطل حكم ابراهيم باشا ، فإنه توفي قبل والده سنة ١٢٦٥ ، وُدفن بمدفن الأسرة الخديوية بجوار الشافعي رضي الله عنه . (أي أن حكم ابراهيم باشا كان حوالي سنة فقط .) .

وكان ربع القـامة ، ممتلىء الجسم ، قوي البنية ، مستطيل الوجه والأنف ، أشقر الشعر ، في وجهه أثر الجدري ، كثير اليقظة ، قليل النوم . وكان نقش على خاتمه (سلام على ابراهيم) .

– انتهى –

السلطان محمود الثاني

قلنا في كتابنا : « عهد الإمام سعود » إن السلطان محمود الثاني، تولى السلطة سنة ١٨٠٨ م . وكان عاقلاً ، داهية ، من أعظم سلاطين آل عثمان ، وكانت بلاده تتخبط في خضم الأخطار : خطر الانكليز ، وخطر الإفرنسيين ، وخطر المماليك ، وأخطار الألبان والعرب واليونان والمصريين والسوريين والأكراد ، ودسائس الباشاوات ، ومؤامرات الإنكشارية ، ولكنه استطاع التغلب على كل هذه الأخطار !

ومن أشهر أعماله الناجحة : قضاؤه على العساكر الإنكشارية ، فقد ذبحهم غدراً ، كما ذبح محمد علي المماليك في مصر ، وأنشأ جيشاً جديداً باسم النظام الجديد .. وكان يظهر التمسك بالدين..وهو الذي دفع محمد علي إلى محاربة الدولة السعودية الأولى .

وننقل الآن بعض ما كتبه عنه المرحوم خليل مردم بك في كتابه : أعيان القرن الثالث عشر :

السلطان محمود خان الثاني بن السلطان عبد الحميد الأول وشقيق السلطان مصطفى الرابع ، وهو السلطان الثلاثون من سلاطين آل عثمان ، تبوأ السلطنة العثمانية سنة ١٢٢٣ وهي في اختلال عظيم وارتباك لم يسبق له مثيل .

كان السلطان سليمان القانوني آخر من قاد جنوده بنفسه من سلاطين آل

عثمان ، وتقاعدوا بعده عن المسير إلى ساحة الحرب تاركين قيـادة الجند الى وزرائهم ورجال دولتهم ، الأمر الذي آل إلى تقهقر الدولة واختلال أحوالها وانتقاض ولاتها ، وأصبح الإنكشارية عثرة في سبيل فلاحها بعد أن كانوا حصناً لها ، وقواماً لسطوتها .

كان أعظم وزراء الدولة إذ ذاك مصطفى البيرقـــدار وهو الذي أجلس السلطان محمود على سرير السلطنة بعد سفك الدماء ، فولاه السلطان الصدارة [١] العظمى لما تبينه فيه من الشجاعة والإقدام وشدة البطش ، فباشر البيرقدار أول كل شيء قطع شأفة الأحزاب المضادة ، فقتل بعضاً ، ونفى آخرين حتى خلا له الجو فأخذ في اصلاح شؤون المملكة باذلاً في ذلك جهد الطاقة عملاً بإرادة مولاه فرأى أن يبدأ بإصلاح القوة العسكرية وتنظيمها على النمط الحديث الذي وضعه نابليون بونابرت ، وهو المعول عليه في تنظيم جنود أوروبا .

علم أن مباشرته ذلك تقضي بتغير الانكشارية وتمردهم ، لما يرون في الأمر من انحطاط سطوتهم وتقلص ظل مجدهم ، فاحتال على العلماء والوزراء وكبار أهل الدولة ، واستجلب مصادقتهم في تنظيم جنـــد جديد ، واصلاح جند الانكشارية بتدريبه على النظام الجديد ،فتعهد له أولئك ببذل أرواحهم وأموالهم توصلاً إلى تلك البغية ، فعلقت الآمال بإصلاح الحال على يد ذلك الوزير .

وكأن الله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يتم ذلك على يده ، فجاء البيرقدار أموراً غيرت عليه القلوب ، أخصها أنه طمع في أموال الناس ، فأكثر من الضرائب ، واستخدم في استخراجها طرقاً غير قانونية ، فخاف الناس الانتظام في الجندية وأوجس العلماء والمشايخ خيفة على مال الأوقاف لئلا يصبح طعمة له .

أما السلطان فلم يكن أقل حذراً منهم وقد رأى كل شيء سائراً على ما يريده هذا الوزير ، والأحكام في يده يديرها كيف شاء .

---

(١) الصدارة العظمى : ما يقابل رئاسة الوزراء حالياً .

تلخيص :

(ويمضي المؤلف بعد ذلك إلى القول إن الانكشارية – بمساعدة العلماء – قتلوا البيرقدار ، وقتلوا معه آخر من بقي من عصبة آل عثمان ، وهو السلطان مصطفى الرابع ، الذي كانوا قد خلعوه من السلطنة ، وهكذا قوي نفوذ محمود الثاني، ولم يعد الانكشاريون قادرين على تهديده بتسليم السلطنة إلى منافس آخر من آل عثمان ، ولكن السلطان محمود اشتغل بمحاربة أعدائه الاوروبيين ، ثم اشتغل بمحاربة الدولة العربية السعودية واستخدم لمحاربتها والي مصر محمد علي باشا ..

ثم ثارت عليه اليونان وساعدتها روسيا وانكلترا وفرنسا ، فاستنجد بمحمد علي فأنجده بقوة يقودها ابنه ابراهيم باشا ، ولكن السلطان اضطر آخر الأمر إلى التخلي عن اليونان والاعتراف باستقلالها .

انصرف السلطان بعد الهدنة إلى تنظيم الجيش على الطريقة الاوروبية ، فأخذ الجنود « الانكشاريون » يعيثون في الأرض فساداً ويزعمون إن هذا الأمر بدعة .. وطالبوا برأس رئيس الوزراء الذي زيَّن للسلطان ، في زعمهم ، تجديد الجيش ، فدعا السلطان اليه العلماء وأفهمهم حقيقة الحال وسوء نية الانكشارية ، ثم دعا اليه الجماهير وخطب فيهم وأنهض هممهم فأقسموا (على الثبات حتى يفوزوا أو يموتوا فداء عن سلطانهم ، وطلبوا اليه أن يجرّد العلم النبوي الشريف ، فجرّده ومشى ، فتبعه الناس وتقاطروا من أنحاء المدينة للدفاع عن السلطان والعلم الشريف ، ففرق فيهم الأسلحة ثم سلّم العلم الى المفتي ..) ونهض الجميع – ومعهم العساكر الجدد ، المدرّبون على النظام الجديد – وساروا إلى ساحة (أت ميدان) حيث كان الانكشارية متجمهرين ، والتحم الفريقان ، وكانت مذبحة هائلة .. قضي فيها على الانكشاريين ومَن لم يُقتل منهم أُخذ أسيراً ..

بعد ذلك اضطر السلطان إلى التخلي عن بلدان أخرى في اوروبا كانت داخلة تحت حمايته .. وتوفي سنة ١٢٥٥ هـ . بعد أن حكم بلاده إحدى وثلاثين سنة .

الشريف يحيى بن سرور

(هو الشريف يحيى بن سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي .

كانت ولايته على مكة في أواخر ذي القعدة سنة ١٢٢٨ بعد أن قبض محمد علي باشا ، والي مصر ، على عمه غالب ، وكانت مباشرة أحكام الأشراف والعرب بيد محمد علي باشا ومن كانوا نائبين عنه بعد رجوعه الى مصر ، كأحمد باشا نائب محمد علي باشا في مكة ، فكان أحمد باشا يفوض إلى الشريف شنبر بن مبارك (المنعمي) التصرف بأمور الأشراف والعربان..فاستحكمت العداوة بين الشريف يحيى ، صاحب الولاية الشرعية اسماً ، وبين الشريف شنبر ، صاحب السلطة الفعلية بمؤازرة أحمد باشا ، فصمم الشريف يحيى على قتل شنبر ، وقتله سنة ١٢٤٢ ، فسار أحمد باشا إلى دار الشريف يحيى وهدد بقذفها بالمدافع إن لم يخرج منها ويستسلم ويذهب إلى مصر .. فتظاهر الشريف يحيى بالتسليم وقبِلَ بالسفر إلى مصر ، ولكنه نكص عن ذلك.. فأعلن أحمد باشا تولية الشريف عبدالمطلب إمارة مكة وطلب منه أن يجمع الجموع لقتال الشريف يحيى .. ولكن محمد علي باشا كتب إلى أحمد باشا أنه استحسن تولية الشريف محمد عون إمارة مكة .. فغضب الشريف عبد المطلب واتفق مع الشريف يحيى بن سرور على محاربة الشريف عون ، وبعد حرب استمرت اثنين وعشرين يوماً تمّ الصلح بينهم ، ولم تمضِ أسابيع على ذلك حتى أمر محمد علي باشا بإشخاص يحيى إلى مصر ، ففعل ، وبقي الشريف يحيى في مصر حتى وفاته سنة ١٢٥٤ هـ .

جدول الخطأ والصواب

وقعت في هذا الكتاب أخطاء مطبعية يسيرة لا تخفى على فطنة القـارىء ، ولكننا أحببنا أن ننبه على طائفة منها :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٧	٨	سالته	رسالته
٥١	١١	مفيد	مغيد
٥٨	٧	استشعره	استشعر
٦٣	٢٢	شاري	مشاري
٧٤	٢	الوجة	الوجه
٧٤	١٩	بجيع	بجميع
٨٠	٤	يومين	يومان
٨٨	٢١	مهمتة	مهمته
١٥٢	١٢	المميتة	الميتة
١٥٢	١٩	باشا الآثام	باشا من الآثام
١٥٨	٩ و ١٠	ولعله عبد الله بن ابراهيم بن حسن بن مشاري الخ..	ولعله عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن سعود.. والله أعلم !

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

طبع بمطابع دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة
ص ب ٢١٢٩١ الرياض - ١١٤٧٥ - تليفون + فاكس ٤٨٨٠٠٤٧

كتب المؤلف

الدستور السوري، باللغة الفرنسية
عبقرية الإسلام في أصول الحكم
الحقوق الدستورية
الحقوق الرومانية
الحقوق المدنية الفرنسية
الحقوق الجزائية الخاصة
أوراق
تاريخ البلاد العربية السعودية :
١ ـ عهد التأسيس
٢ ـ عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد
٣ ـ عهد الإمام سعود
٤ ـ عهد الإمام عبدالله بن سعود
ـ فيصل، تاريخ مملكة في سيرة زعيم
ـ الإمام تركي بن عبدالله
ـ رجل في جلد آخر، وقصص صغيرة

كتب معدة للطبع أو قيد الإعداد
ـ أوراق الذهب
ـ معاوية
ـ الأسطول الإسلامي
ـ ابن خلدون
ـ خالد بن صفوان
ديوان شعر
الصلات الدولية في الإسلام
أيوب
الخ . .
مسرحيات :
ـ زنوبيا
ـ كليوباترة
ـ بلقيس ـ ملكة سبأ
ـ المطلقات

المؤلف

- ولد في دمشق، ونـال الشهادة الثانوية في سن مبكرة جداً، وتكاد لا تصدق.
- نال شهادة الحقوق في دمشق، وشهادة الحقوق من كلية الحقوق في باريس، ودكتوراة الدولة في الحقوق العامة والخاصة من جامعة باريس، وشهادة في فقه اللغة، وشهادة في الأخلاق وعلم الاجتماع من السوربون، وشهادة في الصحافة من معهد العلوم الاجتماعية العليا بباريس.

مناصبـه السابقـة:

- نائب دمشق مراراً.
- وزيـر الشبـاب والدعاية (الإعلام)، ووزير العدل ووزير المعارف مراراً.
- أستاذ ذو كرسي في كلية الحقوق بدمشق، ورئيس الجامعة بالوكالة مراراً.
- عضو المجمع العلمي العربي بدمشق.
- كبير المستشارين في وزارة المعارف، بالمملكة العربية السعودية، ومستشار في دارة الملك عبدالعزيز
- رئيس تحرير المجلة العربية.
- وقـد أصـدر في دمشق مجلة «الحياة الأدبية» ثم جريدة «النضال» وترأس تحرير جريدة «الجزيرة» وكتب مقـالات وبحـوثاً أدبية في مجلات وصحف كثيرة في سوريا ولبنان ومصر.



طبـع بمـطابـع دار الشبـل للنشـر والتـوزيـع والطبـاعـة
ص.ب ٢١٢٩١ الرياض ـ ١١٤٧٥ ـ تليفون + فاكس ٤٨٨٠٠٤٧